الفروق اللغوية

وأثرها في تفسير القرآن الكريم

تأليف

د. محمد بن عبدالرحمن بن صالح الشايع

الأستاذ المشارك في قسم القرآن الكريم وعلومه - كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

مكتبة العبيكان



الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم

تأليف

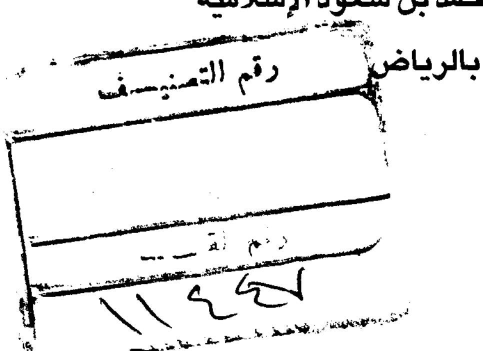
د. محمد بن عبد الرحمن بن صالح الشايع

الأستاذ المشارك في قسم القرآن الكريم وعلومه

كلية أصول الدين

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

بالرياض





بسم الله الرحمن الرحيم

٤١٢
٦١٧ ش
الشايع، محمد بن عبد الرحمن

الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم / محمد بن عبد الرحمن بن صالح الشايع. ـ ط ١. ـ
الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣ م
... ص؛ سم
ردمك ١ ـ ٠٢٢ ـ ٢٠ ـ ٩٩٦٠
١ ـ اللغة العربية ـ ألفاظ ٢ ـ اللغة العربية ـ المترادفات والأضداد ٣ ـ القرآن ـ ألفاظ أ ـ العنوان

ردمك ١ ـ ٠٢٢ ـ ٢٠ ـ ٩٩٦٠
رقم الإيداع ١٤/٠٦٠٤

الطبعة الأولى
١٤١٤هـ/١٩٩٣م

الناشر
مكتبة العبيكان
الرياض ـ العليا ـ طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة
ص. ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥
هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩



مقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.. وبعد:

القرآن الكريم كتاب الله المعجز، ورسالته الخالدة، وآيته الباقية، ودستور المسلمين الدائم، ثم هو تاج العربية الأعلى، وَمَثَلُها البياني الأسمى، ولما كان هذا القرآن العظيم قد نزل بلغة العرب، وجرى مجاريهم في الخطاب؛ كان لا بد لمن يتصدى لتفسيره، تفسيراً دقيقاً صحيحاً من الاعتماد على العربية وفهم أساليبها، والنفاذ إلى خصائص التعبير فيها.

ولما كان تحديد دلالات الألفاظ تحديداً دقيقاً يعتبر الخطوة الأولى والأهم في فهم المعاني وتفسيرها، وذلك يتوقف على معرفة الفروق الدقيقة بين الألفاظ التي يظن فيها الترادف؛ كان لا بد من دراسة هذه الظاهرة في اللغة العربية. وهي وإن كانت ظاهرة لغوية إلا أنها عظيمة الأثر في فهم كتاب الله، وسنة نبيه محمد ـ ﷺ ـ، كما أنها مفيدة في فهم باقي نصوص العربية الصحيحة الفصيحة، إذ اللغة العربية هي الأداة لفهم ذلك كله فهماً سليماً دقيقاً، متمشيا مع دلالات اللغة وقواعدها.

وقد أشار أفذاذ من علمائنا إلى أهمية ذلك في مؤلفاتهم، كما فعل الإمام ابن تيمية في مقدمته في أصول التفسير إذ يقول: «ومن الأقوال الموجودة عنهم - يعني السلف - ويجعلها بعض الناس اختلافا؛ أن يعبروا عن المعاني بألفاظ متقاربة لا مترادفة، فإن الترادف في اللغة قليل، وأما في ألفاظ القرآن فإما نادر وإما معدوم، وقل أن يعبر عن لفظ واحد

بلفظ واحد يؤدي جميع معناه بل يكون فيه تقريب لمعناه، وهذا من أسباب إعجاز القرآن، فإذا قال القائل: ﴿**يوم تمور السماء مورا**﴾[١].. إن المور هو الحركة كان تقريبا، إذ المور حركة خفيفة سريعة»[٢]..

ويقول الراغب الأصفهاني في مقدمة مفرداته وهو يتحدث عن عزمه تأليف كتاب يبين فيه وجه الصواب في هذا الموضوع. يقول: «وأتبع هذا الكتاب - يعني كتاب: المفردات في غريب القرآن ـ إن شاء الله ونسأ في الأجل بكتاب ينبئ عن تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد، وما بينها من الفروق الغامضة، فبذلك يعرف اختصاص كل خبر بلفظ من الألفاظ المترادفة دون غيره من إخوانه نحو ذكره القلب مرة، والفؤاد مرة، والصدر مرة، ونحو ذكره تعالى في عقب قصة ﴿**إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون**﴾، وفي أخرى ﴿**لقوم يتفكرون**﴾ وفي أخرى ﴿**لقوم يعلمون**﴾، وفي أخرى ﴿**لقوم يفقهون**﴾، وفي أخرى ﴿**لأولى الأبصار**﴾، وفي أخرى ﴿**لذى حجر**﴾، وفي أخرى ﴿**لأولى النهي**﴾ ونحو ذلك مما يعده من لا يحق الحق ويبطل الباطل أنه باب واحد، فيقدر أنه إذا فسر «الحمد لله» بقوله: الشكر لله، ولا ريب فيه، بلا شك فيه؛ فقد فسر القرآن ووفاه البيان»[٣].

من هذا المنطلق، ولأهمية هذا الموضوع، وحاجته إلى المزيد من البحث والدراسة، ولأثره في تفسير القرآن الكريم وفهم معانيه فهماً دقيقاً سليماً؛ كان أن اخترت البحث في هذا الموضوع تحت عنوان:

(الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم)

---

(١) سورة الطور آية ٩.

(٢) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص ٥١.

(٣) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، المقدمة ص (هـ).

وإن بدا أن هـذا الموضوع لغوي؛ فهـذا أمر لا شك فيه، غير أن عـلاقة الدراسات اللغوية بالقرآن الكريم؛ علاقة كبيرة، بل هي أكبر وأقوى من أن تحتـاج إلى بيان أو تسـويغ. فـاللغـة هي الأداة لفهم القـرآن الكريم فهمـاً سليمـاً ودقيقاً. ومن هنـا نـدرك دقة تعبيـر العلمـاء المتقدمين عن العلـوم العربية بتسميتهم لها؛ علوم الآلة. فهـي حقا الأداة والآلة لدراسة النصوص وفهمها.

والذي يزيد في أهمية هذا الموضوع ما يظهر من طغيان الألفاظ التي قيل بترادفها طغياناً كبيراً حتى أصبح الحكـم بالترادف بين الألفاظ سهلا ميسورا لمجرد وجود أدنى رابطة أو علاقـة تجمع بين لفظين أو أكثر ليقال عنها أنها ألفاظ مترادفة تؤدي معنى واحداً من غير فرق.

ولقد أضر هذا المسلك بالعربية ضررا بالغا، وكاد يقضي على ميزة الدقة في ألفاظها من جانب، وعلى نعتها بـالنقص والقصور من جانب آخر، مع كثرة مفرداتها وتضخمها في بعض المجالات.

وإن هذا الوضع ليعود في بعض أسبابه إلى إهمال الفروق، والغفلة عنها وعدم الاهتمـام بها. وهذا قصـور كبير، وتفريط من أبنـاء العربية وحمـاتها ينبغي التنبيـه له، والتحـذير منـه، لما يـؤديه من أضـرار سلبية على اللغـة العربية، مع السعي لتفهم الفـروق وإيضاحها، وتحرى الـدقة في استعمال الألفاظ، ووضع كل لفظ موضعه الأخص الأشكل به.

ومما يجـدر التنبيه إليه أن المصـادر العربية اللغـوية القديمـة لم تتناول قضيـة التـرادف بقدر كـاف، ومن هنـا نـرى أن من أوسع كتب اللغـة التي تحدثت عن الترادف؛ كتاب: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي، وكـان ذلك في نحـو اثنتي عشـرة صفحـة فقط. والسيـوطي من العلمـاء

المتأخرين، ومع ذلك فقد كان اعتماده في مادة هذا الفصل على علماء الأصول اعتمادا كبيرا .

وفي هذا دلالة على مشاركة الأصوليين في هذا المبحث حيث يهمهم أن يقطعوا برأي في تحديد مدلول الألفاظ، ثم إنه من المعروف أن للأصوليين ـ في كتب الأصول ـ مباحث كثيرة، ودقيقة في ميدان اللغة . فمشاركتهم في الأبحاث اللغوية مشهورة مشكورة .

من هنا جاءت ضرورة التعرض لدراسة الترادف والفروق عندهم في هذا البحث للاستعانة بآرائهم والاستفادة من أبحاثهم .

كما شارك بعض الباحثين المحدثين بدراسة هذه الظاهرة، ولفتوا إليها الأنظار، تقديرا منهم لأهميتها كما فعل الأستاذ علي الجارم في بحثه الذي قدمه لمجمع اللغة العربية، وكذلك الشيخ الطاهر بن عاشور، وكما فعل الدكتور رمضان عبد التواب في كتابه «فصول في فقه العربية»، وكذلك الدكتور إبراهيم أنيس في كتابيه «في اللهجات العربية»، و«دلالة الألفاظ»، وكذلك الدكتور صبحي الصالح في كتابه «دراسات في فقه اللغة» .

وقد شاركت الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) في دراسة هذه الظاهرة في كتابها «الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق» في بيان القرآن الكريم ودقة استعماله للألفاظ، وجعلت القرآن الحكم الذي ينبغي أن يكون له القول الفصل في هذه القضية بصفة خاصة .

وفي الجانب الآخر من قضية الترادف وهو القول بالفروق ؛ يأتي أبو هلال العسكري في مقدمة المؤلفين في ذلك بكتابه «الفروق في اللغة»، ومثله نور الدين الجزائري في كتابه «فروق اللغات»، إضافة إلى الكتب التي تعنى

بالدقـة في تحديد دلالات الألفاظ كمفردات الـراغب الأصفهاني، وكليات أبي البقاء الحسيني وغيرها.

وبما أن هذا الموضوع لغوي في أصولـه وأساسه، وللأصـوليين مشاركة جادة في دراسته، ونظرا لآثاره الكبيرة على تفسير القرآن الكريم وفهم آياته؛ جاء تخطيط البحث في تمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة.

فكان التمهيـد لتوضيح أهمية تحـديد معاني الألفـاظ في فهم النصوص وتفسيرها، وتحديد الدلالة يتوقف على القول بالترادف أو الفروق...

ثم جاء الباب الأول في التـرادف والفروق عند علماء العـربية، ويحتوي على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في تعريف التـرادف بين المتقدمين والمتأخـرين، وبيان أن لفظـة التـرادف مـولّـدة. والتعـرض لمحـاولـة تضييق دائرة التـرادف أو تـوسعتهـا، مع بيـان أثـر الاختـلاف في التعـريف على الخـلاف في هـذه المسألة.

ثم يأتي الفصل الثـاني: في الحديث عن مذهب القـائلين بالترادف من العلماء، وأدلتهم، والبحث في أسباب وجود الترادف وكثرته، وفوائده، مع الحديث عن التأليف فيه.

ويأتي بعد ذلك الفصل الثالث: في مذهـب القائلين بـالفروق، ليتعرف على القائلين به من العلماء، وأدلتهم في ذلك، ثم يأتي الكلام عن الكتب المـؤلفـة فيـه، مع حـديث مستفيـض عن أشهـرهـا، لينتهي هـذا الفصل بالبحث في المسـالك والطرق التي تنتهج للوصول إلى الفـروق بين الألفاظ التي تبدو مترادفة.

أما الباب الثاني فهو في الترادف والفروق عند الأصوليين.

ويحتوي الفصل الأول: على تعريف الترادف، ورأي الأصوليين في ذلك.

وفصله الثاني: مخصص في الحديث عن الترادف عند الأصوليين، ثم رأى المنكرين له، وأدلتهم، ومناقشة الأصوليين لهذه الأدلة.

وفي الفصل الثالث: الإشارة إلى أسباب الترادف وفوائده في نظر الأصوليين، ثم يأتي الحديث عن إقامة أحد المترادفين مكان الآخر، وأخيرا أثر المسألة في قضية نقل الحديث بالمعنى.

وفي الباب الثالث يأتي الكلام عن الترادف والفروق عند علماء التفسير مع دراسة لبعض الأمثلة من القرآن الكريم لبيان الفروق بينها على هدى من بيان القرآن وأسلوبه.

فالفصل الأول: في الترادف في القرآن الكريم، والقائلين بهذا من العلماء والباحثين.

والفصل الثاني: في منع الترادف في القرآن الكريم، وآراء العلماء في ذلك.

ويستقل الفصل الثالث: بدراسة بعض النماذج والأمثلة لألفاظ قيل بترادفها مع الاحتكام إلى بيان القرآن وأسلوبه، واستقراء استعماله لتلك الألفاظ، سعيا وراء إدراك بعض أسراره وإعجازه في استعمال هذه الألفاظ.

لينتهي البحث بالخاتمة في التنبيه والتنويه على أهم النتائج وأبرز المسائل التي ظهرت في البحث.

وإن من أهم الصعوبات التي عانيتها في هذا البحث؛ الاختلاف في

تحديد مفهـوم الترادف وتعريفه بين العلماء، وعدم تحـرير محل النزاع في هذه المسألة، مما يؤدي إلى كثرة الاختـلافات، ويجعل احتمال الوقوع في اللبس والتنـاقض أمـرا قائمـا، إضـافـة إلى ارتبـاط هذه القضيـة بجـوانب متعددة، ثم يأتي عـدم وضوح آراء بعض العلماء فيها، وانتشـار هذه الآراء وانتثارها في بطون الكتب . .

كل هذا يزيد فـي صعوبة تحرير آرائهم تحريراً دقيقـاً، كما يجعل إسناد الأقوال إليهم في بعض الأحيان من باب الاحتمال.

وأخيرا،

فقد بذلت جهدي في هذا الموضـوع الواسع الذي يحتاج إلى الكثير من دقة الفهم، وسعة الأطلاع، والتمرس في البحث.

وإني لآمل أن أكون قد وفقت إلى التقدم بهذه القضية خطوة إلى الأمام، خاصـة وأن هذه المسألة لم تحظ بالعنـاية الكافية، فلم تـؤلف فيها الكتب المستقلة التي تتناولها في أصولها وفروعهـا، وما يتصل بها من موضوعات، وقضايا أخرى مختلفة.

ولا يفـوتني هنـا أن أتقدم بخـالص الشكـر، وكـامل العـرفان لـلأستـاذ الدكتور/ أحمد حسن فرحات، على ما بـذله من جهد، وما أبداه من توجيه وتسديـد، وعلى ما قـدمه من تشجيع في هذا البحـث. فجزاه الله عني كل خير.

كما أشكر كلا من:

١ ـ فضيلة الدكتور: محمد صالح مصطفى علي.

٢ ـ فضيلة الدكتور: مصطفى مسلم محمد.

على ما بذلاه من جهد، وأبدياه من نصح فيما أسدياه من ملحوظات.

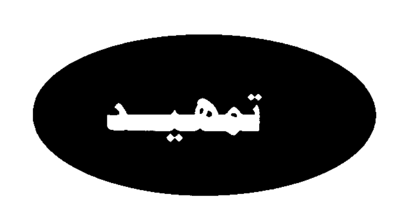
وهذا الكتاب في الأصل رسالة ماجستيـر مقدمة لقسم القرآن الكريم في

كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بـن سعود الإسلامية بالرياض . وقد نـوقشت في ٢٩/ ٨/ ١٣٩٩هـ ومنـذ ذلك التـاريخ وأنا أنـوي العودة إليهـا لـمزيـد من التدقيق والتنقيح . وقـد رأيت السنين تمضي والعمـر ينطوي ولم يتحقق هذا الأمل من خـلال العمل فعزمت على طبعها على حالهـا بما لها وما عليها فعسى أن يكـون فيما قد يبديـه القراء والدارسون والنقـاد الباحثون من آراء ما يسهم في تصويب الأخطاء وخدمة الموضوع .

وفي الأخير فـالشكر لله ابتـداءًا وانتهاءًا . وآخـر دعوانـا أن الحمد لله رب العالمين .

محمد بن عبد الرحمن بن صالح الشايع

الرياض . ١٣/ ٢/ ١٤١٣هـ



تمهيد

القرآن الكريم كتاب الله المعجز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، تكفل الله بحفظه على مر الأيام، وكر الليالي، كما قال تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[1].

وحفظ القرآن الكريم لا يقتصر على حفظ ألفاظه من التحريف، والتصحيف، ومن الزيادة والنقصان، بل يشمل كذلك حفظ معاني ألفاظه، ودلالات آياته؛ لأن «الذكر» لفظ ومعنى؛ ولأن فهم القرآن الكريم للاهتداء بهديه، والعمل بما فيه، وهذا هو غاية المقصود من تنزيله.

ولقد كان العرب في عصر نزول القرآن، يفهمون القرآن الكريم بمجرد سماعهم له، إلا ما قل مما يحتاج إلى زيادة تفصيل وبيان، وهو ما بينه الرسول عليه الصلاة والسلام.

ولكن لما بعد الناس عن صفاء العربية، وفسد ذوقهم الأدبي نتيجة اختلاطهم بالأعاجم؛ أصبحت الحاجة إلى تفسير القرآن الكريم، وفهم معانيه أكبر من ذي قبل.

ولما كان القرآن الكريم قد نزل بلغة العرب، وجرى مجاريهم في الخطاب كان لا بد لمن يتصدى لتفسير القرآن الكريم تفسيراً دقيقاً من الاعتماد على العربية، وفهم أساليبها، والنفاذ إلى خصائص التعبير فيها، وتحديد مدلولات ألفاظها. وتحرى الدقة في تحديد مدلولات الألفاظ هو الخطوة الأولى في فهم المعاني، وتفسير النصوص.

---

(١) سورة الحجر آية ٩.

وإذا كانت اللغة العربية قد عُرفت بكثرة المفردات، وتنوع الدلالات، وسعة التعبير، مع فصاحة اللسان، ووضوح البيان، الأمر الذي حمل الإمام الشافعي أن يقول في «الرسالة»:

«لسان العرب أوسع الألسنة مذهبا، وأكثرها ألفاظا، ولا نعلم يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي، ولكنه لا يذهب منه شيء على عامتها حتى لا يكون موجودا فيها من لا يعرفه. . .»[1].

وهذا يعني أن معاني القرآن الكريم وتفسير آياته لا يمكن أن تضيع على مجموع الأمة. وإن كان لا يمكن لفرد واحد أن يحيط بها. ومن هنا نرى أن كل مفسر قد أخذ بطرف من هذه المعاني، وسيبقى المجال رحبا ومتسعا لكل من أراد أن يغترف من هذا المعين الذي لا ينضب.

ومن اتساع لغة العرب ـ على رأي بعض العلماء ـ كثرة أسماء بعض الأشياء كثرة متناهية فقد جمع ابن خالويه للأسد خمسمائة اسم، وللحية مائتين[2]. وروى ابن فارس[3] عن الأصمعي أن الرشيد سأله عن شعر لابن حزام العكلي ففسره فقال: يا أصمعي، إن الغريب عندك لغير غريب. فقال: يا أمير المؤمنين، ألا أكون كذلك وقد حفظت للحجر سبعين اسما.

وهذا الفيروزآبادي صاحب القاموس يؤلف كتابا يدعوه (الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف) وغير هذا كثير.

ويعزو بعض العلماء كثرة ألفاظ اللغة العربية إلى وجود الترادف، مما جعل بعضهم ينظر إلى الترادف كأنه آفة أصابت العربية في عصور

(١) الرسالة. للشافعي ص ٢٧ ط١ عام ١٣٨٨هـ.

(٢) المزهر. للسيوطي جـ١ ص ٣٢٥.

(٣) الصاحبي. لابن فارس. تحقيق/ مصطفى الشويمي. ص ٤٤.

الانحطاط، حيث ضاعت الفروق بين الكلمات وبذلك أصبح الترادف قضية تلتمس حلا.

بينما يجنح آخرون إلى المباهاة والافتخار بهذه الظاهرة، والنظر إليها على أنها ميزة للعربية ومفخرة لها.

ومن هذا المنطلق بدأ الاختلاف في هذه القضية.

وإنه لمن الفائدة بمكان دراسة هذه الظاهرة، وفهم أسبابها، ومعرفة آثارها في تحديد مدلولات الألفاظ، وهل الترادف يعني الاتحاد التام لمعاني الألفاظ المقول بترادفها أو أن هناك فروقا دقيقة بين هذه الألفاظ، وأن لكل كلمة منها دلالتها الخاصة بها إلى جانب اشتراكها مع غيرها في المعنى العام؟

وتحديد مدلولات الألفاظ بدقة يعتبر خطوة أولى ومهمة في فهم مدلول الكلام وتفسير النصوص.

ولهذا كان لا بد لمن يريد تفسير القرآن الكريم أن يكون عالما بدقائق اللغة وحقائقها، عارفا بدلالات الألفاظ، وقواعد العربية.

فليس لغير العالم بذلك تفسير شيء من القرآن الكريم، يقول الزركشي «... وليس لغير العالم بحقائق اللغة، ومفهوماتها تفسير شيء من الكتاب العزيز، ولا يكفي في حقه تعلم اليسير منها فقد يكون اللفظ مشتركا وهو يعلم أحد المعنيين»[1]. بينما قد يكون المراد هو المعنى الآخر الذي لم يفسره به، ولهذا نرى أن مالك بن أنس يشدد النكال على من يفسر القرآن الكريم دون علم بلغة العرب، كما نقل ذلك عنه يحيى بن

(١) البرهان في علوم القرآن، للزركشي. تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم ط «٢» جـ ٢ ص ١٦٥.
وانظر كذلك: البرهان جـ ١ ص ٢٩٥.

فضلة المديني قال: سمعت مالك بن أنس يقول: لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالا[1] على أن مجاهدا يرى أن مثل هذا العمل يتنافى مع الإيمان بالله واليوم الآخر في قوله: «لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب»[2].

ومن هنا نفهم تحرج بعض الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ من تفسير ما لا علم لهم به. فقد روي عن طريق شعبة عن سليمان عن عبد الله بن مرة عن أبي معمر قال: قال أبو بكر الصديق: أي أرض تقلني، وأي سماء تظلني إذا قلت في كتاب الله برأيي، أو بما لا أعلم»[3].

وروى غير واحد عن أنس أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر ﴿**وفاكهة وأبا**﴾[4] فقال هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو التكلف يا عمر[5].

وإذا كان هذا الكلام المنقول عن السلف يدل على عدم معرفة بعض الصحابة لمعاني بعض الألفاظ في لغة العرب. فإن للمحققين من العلماء رأيا في فهم مثل هذه الروايات فابن تيمية يقول في تعقيبه على مثل هذه الآثار[6]: وهذا كله محمول على أنهما رضي الله عنهما إنما أرادا

---

(1) البرهان في علوم القرآن، للزركشي جـ ١ ص ٢٩٢.

(2) المصدر السابق.

(3) انظر: تفسير الطبري جـ ١ ص ٧٨ ـ الأثر رقم: ٧٩.

وانظر: مقدمة في أصول التفسير. لابن تيمية ص ١٠٨ ط ٢. تحقيق د. عدنان زرزور.

(4) سورة عبس آية ٣١.

(5) انظر: تفسير الطبري. طبعة دار الفكر ١٣٩٨هـ م ١٠ جـ ٣٠ ص ٣٨، ومقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص ١٠٩ ط ٢، وتفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٤٧٣.

(6) مقدمة في أصول التفسير. لابن تيمية ص ١٠٩ ـ ١١٠ ط ٢.

استكشاف ماهية الأب وإلا فكونه نبتا من الأرض ظاهر لا يجهل، لقوله تعالى ﴿**فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا، وحدائق غلبا وفاكهة وأبا**﴾[١].

وكذلك يقول ابن كثير في تعقيبه على ذلك «وهذا محمول على أنه - رضي الله عنه - أراد أن يعرف شكله وجنسه وعينه. وإلا فهو، وكل من قرأ هذه الآية يعلم أنه من نبات الأرض»[٢].

ويذهب الزركشي في تعليل ذلك مذهبا آخر حيث يعتبره من الألفاظ المشتركة أو نتيجة لاختلاف اللغات حيث يقول: «وما ذاك بجهل منهما لمعنى (الأب) وإنما يحتمل - والله أعلم - أن (الأبّ) من الألفاظ المشتركة في لغتهما أو في لغات فخشيا إن فسراه بمعنى من معانيه أن يكون المراد غيره. ولهذا اختلف المفسرون في معنى (الأب) على سبعة أقوال:

فقيل: «ما ترعاه البهائم.. وقيل التبن..»[٣] إلى غير ذلك من الأقوال.

وليست مثل هذه النقول المأثورة خاصة بمثل أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - بل جاءت عن كثير من السلف لتدلنا على إجلالهم للقرآن الكريم، وتهيبهم من القول فيه بغير علم، أو من غير تأكد. فهذا حماد بن زيد يروي عن عبد الله بن عمر قال: لقد أدركت فقهاء المدينة وإنهم

---

(١) سورة عبس الآيات ٢٧ - ٣١.

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٤٧٣.

(٣) البرهان في علوم القرآن. للزركشي جـ ١ ص ٢٩٥ - ٢٩٦. وانظر المزيد من توجيهات هذه الآثار في: مقدمتان في علوم القرآن ص ١٨٦ وما بعدها والمقدمتان هما: مقدمة كتاب المباني، ومقدمة ابن عطية. نشرهما المستشرق آرثر جفري. ط ٢ تصحيح وتصويب عبد الله الصاوي. نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة.

ليعظمون القول في التفسير، منهم: سالم بن عبد الله، والقاسم بن محمد، وسعيد بن المسيّب، ونافع، وروى عن الشعبي أنه قال: أدركتهم وما شيء أبغض إليهم أن يسألوا عنه، ولا هم له أهيب من القرآن[1].

بل لقد روي مثل ذلك عن حبر الأمة وترجمان القرآن، وأشهر مفسر من الصحابة؛ ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ حيث توقف في تفسيره لكلمة (فاطر) في قوله تعالى: ﴿**فاطر السموات والأرض**﴾[2] حتى جاءه أعرابيان يختصمان إليه في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها ـ يريد: ابتدأت حفرها ـ[3] عندئذ تأكد من المعنى اللغوي الدقيق والصحيح لهذه الكلمة القرآنية.

ومن خلال ما تقدم من الآثار يظهر لنا بجلاء مدى عناية الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ في فهم كتاب الله، وحرصهم على عدم تفسيره إلا بما صح عندهم من لغة العرب، وتوقفهم عن التفسير إذا لم يتضح لهم معنى بعض الكلمات.

وبناء على ذلك كان من أول الواجبات على المفسر أن يعرف دلالة الكلمات المفردة على التحديد، ولا تقتصر فائدة هذه المعرفة على تفسير القرآن الكريم، بل هي مفيدة في فهم الحديث النبوي الشريف، والنصوص العربية الأخرى الملتزمة بدقة التعبير اللغوي.

ومن الدقة في تحديد دلالة الكلمة معرفة ما إذا كانت الكلمة المفسِّرة لها

---

(١) مقدمتان في علوم القرآن ـ مقدمة كتاب المباني في نظم المعاني، المؤلف المجهول ـ. ومقدمة تفسير ابن عطية ص ١٨٣ ـ ١٨٤ ط٢. وانظر كثيرا من الروايات في هذا المعنى في مقدمة أصول التفسير لابن تيمية ص ١١١ وما بعدها.

(٢) سورة فاطر آية ١.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير جـ٣ ص ٥٤٦.

مـرادفة لهـا تمام التـرادف، أم بينهما فـروق تدق على غيـر العارف بأسـرار اللغة، كما ذهب إلى ذلك فريـق من المحققين من علماء اللغة، والتفسير فالـراغب الأصفهاني يرى أن من فسـر (الحمد لله) بقولـه: (الشكر لله) ولا ريب فيه: بلا شك فيه: عليه ألا يقدر أنه فسر القرآن، ووفاه البيان[1].

وقد أشار إلى ذلـك ابن تيمية في مقدمته في أصـول التفسير حيث قال: «ومن الأقـوال المـوجودة عنهـم - يعني السلـف - ويجعلهـا بعض النـاس اختلافا: أن يعبروا عن المعاني بألفـاظ متقاربة لا مترادفة؛ فإن الترادف في اللغة قليل، وأما في ألفاظ القرآن، فإما نادر وإما معدوم، وقل أن يعبر عن لفظ واحـد بلفظ واحد يـؤدي جميع معناه، بل يكـون فيه تقريـب لمعناه. وهـذا من أسبـاب إعجـاز القـرآن؛ فإذا قـال القـائل: **﴿يوم تمـور السماء مورا﴾**[2] إن المور هو الحركة؛ كان تقريبا إذ المور حركة خفيفة سريعة»[3].

فتفسيـر اللفظة بأخـرى إنمـا هو من بـاب التقـريب للمعنى لا التحقيق الدقيـق له. فبمثل هذا الفهـم، والاهتمام في تحري الـدقة في فهم معـاني الألفـاظ يمكن الوصـول إلى فهم معـاني النصوص فهمـاً صحيحاً، دقيقـاً بعيداً عن القصور أو الزيادة، أو التعارض، أو الاضطراب.

ولا بـد أن نلاحظ أن ابن تيميـة يفرق فـي موضـوع الفروق والتـرادف بين القرآن الكـريم، واللغة العـربية، حيث يجعل التـرادف في القرآن إمـا نادراً وإما معدوماً، وهذا يعني أنه قد يسلم به في اللغة العربية على قلّة.

مما تقدم نرى أن قضية الترادف والفروق شغلت كثيراً من علماء العربية - قدماء ومحدثين - وانقسم الناس فيها فريقين:

---

(١) راجع مقدمة «المفردات في غريب القرآن» للراغب الأصفهاني ص هـ. وانظر ص: (٦).

(٢) سورة الطور آية ٦.

(٣) مقدمة في أصول التفسير. لابن تيمية ص ٥١ ط ٢.

فريق يقول بوجود الترادف في العربيـة ، وأنه لا معنى لإقامة البرهان على جوازه بعد تحقق وقوعه كالبر والقمح ، والقعود والجلوس .

وهؤلاء يعتبـرون الترادف ميزة كبـرى للعربيـة ، ودليلا على ثرائهـا وسعتها وكثرة ألفاظها ـــ وهذا ما يتيح للكاتب والمتحدث بها مجـالا رحبا للاختيار من بين هذه المترادفات .

وفـريق آخـر من اللغـويين يقـول بعدم وقـوع التـرادف ؛ لأن وجـوده من الفضول والتزيّد الذي لا فائدة فيه ، ولا طائل تحته .

وهؤلاء يـرون أن ميزة العربيـة تكمن في تلك الفروق الدقيقـة بين الألفاظ وأنه يمكن معرفة هذه الفـروق ، كما يجوز العجز عن إدراك قسم منها ، وأنَّ عَجْزنا أو جهلنا بذلك ليس دليلا على عدم وجودها . وقد اهتم هذا الفريق بالتماس تلك الفروق ، وتأليف الكتب فيهـا . كما فعل أبو هلال العسكري في كتـابـه - الفروق في اللغـة ـــ وكمـا ورد في غيره من الكتب التـي تذكـر الفـروق ولـو لم تقتصـر عليهـا ، مثل : كتـاب (الكليـات) لأبي البقـاء الحسيني ، وكذلك مفردات الراغب الأصفهاني ، حيث يحاول وبدقة بالغة تحديد مدلولات الألفـاظ وبمثل ذلك يمكن أن تظهر الفروق بين الكلمات المقول بترادفها .

وقضية الفروق والترادف ، وإن بدت للوهلـة الأولى أنها قضية لغوية ، إلا أنها ـــ رغم شديد اتصالهـا باللغة العربيـة وفقهها ـ عظيمة الأثـر في تفسير القرآن الكريم وفهم معـانيه وخاصة إذا ما لاحظنا قـول ابن تيمية أن الترادف في القرآن الكريم إما معدوم وإما نادر.

كما أنهـا ذات أثر واضح في فهم نصـوص الأحاديث النبـوية الشـريفة ، وليس أدل على ذلك من حديث البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ قال : جاء

أعـرابي إلى رسـول الله ـ ﷺ فقـال : يـا رسول الله ، علمني عمـلا يـدخلني الجنـة . فقال : «لئن كنت أقصـرت الخطبـة لقد أعـرضت المسألـة ، أعتق النسمة وفك الـرقبة . فقـال : يا رسول الله ، أوليستـا بواحـدة . قال : لا. إن عتق النسمـة أن تفـرد بعتقهـا ، وفك الـرقبـة أن تعين في عتقهـا . والمنحـة الوكوف(١) ، والفيء على ذي الـرحم الظـالم ، فإن لم تطق ذلك فـاطعم الجـائع واسق الظمآن وأمـر بـالمعروف وأنـه عن المنكـر فإن لم تطق ذلك فكف لسانك إلا من الخير»(٢).

فكثيـر من الناس يعتقـد : أن فك الـرقبة وعتق النسمـة ، سيان ، وأنهمـا لفظـان مترادفـان من غير فـرق بينهما ، مع أن الأمـر مختلف كما هـو نص الحديث السابق .

وقد جاء أيضـا في حديث البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ــ في الدعاء ، والـذي أخـرجه البخـاري ومسلم . وفيـه : «آمنت بكتـابك الـذي أنـزلت ،

---

(١) المنحة الوكوف : هي غزيـرة اللبن ، وقيل التي لا ينقطع لبنها سنتها جميعها ؛ مأخوذة من وكف البيت والـدمع إذا تقاطـر. راجع : النهـاية في غـريب الحـديث . لابن الأثير جــ ٥ ص ٢٢٠ . والقاموس جـ ٣ ص ٢٠٦ .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده جـ ٤ ص ٢٩٩ ـ طبعة دار صـادر ـ، وأخرجه الحاكم في مستدركه في كتاب ـ المكاتب جـ ٢ ص ٢١٧ وصححه فقال عنه : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقـه الـذهبي في التلخيص جــ ٢ ص ٢١٧ ـ طبـع مع المستدرك . وأخـرجـه الطيـالسي في مسنده ط ١ جـ ٣ ص ١٠٠ ، وابن حبان في صحيحه في كتاب «العتق» (١٤) باب العتق(٣) . انظـر: موارد الظمـآن إلى زوائد ابن حبـان للهيثمي ص ٢٩٤ ، وأخرج محل الشـاهـد فيه عـلاء الدين في كنـز العمال في سنن الأقوال والأفعال جـ ١٠ ص ٣١٧ ، وأخـرجه البيهقي في السنن الكبرى جـ ١٠ ص ٢٧٣ . واستـدل به ابن كثير في تفسيـره جـ ٤ ص ٥١٤ ـ وتوجـد اختلافات طفيفة جدا في بعض الروايات ـ وقـال ابن حجر في فتح الباري في شرح كتاب العتق (٤٩) باب العتق وفضله (١) جـ ٥ ص ١٤٦ قوله : « وجاء في حديث صحيح : أن فك الرقبة مختص بمن أعان في عتقها حتى تعتق) رواه أحمـد وابن حبان والحاكم من حديث البـراء . . . » كما نبه على ذلك أيضا في فتح الباري جـ ٨ ص ٧٠٤ .

وبنبيك الـذي أرسلت» أن البـراء بن عـازب حينمـا أراد أن يعيـد ذكـر هـذا الـدعاء على النبي ﷺ . قـال : « آمنت بكتابـك الذي أنـزلت . وبرسـولك الذي أرسلت» قال له النبي ـ ﷺ ـ : لا . وبنبيك الذي أرسلت[1] .

فلم يقبل ﷺ منه وضع لفظة رسول بدل نبي . مع أن الأمر في نظر بعض الناس لا يختلف وأن إحدى اللفظتين تؤدي كامل معنى الأخرى ولا فرق .

وفي مثل هذه الأحاديث مـا يكفي لبيان أهمية تحديد مـدلولات الألفاظ وتحرى الـدقة بمعرفـة الفروق بينها ، لمـا لها من كبير الأثـر في فهم معاني النصوص القـرآنية والحديثيـة وتفسيرها ، وفقـه أحكامها . ولهـذا لم يقتصر تناول هذه القضيـة على علماء اللغة وحدهم ، بل تناولهـا الأصوليون حيث كانت غايتهم استنباط الأحكام من النصوص . فكان يعنيهم أن يقطعوا برأي في هذه المسألة .

---

(١) أخرجه البخاري في بـاب إذا بات طاهرا . فتح الباري جـ ١١ ص ١٠٩ ، وبـاب ما يقول إذا نام جـ ١١ ص ١١٣ ، وباب النوم على الشق الأيمن جـ ١١ ص ١١٥ .
وأخرجه مسلم في باب الدعاء عند النوم جـ ١٧ ص ٣٢ وما بعدها ـ بشرح النووي ـ وانظر كذلك في جامع الأصول في أحاديث الرسول جـ ٤ ص ٢٦١ . وفي المسند جـ ٤ ص ٢٩٢ .

الباب الأول

الترادف والفروق عند علماء العربية

ويشمل ثلاثة فصول :-

الفصل الأول

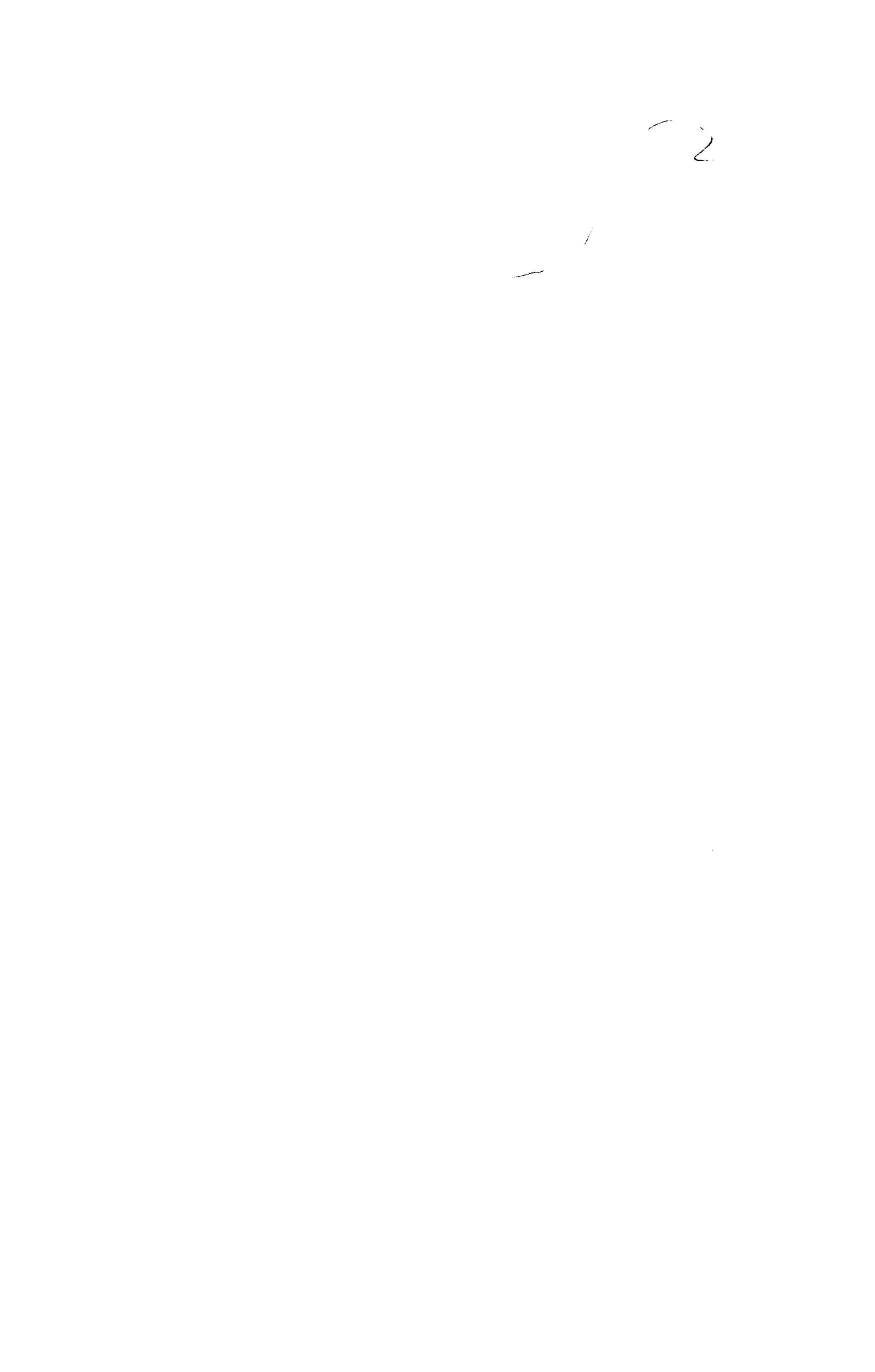
تعريف الترادف بين المتقدمين والمتأخرين

الفصل الثاني

مذهب القائلين بالترادف

الفصل الثالث

مذهب القائلين بالفروق



الفصل الأول

تعريف الترادف بين المتقدمين والمتأخرين

ويشمل الآتي :

١ ـ الترادف في اللغة.

٢ ـ شروط الترادف عند المحدثين.

٣ ـ توسيع دائرة الترادف.

٤ ـ أثر الاختلاف في تعريف الترادف

بعد أن عرفنا أهمية القول بالترادف أو الفروق في تفسير النصوص القرآنية والحديثية، لا بد لنا أن نتعرف على مذاهب علماء اللغة القدامى والمحدثين في هذا الموضوع المهم، ولما كان تعريف الترادف منطلق الخلاف عندهم في هذه القضية الكبيرة فإنه يحسن بنا أن نبدأ كلامنا بتعريف الترادف.

١ – الترادف في اللغة:

يرى أصحاب المعاجم العربية «أن الترادف في اللغة يأتي بمعنى التتابع، فقد جاء في لسان العرب قوله: «الردف ما تبع الشيء وكل شيء تبع شيئا فهو ردفه، وإذا تتابع شيء خلف شيء فهو الترادف»[1].

فمعنى الترادف عند أصحاب المعاجم العربية القديمة لا يخرج عن معنى التتابع، وبهذا يظهر أن استعمال لفظة (الترادف) بالمعنى الذي اشتهرت به أخيرا من أنه: توالي الألفاظ المفردة على معنى واحد ـ أو نحو هذا ـ، إنما هو اصطلاح متأخر، إذ إنه ليس مستعملا في المعاجم العربية الأولى بهذا المفهوم ـ بل إنه ليس عربيا قحا وإنما هو من قبيل المولد كما صرحت بذلك بعض معاجم اللغة، حيث جاء في القاموس المحيط قوله: «والمترادف من القوافي: ما اجتمع فيه ساكنان. وأن تكون أسماء لشيء واحد، وهي مولّدة»[2]. ومثل هذا جاء في تاج العروس.

---

(١) لسان العرب لابن منظور جـ ١١ ص ١٣. المؤسسة المصرية للتأليف والانباء والنشر. وانظر كذلك:

أ ـ تهذيب الصحاح للزنجاني جـ ٢ ص ٣٥٦.

ب ـ الصحاح للجواهري جـ ١ ص ٤٧٦.

جـ ـ تاج العروس من جواهر القاموس. للزبيدي جـ ٦ ص ١١٦ ط ١.

(٢) القاموس المحيط. للفيروزآبادي جـ ٣ ص ١٤٤.

قال : «والمترادف : أن تكون أسماء لشيء واحد وهي **مولّدة**، ومشتقة من تراكب الأشياء»[1].

يؤيد هذا، أن الكلام عند أغلب علماء العربية المتقدمين، حول ما يسمى الآن بالمترادف، يدخل تحت عنوان علاقة اللفظ بالمعنى من حيث الاتفاق والاختلاف.

ويعتبر الأصمعي مِنْ أول مَنْ ألف كتابا مستقلا في هذا المعنى. وقد سماه: «ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه».

وحديث سيبويه في هذا الباب جاء تحت عنوان: «هذا باب اللفظ للمعاني». قال فيه: «اعلم أن من كلامهم ــ يعني العرب ــ اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ــ إلى أن قال ـ فاختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو: ذهب وانطلق . . »[2].

وهذا التقسيم هو ما اشتهر أخيرا وعرف بالتباين، والترادف، والاشتراك وقد جعل المبرد من خصائص كلام العرب : اختلاف اللفظين واختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين. ومثّل لاختلاف اللفظين والمعنى واحد بنحو قولك: ظننت وحسبت، وقعدت وجلست، وذراع وساعد، وأنف ومرسن»[3].

أما ابن فارس، وهو من القائلين بالفروق، فإنه يتحدث عما نسميه الترادف تحت: «باب الأسماء كيف تقع على المسميات». وفيه يقول:

---

(١) تاج العروس. للزبيدي جـ٦ ص ١١٦ ط ١.

(٢) انظر: الكتاب. لسيبويه ط ٢ جـ١ ص ٢٤. تحقيق عبد السلام هارون.

(٣) انظر: كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد. للمبرد القاهرة سنة ١٣٥٠هـ ص٢.

«يسمى الشيئان المختلفان بالاسمين المختلفين، وذلك أكثر الكلام كرجل وفرس، وتسمي ـ يعني العرب ـ الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد. . . وتسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو السيف والمهند والحسام. . . »[1].

كما يذكر ذلك أيضا عند حديثه عن أجناس الكلام في الاتفاق والافتراق في قوله: «ومنه اختلاف اللفظ واتفاق المعنى كقولنا: سيف وعضب، وليث وأسد ـ ثم يعقب على ذلك بقوله: على مذهبنا في أن كل واحد منهما فيه ما ليس في الآخر من معنى وفائدة»[2].

وكذلك يتحدث ابن جني في كتابه الخصائص عن هذا الموضوع تحت عنوان: «باب في إيراد المعنى المراد بغير اللفظ المعتاد».

ويفهم من هذا العنوان أن الأصل اختصاص المعنى بلفظ خاص به، معتاد له، وأن تأدية هذا المعنى بلفظ آخر كأنه من باب المسامحة.

وهو يرى أن هذا ونحوه هو الذي نقل إلينا أشعار العرب وحكاياتهم، بألفاظ مختلفة على معان متفقة وأن من أصول اللغة العربية اختلاف اللفظين والمعنى واحد[3].

كما يتحدث عن أسباب تعدد الألفاظ مع اتحاد المعنى في باب يفرده لذلك تحت عنوان ـ باب الفصيح يجتمع في كلامه لغتان فصاعدا ـ[4].

وكذلك الأمر عند أبي هلال العسكري حيث لم يستخدم لفظة (الترادف) في كتابه ـ الفروق في اللغة ـ وهو يتحدث في الجانب الآخر

---

(١) انظر: الصاحبي في فقه اللغة. لابن فارس ص ٩٦.

(٢) الصاحبي لابن فارس ص ٢٠٢.

(٣) انظر: الخصائص لابن جني جـ ٢ ص ٤٦٨ ـ ٤٦٩.

(٤) انظر: الخصائص لابن جني جـ ١ ص ٣٧٠ وما بعدها.

لهذه القضية، ومن ثم لم يتعرض لهـذا الاصطلاح بتعريف دقيق. وإن منع أن يكون اللفظان يدلان على معنى واحد.

فمن عبارات المتقدمين السـابقة يستفاد أن الترادف: هـو توالي الألفاظ المختلفة على معنى واحـد. دون أن يكون هناك شروط أخرى، إضـافة إلى أن تلك العبارات تدل وتؤكـد على أن استعمال لفظ «الترادف» بهذا المعنى كان متأخرا، وأنه مولد، ولم يكـن متداولا بين علماء اللغة المتقدمين وهذا يفسـر لنـا عدم وجـود تعـريف دقيق واضح للتـرادف عنـدهم، وذلك رغم أهمية التعريف في فهم القضية المطروحة، وتحديد المواقف تجاهها وهذا يعتبر من أهم أسباب الاختـلاف والاضطراب في هذه القضية كمـا يفسر لنا أيضا سبب تناقل متأخري اللغـويين تعريف الترادف عن الأصوليين. حيث نرى العالم اللغوي محمد بن مرتضى الزبيدي صاحب كتاب ـ تاج العروس من جواهر القـاموس ـ حينما تحـدث عن تعريف الترادف في مقدمـة كتابه هذا والتي اشتملت على عشـرة مقاصد نجـده يعرفه بتعريف الفخـر الرازي له[١].

ولم يكتف بما جاء في كتـابه هذا عند حديثه عن لفظـة المترادف وأنها: أسماء لشيء واحد[٢]. ومثل هذا فعل السيوطي في كتابـه ـ المزهر ـ حيث أورد تعريف الفخر الرازي أيضا[٣]، وهذا يدل على مدى مشاركة الأصوليين في بحث قضية الترادف. وهو ما نجده واضحا لدى اللغويين المتأخرين. بما يـذكرونه من آراء الأصوليين في هـذه المسألة وهو ما سنتحـدث عنه في مكانه ـ إن شاء الله ـ.

(١) انظر: مقدمة تاج العروس جـ ١ ص ٩ ط ١.

(٢) تاج العروس جـ ٦ ص ١١٦.

(٣) المزهر للسيوطي جـ ١ ص ٤٠٢.

ولعل من أول من استعمل اصطلاح ـ الترادف ـ وألف فيه تحت هذا العنوان؛ أبو الحسن علي بن عيسى الرماني في كتابه ـ الألفاظ المترادفة ـ مع أنه لم يتعرض له بتعريف. وإنما ابتدأ كلامه فيه بذكر الأمثلة عليه.

٢ - شروط الترادف عند المحدثين:

إذا كان علماء اللغة المتقدمون وقفوا عند مجرد تعريف الترادف بأنه توارد الألفاظ المتعددة على المعنى الواحد، وأن ذلك من خصائص كلام العرب، ولم يخوضوا في تحليل التعريف وبيان شروطه؛ فإن الأصوليين من العلماء قد تحدثوا بإسهاب حول تعريف الترادف وشروطه وسنعرض آراءهم في ذلك في مكانها من هذا البحث. ولننظر الآن رأي علماء اللغة المحدثين في تعريف الترادف وشروطه.

ذلك أن توسع بعض كتب اللغة في عد كثير من الألفاظ من قبيل المترادفات لمجرد وجود بعض التقارب أو التشابه المعنوي بينها؛ دفع باللغويين المحدثين إلى دراسة هذه القضية. وإعادة النظر في تعريف الترادف ضمن شروط جديدة. وهذه الشروط الجديدة التي وضعها المحدثون:

١ ـ **الاتحاد التام في المفهوم**: فوجود فروق مهما كانت طفيفة بين الألفاظ يخرجها من دائرة الترادف. ويعتبر ذلك سببا كافيا في عدم عدها من المترادفات.

٢ ـ **الاتحاد في البيئة اللغوية**: وذلك بانتماء الكلمتين إلى لهجة واحدة. أو إلى مجموعة لهجات متجانسة. ومنسجمة. فكأن الترادف بمعناه الدقيق: «هو أن يكون للرجل الواحد في البيئة الواحدة، الحرية في استعمال كلمتين أو أكثر في معنى واحد. يختار هذه حينا، ويختار

تلك حينا آخر. وفي كلتا الحالتين لا يكاد يشعر بفرق بينهما إلا بمقدار ما يسمح به مجال القول أو الأسلوب»[1].

٣ ـ **اتحاد العصر:** فالمحدثون من اللغويين حين ينظرون إلى المترادفات ينظرون إليها في عهد خاص وزمن معين. ولا يحبذون تلك النظرة التاريخية التي ينظر من خلالها إلى الألفاظ كمجموعة واحدة، مهما اختلفت عصورها[2].

٤ ـ **ألا يكون أحد اللفظين نتيجة تطور صوتي للفظ آخر:** لأنه حين يكون اختلاف اللفظين من هذا القبيل، ينبغي اعتبارهما لفظاً واحداً لا لفظين مترادفين. نحو الجثل والجفل بمعنى النمل. فهما لفظان متحدان وزنا ومعنى مما يبدو معه أن أحدهما أصل للآخر، وإن ما بينهما من خلاف إنما هو نتيجة تطور صوتي، ولا يؤثر على ذلك أي منهما كان هو الأصل والآخر تطور له[3].

وبتطبيق هذه الشروط على اللغة العربية، وأخذها في الاعتبار عند الحكم على الألفاظ بالترادف أو عدمه؛ ننتهي إلى تضييق دائرة الترادف، وأنه لا يكاد يوجد إلا بقلة.

ويأتي في مقدمة الذين يقولون بهذه الشروط، وينظرون هذه النظرة: الدكتور إبراهيم أنيس. ومما يلاحظ هنا على الدكتور إبراهيم أنيس أنه

---

(١) في اللهجات العربية. إبراهيم أنيس ص ١٧٨، وانظر: اللهجات العربية د. إبراهيم محمد نجا ص ١١٦.

(٢) انظر: في اللهجات العربية. إبراهيم أنيس ص ١٧٩ واللهجات العربية د. إبراهيم محمد نجا ص ١١٧.

(٣) انظر: في اللهجات العربية / إبراهيم أنيس ص ١٧٩، وانظر: اللهجات العربية د. إبراهيم محمد نجا ص ١١٨ ولمزيد من الأمثلة لمثل ذلك التطور. انظر: ص ١٨٤ وما بعدها. من كتاب «في اللهجات العربية».

يحاول تطبيق المنهج الغربي للدراسات اللغوية على اللغة العربية يتضح ذلك من طريقة عرضه وأسلوبه، وليس هناك إنكار على الاستفادة من الدراسات اللغوية الحديثة، غير أنه لا بد أن يكون ذلك ضمن منطق اللغة العربية وأصالتها؛ لأن لكل لغة شخصيتها ومصطلحاتها، ولا يمكن دائما إخضاعها لمنطق واحد تسير عليه لغة من اللغات.

وأما الدكتور كمال بشر فقد اختار لتعريف الترادف تعريف الأستاذ «ستيفن أولمان» في كتابه (دور الكلمة في اللغة) ـ الذي ترجمه له ـ حيث يعرِّف المترادفات بأنها:

« ألفاظ متحدة المعنى وقابلة للتبادل فيما بينها في أي سياق »[1].

واشتراط قابلية التبادل بين الألفاظ في كل سياق، يؤدي في نهاية المطاف، إلى عدم إمكان التبادل بين الألفاظ إلا في الحدود الضيقة جدا. مما يجعل المترادفات في حقيقتها ليست أكثر من أنصاف أو أشباه مترادفات؛ لأن الألفاظ غالبا لا تستعمل في السياق الواحد، أو الأسلوب الواحد من غير تمييز دائما[2].

ويرى الأستاذ علي الجارم أن المعنى الدقيق للترادف يقتضي أن تدل الكلمات المترادفة على معنى واحد على التحديد، لا على التقريب، وأن يكون تشابه المعنى فيها كاملاً، وأنها إن صح التشبيه دوائر متحدة في المركز والمحيط[3].

---

(1) دور الكلمة في اللغة ـ تأليف/ ستيفن أولمان. ترجمة د. كمال بشر ص ٩٧. وانظر حاشية ص١١٠.

(2) راجع دور الكلمة في اللغة ص ٩٨.

(3) مجلة مجمع اللغة العربية الملكي جـ ١ ص ٣٠٨ سنة ١٣٥٣هـ.

ومن خلال الشروط التي عرضها علماء اللغة المحدثون والتي هي متأثرة بالمنهج الغربي كما أشرت إلى ذلك من قبل نرى أنهم يحاولون تضييق دائرة الترادف إلى أبعد حدٍّ ممكن، ومع ذلك فقد وجد من العلماء المحدثين من ذهب إلى توسيع دائرة الترادف مخالفا بذلك هذا الاتجاه العام.

٣ـ توسيع دائرة الترادف:

يرى الشيخ الطاهر بن عاشور أن الصيغ المختلفة الدالة على معنى واحد من قبيل المترادف، كما تدل صيغ جمع السلامة وجمع التكسير على مطلق الجمع.

والسيف والحسام مترادفان لدلالة كل منهما على شيء واحد. سواء أكان الحسام في القديم يدل على وصف في السيف أم لا، ذلك لأن لفظ الحسام قد أصبح الآن مساويا في الدلالة للفظ السيف.

وقد اختار لتعريف الترادف: «أنه لفظ مفرد دال بالوضع على معنى قد دل عليه بالوضع لفظ آخر مفرد يخالفه في بعض حروفه الموضوع عليها بحيث تنطق به قبائل العرب كلها إذا شاءت.

أو ألفاظ مفردة كذلك بشرط استقلال تلك المفردات في الاستعمال وفي الدلالة»[١].

فاللفظ يشمل: الاسم، والفعل، والحرف.

والدلالة بالوضع على معنى: أريد بها إخراج الألفاظ المستعملة في معاني مجازية، أو كنائية؛ لأن ذلك الاستعمال دلت عليه القرينة المانعة

---

(١) مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية جـ ٤ ص ٢٢٢ سنة ١٣٥٦هـ. من مقال للشيخ محمد الطاهر بن عاشور. شيخ المذهب المالكي بتونس، وعضو المجمع اللغوي.

أو المعيّنة، وليس بأصالة الوضع.

والمراد بأنه قد دل على ذلك المعنى بالوضع لفظ آخر، أريد به شمول كل ما يدل على معنى في العربية، فكما يشمل الكلمات المفردة كالقمح والبر، والذهب والعسجد، فإنه كذلك يشمل الصيغ المختلفة المؤدية مؤدى واحدا فإنها من المترادف كذلك. كدلالة صيغ جمع السلامة، وجمع التكسير على مطلق الجمع، ودلالة الجموع المتعددة للمفرد على الجمع في التكثير أو التقليل، وكذلك دلالة الأدوات على معنى واحد كدلالة لام الأمر وصيغة الأمر على معنى الطلب الجازم.

ودلالة بعض الحروف على ما يدل عليه حرف آخر نحو: مذ ومنذ. ونحو ذلك.

وتقييد اللفظ بالمفرد قصد به إخراج المركبات التقييدية[١]، والإضافية[٢]، والإسنادية[٣]. فإنها قد تفيد معاني متساوية لكن هذه الفائدة جاءت بسبب التركيب. فعبد الله تساوي عابد الرحمن، وغربت الشمس تساوي انقضى النهار، فليس شيء من ذلك بمترادف.

أما ما جاء في تعريف الطاهر بن عاشور من قوله: ـ يخالفه في بعض حروفه الموضوع عليها بحيث تنطق به قبائل العرب كلها إذا شاءت. فقد أراد به أن لا يعد من المترادف ما كان بين اللفظين أو الألفاظ من الاختلاف في كيفية نطق قبائل العرب، أو القبيلة الواحدة من إثبات همز أو تسهيله

---

(١) المركبات التقييدية هي: ما ركب من صفة وموصوف ينزلان منزلة الكلمة الواحدة. نحو الحيوان الناطق. يراد به الإنسان.

(٢) المركبات الإضافية هي: ما صارت من المضاف والمضاف إليه عبارة عن لفظ واحد. نحو عبد شمس، وعبد الله.

(٣) المركبات الإسنادية هي: ما يسمى به من الجمل علما، نحو: تأبط شرا، علما على رجل.

ومن إشباع حركة أو ضد ذلك، ومن إثبات حرف أو حذفه تخفيفا ومن إبدال حرف بمقاربه ومن اختلاف النطق بالحرف كما يقال: ذئب، وذيب. وغير ذلك مما يعود أغلبه إلى التطور الصوتي للكلمة، أو كان من تمايز اللهجات كعجعجة قضاعة، وكشكشة تميم وعنعنتهم... وغير ذلك.

فإنّ اختلاف الألفاظ على تلك الصور لا يعني أنها ألفاظ مترادفة. بل هي لفظة واحدة.

واشتراط الاستقلال قصد به إخراج التابع نحو حسن بسن[1].

ومع ما في هذا القول من توسعة لدائرة الترادف، إلا أن الشيخ ابن عاشور يرى أنه مع ذلك مقتصد في دعوى الترادف، وأنه لا يريد أن يقع فيما وقع فيه ظاهرية اللغويين من الحكم بالترادف بين كلمات تقاربت معانيها، مما أدى إلى التجرؤ على اعتقاد الترادف بين الكثير من الألفاظ، وعلى استعمال بعضها في موقع بعض فكان ذلك مبدأ أخطاء كثيرة، ومن هنا جاء تحذيره من الغفلة عن الفروق بين الكلمات، وفي ذات الوقت يحذر من الغلو في دعوى وجود الفروق بين مترادفات كثيرة. مما يرمى إلى الوقوع في تعسفات ثقيلة. ويمثل لهذا التعسف بمن يطلب الفرق بين القعود والجلوس، وبين النأي والبعد، وبين الكذب والمين.

مع إن هذه الأمثلة وبصفة خاصة ــ القعود والجلوس ـ من أوضح وأشهر الأمثلة لتوضيح الفروق بين الألفاظ التي يقال بترادفها.

ورغم محاولة الشيخ ابن عاشور في أن تكون نظرته لهذه القضية متوازنة بين توسيع دائرة الترادف وتضييقها. إلا أنه يمكن اعتباره ممن يميل إلى توسيع دائرة الترادف نوعاً ما. خصوصاً أن رأيه يقوم على أساس النظر إلى ما انتهى إليه تطور دلالات الألفاظ دون النظر إلى الألفاظ في أصل وضعها واشتقاقها. والاعتبارات المصاحبة لذلك. ومن هنا نراه يعد السيف

---

(١) راجع مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية جـ ٤ ص ٢٤٣ ـ من مقال للطاهر بن عاشور عن الترادف.

والحسام لفظين مترادفين لدلالة كل من هـذين اللفظين على شيء واحد، مع صرف النظر عن كـون الحسام في القديم دالا على وصف في السيف، أم لم يكن؛ لأن لفظ الحسام قد أصبح مساويا في الدلالة للفظ السيف.

٤ ـ أثر الاختلاف في تعريف الترادف:

من خلال التعريفـات التي سبق إيضاحها للترادف ـ وهي بعضها إذ أن للأصوليين تعريفهم للترادف، وهو ما سيرد الحديث عنه في حينه ـ إن شاء الله ـ نجـد أن الاختـلاف في فهم التـرادف يتـراوح بين تـوسيع دائرتـه، وتضييقهـا. فبعضهم يـرى أن المعنى الـدقيق للتـرادف يقتضي أن تـدل الكلمـات المترادفـة على معنى واحد على التحـديد لا على التقـريب، إذ مجرد وجود أدنى الفروق وأقلها بين الألفاظ يخرجها عن الترادف.

بينما يـرى بعضهم أن المترادفات كلمـات متشابهـة في المعنى الأساس مع قليل من التبـاين في نـواحٍ أخـرى. أو أنهـا تشتـرك في المعنى العـام. ولكن كل واحدة منها تختص بنصيب تنفـرد به دون الأخرى، وأن المقصود أنهـا رغم شدة تشـابه معـانيها، تتضمن فـروقا جـزئية. سـواء أكانت هـذه الفروق مصاحبة للكلمة في أصل الـوضع أم طارئة عليها بالاستعمال، وإما أنها جـاءت إليها من تصرف البلغاء وأسـاطين البيان(١). وهذا يعنـي وجود بعض الفروق بين الألفـاظ وإن ذلك لا يمنع من اعتبارهـا مترادفـة وإطلاق هذه التسمية عليها. فهذا الاختلاف في تحـديد معنى الترادف، يعتبر أحد الأسباب المهمة التي دعت بعض العلماء إلى إنكار وجود الترادف، ودعت

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية الملكي جـ١ ص ٣٠٧.

آخرين إلى تضييق شقته والاعتقاد «بأنه لا يكـاد يوجد في اللهجات العربية القـديمة، وإنمـا يمكن أن يلتمس في اللغة النمـوذجية الأدبيـة»[1]. كما حمل بعضهم على النظـر إلى التــرادف كـآفـة أصـابت اللغـة في عصـور الانحطاط[2]. فأصبح بذلك قضية تلتمس حلا[3].

بينمـا هناك من يـرى كثـرة وضع المترادفـات، حيث تنفـرد هذه القبيلـة بكلمة، وتنفرد تلك بكلمة أخـرى، لا هذه تأخذ عن تلك، ولا تلك تأخذ عن هذه، فلو سار الواحد في غير قبيلته لسار بترجمان ![4].

وهذا الاختلاف يعود إلى عدم الاتفاق على تحديد معنى الترادف، وفهم مدلـوله. فأغلب الذين يتحدثـون عن الترادف لكل منهم مفهومـه الخاص للترادف، فهناك من يقول بالترادف. ويمثل له بأسماء السيف نحو الصارم والحسام، بينمـا هذه الأسماء ليست من المترادف عنـد آخرين، بل أغلب من يقولون بالترادف[5] نظرا لاختلاف الاعتبار في هذه الأسماء.

وهذا يعني أنـه بتحديد معنى الترادف بـدقة يقرب القائلون بـالترادف من القائلين بالفـروق، ويكون الخلاف بينهما شبه لفظي في أكثـر الأحيان نظرا للشروط التي يضعونها في اعتبار الترادف.

---

(١) في اللهجات العربية. إبراهيم أنيس ص ١٧٩.

(٢) الأستاذ محمد المبارك في كتابه. فقه اللغة وخصائص العربية ص ٣١٨.

(٣) الـدكتـورة عائشـة عبـد الـرحمن في كتـابهـا: الإعجاز البيـاني للقـرآن، ومسـائل ابن الأزرق. ص١٩٤.

(٤) الأستاذ خليل السكاكيني. مجلة مجمع اللغة العربية جـ٨ ص ١٢٥.

(٥) كما هو مذهب الأصوليين. كالآمدي، والغزالي، والشوكاني وغيرهم.

الفصل الثاني

مذهب القائلين بالترادف

ويشتمل على المباحث التالية:

١ ـ مذهب القائلين بالترادف وأدلتهم.

٢ ـ القائلون بالترادف من علماء العربية.

٣ ـ أسباب وقوع الترادف وكثرته.

٤ ـ فوائد الترادف.

٥ ـ التأليف في المترادف.

المبحث الأول
مذهب القائلين بالترادف وأدلتهم

ذهب جماعة من علماء اللغة العربية، وفقهائها إلى القول بوجود الترادف في اللغة العربية، وأنه لا معنى لإقامة البرهان على جوازه بعد تحقق وقوعه، كالبر والقمح، والقعود والجلوس.

فإنكار الترادف إنما جاء من تعسفات الاشتقاقيين التي لا يشهد لها شبهة فضلا أن يقوم لها حجة(١).

والقائلون بالترادف يستدلون على صحة ما ذهبوا إليه بما يلي: ـ

أولا: إن وقوع الترادف في اللغة يغني عن التماس الأدلة لجواز هذا الوقوع كالبر والقمح، والسيف والصارم والمهند، والإنسان والبشر.

وقد قطع البنّاني بأن العرب تطلق «الإنسان» حيث لا يخطر ببالها معنى النسيان أو الإنس ـ وهو ما يقوله المنكرون للترادف ـ و«البشر» حيث لا يخطر ببالها معنى بادي البشرة، وذلك يقتضي عدم اعتبار ذلك المعنى، وإلا لم يتصور إطلاقهم له، واستعماله في معناه من غير ملاحظة ذلك، مع أنه جزء المعنى على هذا التقدير، ولا يمكن استعمال اللفظ في معناه من غير ملاحظة جزئه(٢).

ثانيا: إن أبا هرير ـ رضي الله عنه ـ لقي النبي ﷺ، وقد وقعت من يده السكين فقال له ناولني السكين، فالتفت أبو هريرة يمنة ويسرة ولم يفهم ما المراد بهذا اللفظ، فكرر له القول ثانية وثالثة وهو يفعل ذلك. ثم قال «آلمدية تريد؟» فقيل له: نعم. فقال أو تسمى عندكم سكينا؟ ثم قال والله لم أكن سمعتها إلا يومئذ.

---

(١) المزهر في اللغة للسيوطي جـ١ ص٤٠٣.

(٢) حاشية البناني على شرح الجلال المحلى على جمع الجوامع لابن السبكي جـ١ ص٢١٧.

فهذا دليل صريح على ترادف السكين والمدية.

وقد ناقش إبراهيم أنيس هذا الدليل مترددا في قبول هذه القصة، لأن كلمة (السكين) وردت في سورة يوسف في قوله تعالى: ﴿**فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن...**﴾[1] وسورة يوسف مكية وهذا يعني أنها كانت موضع مدارسة وحفظ قبل الهجرة وبعدها. ولا تغيب عن ذهن أحد من المسلمين الذين اتصلوا بالرسول ﷺ وتأدبوا بأدبه. والقصة فيما يظهر قد تمت وقائعها في المدينة؛ لأن أبا هريرة أسلم في السنة الثامنة للهجرة ولا نستطيع أن نتصور رجلا مثل أبي هريرة وهو من هو في رواية الحديث، والاتصال بالنبي ﷺ ذلك الاتصال الوثيق لم يكن على علم بما نزل من سورة مكية كانت تحفظ وتدرس ويتعبد بها بين المسلمين في المدينة، هذا إلى أن أبا هريرة من دوس وهي بطن من قبيلة بالحارث التي عاشت على مسافة غير بعيدة من مكة. وكان أهلها على اتصال بالبيئة الحجازية قبل الإسلام فكيف غاب عنه مثل هذا اللفظ الشائع هناك؟[2].

ولا يخلو هذا التردد من ملاحظة، فوجود كلمة السكين في القرآن واستبعاد عدم سماع أبي هريرة لها، لا يكفي في رد هذه القصة؛ نظراً لتأخر إسلام أبي هريرة رضي الله عنه، ولإمكانية حدوث هذه القصة بعيد إسلامه مباشرة قبل أن يتمكن من فهم كل ما نزل من القرآن الكريم. وهذا احتمال قريب الحدوث جدا.

ولم أجد حادثة أبي هريرة كما جاءت روايتها سابقا مع أنها متداولة في بعض كتب اللغة المتأخرة. وما وجدته هو ما أخرجه البخاري في صحيحه

---

(١) سورة يوسف آية ٣١.

(٢) في اللهجات العربية ص ١٧٦، ١٧٧.

في كتاب أحاديث الأنبياء عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ، أنه قال : كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن أحدهما ، فقالت صاحبتها : إنما ذهب بابنك . وقالت الأخرى : إنما ذهب بابنك . فتحاكمتا إلى داود فقضى به للكبري فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرتاه فقال : أتوني بالسكين أشقه بينهما . فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنها . فقضى به للصغرى .

قال أبو هرير: والله إن سمعت بالسكين إلا يومئذ، وما كنا نقول إلا المدية[1].

والشاهد في هذا الحديث قائم بلفظة أبي هريرة رضي الله عنه ، كما يفيد بأن هذه هي المرة الأولى التي سمع فيها أبو هريرة لفظة ـ السكين ـ .

وقد جاء حديث آخر عن أبي هريرة ، وفيه لفظة (السكين) ولم يعلق عليها بشيء ، إذ يبدو أنه عرف اللفظة وألفها . حيث أخرج الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : من جعل قاضيا بين الناس فقد ذبح بغير سكين[2].

ثالثا : يسوقون قصة ورد ذكرها في بعض كتب الأدب وهي أن رجلا من بني كلاب ، أو من سائر بني عامر بن صعصعة ، خرج إلى ذي جدن من ملوك اليمن فأطلع إلى سطح والملك عليه ، فلما رآه الملك قال له : «ثب» يريد : «أقعد» . فقال الرجل ليعلم الملك أني سامع مطيع ، ثم وثب من

---

(١) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري جـ ٦ ص ٤٥٨ ـ كتاب أحاديث الأنبياء حديث رقم ٣٤٢٧ . وانظر طرفه في فتح الباري جـ ١٢ ص ٥٥ باب إذا ادعت المرأة ابنها رقم ٦٧٦٩ . وفيه قال أبو هريرة : والله إن سمعت بالسكين قط إلا يومئذ وما كنا نقول إلا المدية .
وانظر الحديث أيضا في مسند الإمام أحمد جـ ٢ ص ٣٢٢ .

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد تحقيق أحمد شاكر جـ ١٢ ص ١٣١ . طباعة دار المعارف بمصر، وقد قال عنه المحقق أحمد شاكر رحمه الله : إسناده صحيح .

السطح ودقت عنقه، فقال الملك: ما شأنه؟ فقالوا له: أبيت اللعن إن الوثب في لغة نزار الطمر. فقال الملك: ليست عربيتنا كعربيتهم. من دخل ظفار حمّر - أي من دخل مدينة ظفار اليمنية فليتكلم اللهجة الحميرية[1].

ويستدلون من هذا على ترادف - وثب، وقعد - وأنهما لفظان يعبران عن معنى واحد كما تشير إلى ذلك المعاجم، فهما إذا مترادفان.

ويرد القائلون بالفروق بأن في هذا مبالغة من أصحاب الترادف، لأن البيئتين مختلفتان، ومنع الترادف إنما هو في اللهجة الواحدة.

رابعا: قالوا لو كان لكل لفظة معنى غير معنى الأخرى، لما أمكن أن نعبر عن الشيء بغير عبارة واحدة، فنحن نقول في ﴿**لا ريب فيه**﴾: لا شك فيه فلو كان الريب غير الشك لكانت العبارة عن معنى الريب بالشك خطأ، فلما عبر بهذا عن هذا علم أن المعنى واحد.

وأنه لا حجة في الإتيان بالاسمين المختلفين للمعنى الواحد في مكان واحد، كما في قول الحطيئة:

ألا حبذا هند وأرض بها هند   وهند أتى من دونها النأي والبعد[2].

فإن النأي هنا هو البعد، والإتيان بهما معا إنما هو تأكيد ومبالغة.

---

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها. للسيوطي جـ ١ ص ٣٩٦، والخصائص لابن جني جـ ٢ ص٢٨، وقارن بالصاحبي لابن فارس ص ٥١ فقد سمي الرجل وأنه زيد بن عبد الله بن دارم، وأنه قدم على بعض ملوك حمير فألفاه في متصيد له على جبل مشرف فسلم عليه وانتسب، فقال له الملك. ثب أي اجلس. . . إلخ. وأورد عن ظمياء بنت عبد العزيز بن موألة قالت: حدثني أبي عن جدي موألة أن عامر بن الطفيل قدم على رسول الله ﷺ فوثّبه وساده. يريد فرشه أياها، وأجلسه عليها. قال والوثاب الفراش بلغة حمير. وهم يسمون الملك إذا كان لا يغزو موثبان. يريدون أنه يطيل الجلوس ولا يغزو. الصاحبي ص ٥١.

(٢) ديوان الحطيئة ص ٣٩.

ويرد القائلون بالفروق على هذا بقولهم : نحن نقول : إن في قعد معنًى ليس في جلس ؛ ألا ترى أنا نقول : قام ثم قعد ، وأخذه المقيم والمقعد ، وقعدت المرأة عن الحيض ، وتقول لناس من الخوارج قعد(١) ، ثم تقول كان مضطجعا فجلس ؛ فيكون القعود عن قيام والجلوس عن حالة هي دون الجلوس ؛ لأن الجلس المرتفع ، والجلوس ارتفاع عما هو دونه ، وعلى هذا يجري الباب كله .

وأما قولهم : إن المعنيين لو اختلفا لما جاز أن يعبر عن الشيء بالشيء ؛ فإنا نقول : إنما عبر عنه من طريق المشاكلة ، ولسنا نقول : إن اللفظتين مختلفتان فيلزمنا ما قالوه ؛ وإنما نقول : إن في كل واحدة منها معنى ليس في الأخرى(٢) .

خامسا : أن النبي - ﷺ - قد كتب كتبا إلى القبائل وباستعراضها نجد أن بعضها قد اشتمل على كلمات لم تكن مألوفة بين قومه - ﷺ - وكثيرا ما كانوا يسألونه عنها من ذلك أن رجلا سأل رسول الله - ﷺ - : أيدالك الرجل امرأته ؟ فقال ﷺ : نعم إذا كان ملفجا . فقال له أبو بكر - رضي الله عنه - : يا رسول الله ، ما قال لك وما قلت له ، قال - ﷺ - : قال : أيماطل الرجل امرأته ، قلت : نعم إذا كان مفلسا(٣) .

---

(١) القعدة : قوم من الخوارج قعدوا عن نصرة علي رضي الله عنه ، وعن مقاتلته . انظر : أساس البلاغة للزمخشري ص ٧٨٠ .

(٢) انظر : الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس ص ٩٦ ، ٩٧ ، وانظر : المزهر للسيوطي جـ ١ ص٤٠٤ ، ٤٠٥ .

(٣) ذكره العجلوني في كشف الخفاء (١/ ٧٠) عند كلامه على حديث : أدبني ربي فأحسن تأديبي .

وذكر تصحيح «أبو الفضل بن ناصر» له وجعله من معجزات نبينا ، وأن ثابت السرقطسي أخرجه في الدلائل بسند واهٍ وقال في اللآلئ : معناه صحيح لكن لم يأت بطريق صحيح .

فمن كتبه ﷺ : كتابه إلى وائل بن حجر الكندي ــ أحد ملوك حمير ـ والذي جاء فيه : «باسم الله الرحمن الرحيم من محمد ـ رسول الله ـ إلى الأقيال العباهلة[1] ، والأرواع المشابيب[2] . . . »[3] .

ففي هذا ما يدل على وقوع الترادف في اللغة ؛ لأن الكلمات التي استعملها ــ ﷺ ـ لها نظائر في لهجة قريش ، فهي مع نظائرها تعتبر من المترادفات[4] .

ويجيب عن هذا القائلون بالفروق باختلاف اللهجات ، إضافة إلى أن التفسير المعجمي لهذه الألفاظ يدل على اختصاصها ببعض المعاني التي تنفرد بها دون نظائرها .

---

(١) الاقيال العباهلة : ملوك اليمن الذين أقروا على ملكهم فلم يزالوا عنه ، ولا يد لأحد عليهم . انظر: تاج العروس جـ٨ ص ٤ .

(٢) الأرواع المشابيب : هم السادة الرؤوس ، الزهر الألوان ، الحسان المناظر. انظر: تاج العروس جـ١ ص ٣٠٩ .

(٣) انظر: كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، للقاضي عياض جـ ١ ص ١٧١ ، ١٧٢ . وانظر كذلك : كتاب مكاتيب الرسول ـ تأليف : علي بن حسين علي الأحمدي ، ص ٤٠٥ .

(٤) انظر: في اللهجات العربية ـ د. إبراهيم أنيس ص ١٧٧ .

المبحث الثاني
القائلون بالترادف من علماء العربية

القول بـالترادف مذهب كثير من علمـاء اللغة العربية، وفقهـائها منهم: أبو زيـد الأنصاري[1]، وابن خـالويـه[2]، والأصمعي، وسيبـويـه، وابن جني، والفيـروزآبادي، وقطـرب، وابن سيـده، وعلي بن عيسى الرمـاني، والهمـذاني، والأصفهـاني. واختلفت الـروايـة عن أبي علي الفـارسي[3]، والمبرد.

وسنستـدل بأقـوالهم لتتضح من خـلالهـا آراؤهم في قضيـة التـرادف والفروق.

١ ـ رأي أبي زيد الأنصاري:

لا يرى أبـو زيد الأنصاري مـا يمنع من التعبير عن المعنى الواحـد بأكثر

---

(١) هو سعيد بن أوس بن ثـابت الأنصاري، ولد سنة ١١٩هـ وتوفي سنة ٢١٥هـ. تقـريبا، الإمام المشهور، غلبت عليه اللغـة، والنوادر، والغريب، قيل إنه كان يحفظ ثلث اللغة. كـان سيبويه إذا قال ـ أخبرني الثقـة ـ عنى أبـا زيد. لـه تصانيف كثيـرة منها: النـوادر ـ في اللغـة. والهمز، والمطر، واللبأ واللبن، وهي مطبوعة. وله غيرها.

انظر: بغية الوعاة للسيوطي جـ١ ص ٥٨٢. والإعلام للزركلي جـ٣ ص ١٤٤.

(٢) هـو الحسين بن أحمد بن خـالـويه. أبـو عبـد الله الإمام المشهـور. لغـوي نحوي، أصلـه من همـذان. زار اليمن. وأقـام بـذمـار مـدة، وانتقل إلى الشـام. واستـوطن حلب، وعظمت بهـا شهرته، أدّب أولاد سيف الدولة الحمـداني. كان عالما بالعربية، حافظـا للغة، بصيرا بالقراءة، ثقة مشهـورا، له تصـانيف كثيرة منهـا. شرح الـدريديـة، إعراب ثـلاثين سورة، ليس فـي كلام العرب. وغيرها توفى سنة ٣٧٠هـ.

انظر: بغية الـوعاة في طبقات اللغويين والنحـاة. للسيوطي جـ١ ص ٥٢٩ والإعلام للـزركلي جـ٢ ص ٢٤٨.

(٣) المشهور عن أبي علي الفارسي أنه من القائلين بالفروق.

من لفظ واحد. كما يرى أن الأعرابي قد يحفظ أكثر من لفظ للتعبير عن معنى واحد. فقد روي أنه سأل أعرابيا: ما المحبنطئ[1]؟ قال: هو المتكأكيء[2]. فقال أبو زيد، وما المتكأكيء؟ قال هو المتآزف[3]. قال وما المتآزف؟ فسئم الأعرابي من مساءلته وقال له: أنت أحمق[4].

وهذه ألفاظ تدور حول معنى القصر. كما تفسر ذلك معاجم اللغة. بيد أن لكل لفظة معنى تختص به دون الأخرى. كما يتضح من تفسير معانيها وإن جمعها معنى عام واحد.

٢ ـ رأي ابن خالويه:

يفتخر ابن خالويه بحفظه خمسين اسما للسيف، كما روى ذلك عن أبي علي الفارسي قال: كنت بمجلس سيف الدولة بحلب وبالحضرة جماعة من أهل العلم وفيهم ابن خالويه، فقال ابن خالويه: أحفظ للسيف خمسين اسما، فتبسم أبو علي وقال ما أحفظ له إلا اسما واحدا، وهو السيف. قال ابن خالويه: فأين المهند والصارم وكذا وكذا؟

فقال أبو علي: هذه صفات. وكأن الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة[5].

كما أن ابن خالويه ألف كتابا في أسماء الأسد، وآخر في أسماء الحية. وفي هذا ما يدل على رأيه في مسألة الترادف.

---

(١) يقال رجل محبنطئ أي قصير سمين بطين، واحبنطأ: انتفخ جوفه، أو امتلأ غيظا ـ القاموس جـ ١ ص ١١.

(٢) المتكأكئ: القصير ـ القاموس جـ ١ ص ٢٥،

(٣) المتآزف: القصير المتداني ـ القاموس جـ ٣ ص ١١٧.

(٤) المزهر جـ ١ ص ٤١٣.

(٥) المزهر جـ ١ ص ٤٠٥.

٣ ـ رأي الأصمعي [١]:

نقل أحمد بن فارس خبر الأصمعي حين سأله الرشيد عن شعر غريب ففسره. فقال الرشيد: يا أصمعي، إن الغريب عندك لغير غريب. قال: يا أمير المؤمنين، ألا أكون كذلك وقد حفظت للحجر سبعين اسما ؟ [٢].

كما أن له كتابا اسمه (الألفاظ). وقد عده ابن سيده في كتابه ـ المخصص ـ [٣] أحد المصنفات في الترادف.

وله كتاب في الترادف أيضا اسمه (ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه) فهو أحد المؤلفين في الترادف، وفي هذا أوضح دليل على مذهبه في هذه المسألة.

٤ ـ رأي سيبويه [٤]:

قسّم سيبويه اللفظ إلى أقسام فقال: ـ هذا باب اللفظ للمعاني ـ اعلم

---

(١) هو عبد الملك بن قريب، أبو سعيد الأصمعي. نسبة إلى جده أصمع ولد سنة ١٢٢هـ وتوفي سنة ٢١٦هـ تقريبا في البصرة. أحد أئمة اللغة والغريب والأخبار، ورواية الأشعار، ومن أصحاب الملح والنوادر، قال عنه الشافعي: ما عبر أحد عن العرب بمثل عبارة الأصمعي. وقال ابن معين لم يكن ممن يكذب. وكان من أعلم الناس في فنه. وعرف عنه أنه كان يتقي أن يفسر الحديث كما يتقي أن يفسر القرآن. له كثير من المصنفات منها: الإبل، والأضداد، وخلق الإنسان ـ والفرق ـ أي الفرق بين أسماء الأعضاء من الإنسان والحيوان ـ ومنها الخيل والدارات، والنبات والشجر ـ وهي مطبوعة ـ وله كتاب الألفاظ وما اتفق لفظه واختلف معناه. وكتاب اللغات ـ وكتاب ما اختلف لفظه واتفق معناه ـ وغيرها.

راجع: بغية الوعاة للسيوطي جـ ٢ ص ١١٢. والإعلام للزركلي جـ ٤ ص ٣٠٧، وكتاب: الأصمعي حياته وآثاره تأليف د/ عبدالجبار الجومرد.

(٢) الصاحبي في فقه اللغة ص ٤٣ ـ ٤٤. والمزهر جـ ١ ص ٣٢٥.

(٣) المخصص لابن سيده جـ ١٣ ص ٢٥٩.

(٤) أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر. الملقب بسيبويه. إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو ولد في شيراز سنة ١٤٨هـ. لزم الخليل بن أحمد. وألف كتابه المشهور المسمى ـ الكتاب ـ ألف

أن من كلامهم ــ يعني العرب ــ اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين[1] . . .

ومثّل لاختلاف اللفظين واختلاف المعنيين بنحو: جلس، وذهب.

ولاختلاف اللفظين والمعنى واحد بنحو، ذهب، وانطلق.

واتفاق اللفظين والمعنى مختلف نحو قولك: وجدت عليه من الموجدة، ووجدت إذا أردت وجدان الضالة. وأشباه هذا كثير.

ويمكن أن نطلق على هذه التقسيمات أسماؤها التي اشتهرت بها أخيرا وأن الكلام عنده ينقسم إلى مباين، ومترادف ومشترك.

وفي هذا ما يشير إلى رأيه في الترادف، وتمثيله له بذهب، وانطلق.

٥ ـ رأي ابن جني[٢] :

يرى ابن جني أن من أصول اللغة العربية المقررة؛ اختلاف اللفظين والمعنى واحد. وأن العرب تعبر عن المعنى المراد، بغير اللفظ المعتاد؛ لأن المعنى مفاد من الموضعين جميعا. ولهذا سامح العرب أنفسهم في

=

عنه وعن كتابه بعض الكتب مثل ـ سيبويه ــ حياته، وكتابه ــ أحمد أحمد بدوي، و ــ سيبويه إمام النحاة ـ لعلي النجدي ناصف توفي سنة ١٨٠هـ.

انظر: بغية الوعاة جـ ٢ ص ٢٢٩. والإعلام جـ ٥ ص ٢٥٢.

(١) انظر: الكتاب لسيبويه جـ ١ ص ٢٤ ط ٢ عام ١٩٧٧م تحقيق / عبدالسلام هارون.

(٢) أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، من أئمة الأدب والنحو والصرف، ولد بالموصل، وتوفي ببغداد. عن نحو ٦٥ عاما لزم أبا علي الفارسي نحو أربعين عاما، وتصدر مكانه بعد وفاته، كان يقول عنه المتنبي «ابن جني اعرف بشعري مني»، من أشهر كتبه (الخصائص ــ فقه اللغة، وله: المحتسب، وسر الصناعة، وشرح الفصيح، وغيرها).

انظر: بغية الوعاة جـ ٢ ص ١٣٢ ط ١. الإعلام للزركلي جـ ٤ ص ٣٦٤.

العبارة عن هذا المعنى بغير لفظه المعتـاد، لأن المعاني عندهم أشرف من الألفاظ.

وتأدية المعنى الواحد بـالألفاظ المختلفة ـ وهو ما نسميه بـالترادف ـ هو الطريق الذي أدى إلينا أخبار العرب وأشعارهم.

يقـول في ذلك: «وهـذا ونحـوه عنـدنـا هـو الـذي أدى إلينـا أشعـارهم وحكايـاتهم بألفاظ مختلفة على معان متفقـة وكأن أحدهم إذا أورد المعنى المقصود بغير لفظه المعهود كأنه لم يأت إلا به، ولا عدل عنه إلى غيره، إذ الغرض منهما واحد وكل واحد منهما لصاحبه مرافد»[1].

ويرى ابن جني أن كثرة الألفاظ على المعنى الـواحد في لغة إنسان واحد تعـود في غـالب الأمر إلى تعـدد اللهجـات واختـلاف اللغات، وإن هـذا الإنسـان استفاد أكثـرها أو طـرفـا منها من اللهجـات الأخرى، لأن القبيلـة الـواحدة لا تتـواطأ في المعنى الـواحد على ألفـاظ كثيـرة في غالب الأمـر؛ وإنما هي لغات لجماعات اجتمعت لإنسان واحد من هنا ومن هنا[2].

ويتلخص رأي ابن جني بأن الأصل أن يكـون للمعنى الواحـد لفظ واحد وهو ما يوحي به عنوانه في هذا المبحث وهو ـ باب إيراد المعنى المراد بغير اللفظ المعتاد ــ فخص المعنى بلفظ معتاد. لكن يجـوز إيراده ـ بغيـر هذا اللفظ، وهذا يعود فـي غالب الأمر إلى تعدد الـواضع، واختلاف اللهجات وإن كان غير ذلك في وجه القياس جـائزاً، حيث يرى أنه إذا اجتمع في لغة رجل واحـد لغتان فصيحتان، وكـانت اللفظتان في كـلامه متسـاويتين في الاستعمال كثرتهمـا واحدة؛ أن أخلق الأمر به أن تكـون قبيلته تواضعت في

---

(١) الخصائص لابن جني جـ ٢ ص ٤٦٨.

(٢) انظر: الخصائص لابن جني جـ ١ ص ٣٧٢ ـ ٣٧٤.

ذلك المعنى على ذينك اللفظين، لأن العرب تفعل ذلك للحاجة إليه في أوزان أشعارها، وسعة تصرف أقوالها[1].

غير أن هذا خلاف الغالب. ويتضح قول ابن جني بالترادف ويتأيد بما جاء عنه عند حديثه عن استعمال الحروف بعضها مكان بعض حيث يرى أن في هذا ـ الباب ـ رداً على من أنكر أن يكون في اللغة لفظان بمعنى واحد، يقول: «. . . وفيه ـ أيضا ـ موضع يشهد على من أنكر أن يكون في اللغة لفظان بمعنى واحد، حتى تكلف لذلك أن يوجد فرق بين قعد وجلس، وبين ذراع وساعد؛ ألا ترى أنه لما كان رفث بالمرأة في معنى أفضى إليها جاز أن يتبع الرفث الحرف الذي بابه الإفضاء وهو ـ إلى . . .»[2].

واستشهد بقول رؤبة: بال بأسماء البلى يسمّى.

حيث جعل للبلى ـ وهو معنى واحد ـ أسماء. فدل ذلك على وجود الترادف.

٦ ـ الفيروزآبادي[3]:

يأتي الفيروزآبادي على رأس القائلين بالترادف، والمؤلفين فيه. إذ يكفي أن يكون أحد القائلين بذلك؛ أنه ألف كتابا دعاه (الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف).

---

(١) انظر: الخصائص لابن جني جـ ١ ص ٣٧٢.

(٢) المصدر السابق جـ ٢ ص ٣١٠.

(٣) هو العلامة مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الشيرازي الفيروزآبادي صاحب القاموس المحيط، في اللغة. ولد سنة ٧٢٩هـ وتوفي ليلة ٢٠ شوال سنة ٨١٦هـ. له عدة مصنفات كبيرة، وكثيرة. منها: فتح الباري بالسيح الفسيح الجاري في شرح صحيح البخاري «قال عنه ابن حجر: ملأه بغرائب النقول. . يقول السيوطي وقد أخذ ابن حجر منه اسمه وسمى به شرح البخاري ـ تأليفه. ومنها بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز. وغيرها. راجع: بغية الوعاة جـ ١ ص ٢٧٣. والإعلام جـ ٨ ص ١٩.

كما ألف كتاباً آخر عن العسل ذكر فيه من أسمائه نحواً من ثمانين اسما، وقد سماه «ترقيق الأسل لتصفيق العسل».

وقد أوردها السيوطي في المزهر[1]. ومن العجيب أنه علق عليها بقوله قلت: ما استوفى أحد مثل هذا الاستيفاء، ومع ذلك فقد فاته بعض الألفاظ[2]. ومثل على ذلك بالصرخدي. والسعابيب. وإنها من أسماء العسل.

ومن أمثلة أسماء العسل:

العسل، والضّرب، والشوب، والطريم، والشَّهد، والشُّهْد، والطَّن، والطُّن، ولعاب النحل، وقيء الزنابير، والرضاب، ورضاب النحل... إلى غير ذلك[3].

ومن الواضح أن بعض هذه الأسماء كناية وبعضها مجاز، أو من باب تطور الصوت واختلاف الحركات، أو أنه منسوب إلى شيء معين.

وعناوين مؤلفات الفيروزآبادي دليل على رأيه في هذه المسألة كما أن له كتباً أخرى تنحو هذا المنحى منها: أسماء النكاح، أسماء الليث، أسماء الخندريس. وغيرها[4].

ومع هذا فقد جاء في كتابه «بصائر ذوي التمييز» أنه يرى أن الخشية والخوف والوجل والرهبة ألفاظ متقاربة لا مترادفة[5]، كما أنه قد فرق بين

---

(١) انظر المزهر للسيوطي جـ ١ ص ٤٠٧ ـ ٤٠٨.
(٢) المصدر السابق جـ ١ ص ٤٠٩.
(٣) المصدر السابق جـ ١ ص ٤٠٧.
(٤) انظر مراجع ترجمة الفيروزآبادي ص٥١.
(٥) انظر بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي جـ ٢ ص ٥٤٥.

الشح والبخل ولم ير ترادفهما[١] وهو ما يبدو أنه خلاف ظاهر مذهبه، وهذا يدعونا إلى عدم توسيع مذهبه في القول بالترادف اكتفاء بظاهر عناوين كتبه.

٧ ـ رأي قطرب[٢]:

أما قطرب فإنه يرى أن العرب توقع اللفظتين على المعنى الواحد، وهم يفعلون ذلك ليدلوا على اتساعهم في الكلام، كما زاحفوا في أجزاء الشعر ليدلوا على أن الكلام واسع عندهم. وأن مذاهبه لا تضيق عليهم عند الخطاب والإطالة والإطناب. وفي هذا قول بالترادف، وبيان لفائدته[٣].

٨ ـ رأي ابن سيده[٤]:

يرى ابن سيده القول بالترادف، ويرد في كتابه ـ المخصص ـ على من قال إن في ـ مضى ـ معنى ليس في ـ ذهب ـ وأمثال هذه الألفاظ. بقوله: نحن نوجدك من اللفظين ما لا تجد بدا من أن تقول: إنه لا زيادة معنى في واحدة منهما دون الأخرى، بل كل واحد يفهم ما يفهم صاحبه، وذلك نحو

---

(١) المصدر السابق جـ٣ ص ٣٠٠ وانظر جـ ٢ ص ٢٢٧.

(٢) هو محمد بن المستنير، الشهير بقطرب ـ أبو علي. وقطرب هذا لقب دعاه به استاذه سيبويه. فلزمه فقد كان يدلج إلى أستاذه فإذا خرج رآه على بابه، فقال له: ما أنت إلا قطرب ليل فلقب به.. من كتبه ـ معاني القرآن، النوادر، الأزمنة. الأضداد وغيرها. توفي سنة ٢٠٦هـ. انظر: بغية الوعاة للسيوطي جـ ١ ص ٢٤٢. والإعلام للزركلي جـ ٧ ص ٣١٥.

(٣) انظر: الأضداد لابن الأنباري ص ٨. والمزهر للسيوطي جـ ١ ص ٤٠٠.

(٤) هو أبو الحسن علي بن إسماعيل ـ وقيل اسم أبيه أحمد، وقيل محمد ـ معروف بابن سيده، ولد سنة ٣٩٨هـ وتوفي سنة ٤٥٨هـ. كان ضريرا ـ وكذلك كان أبوه ـ صنف: المخصص وهو من أثمن كنوز العربية وأكبرها. وكذا المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، وهو كتاب ضخم وغيرهما.
راجع: بغية الوعاة جـ ٢ ص ١٤٣ والاعلام جـ ٥ ص ٦٩.

الكنايات. ألا ترى أن قولك: ضربتك، وما ضربت إلا إياك، وجئتني وما جاءني إلا أنت، وجاءاني وما جاءني إلا هما، وقمنا وما قام إلا نحن، وما أشبه ذلك يفهم من كل لفظة ما يفهم من الأخرى من الخطاب، والغيبة والإضمار، والموضع من الإعراب. لا زيادة في ذلك، ولا مذهب عنه، فإذا جاز ذلك في شيء وشيئين وثلاثة، جاز فيما زاد على هذه العدة، وجاوزها في الكثرة[1]. وفيما قاله نظر. فمحل النزاع الترادف في الألفاظ، وما قاله من أمثلة إنما هي مركبة ومسنده إلى ضمير الوصل أو الفصل. وهي بعيدة الدلالة عن محل الخلاف.

٩ ــ أما علي بن عيسى الرماني[2] فقد ألف كتابا سماه ـ الألفاظ المترادفة ـ .

١٠ ـ وكذا فعل الهمذاني قبله[3] في كتابه ـ الألفاظ الكتابية ـ . وتأليفهما في الترادف دليل على مذهبهما فيه.

---

(١) المخصص لابن سيده جـ١٣ ص ٢٦٠.

(٢) هو أبو الحسن علي بن عيسى الرماني. كان يعرف بالأخشيدي وبالوراق ـ وهو بالرماني أشهر. يقال أنه معتزلي. وهو مفسر ومن كبار النحاة. أصله من سامراء. توفي سنة ٣٨٤هـ ومولده ووفاته ببغداد. له نحو مائة مصنف. منها الأكوان، والمعلوم والمجهول. والأسماء والصفات، وكتاب التفسير. وشرح أصول السراج، ورسالة في إعجاز القرآن ـ طبعت ــ وكذا الألفاظ المترادفة ـ مطبوع.

انظر: بغية الوعاة جـ٢ ص ١٨٠. والإعلام جـ٥ ص ١٣٤.

(٣) هو عبد الرحمن بن عيسى بن حماد الهمذاني. أديب، إخباري، شاعر لغوي، وهو كاتب بكر ابن عبد العزيز بن أبي دلف العجلي، توفى سنة ٣٢٠هــ، له كتاب (الألفاظ الكتابية) ويسمى (ألفاظ عبد الرحمن) وقد شُرح هذا الكتاب أكثر من شرح.

انظر: إنباه الرواة على أنباء النحاة. للقفطي جـ٢ ص ١٦٥.

ومعجم المؤلفين. عمر رضا كحالة جـ٥ ص ١٦٣، وانظر: ترجمته في مقدمة كتابه ــ الألفاظ الكتابية.

١١ ـ رأي أبي علي الفارسي[1]:

يعد كثير من العلماء والباحثين[2] أبا علي الفارسي من المنكرين للترادف، احتجاجا بقصته المشهورة مع ابن خالويه في مجلس سيف الدولة بحلب. فقد حكى الشيخ القاضي أبو بكر بن العربي بسنده عن أبي علي الفارسي قال: «كنت بمجلس سيف الدولة بحلب، وبالحضرة جماعة من أهل اللغة وفيهم ابن خالويه، فقال ابن خالويه: أحفظ للسيف خمسين اسما، فتبسم أبو علي وقال: ما أحفظ له إلا اسما واحداً، وهو السيف. قال ابن خالويه: فأين المهند والصارم وكذا وكذا؟ فقال أبو علي: هذه صفات؛ وكأن الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة»[3].

وبعض الذين يتكثرون من المذاهب، يجعلون أبا علي يمثل رأيا مستقلا وهو رأي منكري المترادف مطلقا، وأنه لا يوجد لفظان يظن السامع أنهما مترادفان إلا ويوجد بينهما فرق في المعنى[4].

وذلك استدلال بقصته المتقدمة، وأخذ ألفاظ السيف كمثال يقاس عليه ما عداه من الأمثلة.

---

(١) هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار أبو علي الفارسي، واحد زمانه في علم العربية، أخذ عن الزجاج، وابن السراج، وأخذ عنه ابن جني، وعلي بن عيسى الربعي. صنف لعضد الدولة كتاب (الإيضاح) فلم يعجب ذلك العضد. فأكمله بكتابه ـ التكملة ـ فقال عضد الدولة: غضب الشيخ، وجاء بما لا نفهمه نحن ولا هو. كما صنف: الحجة، التذكرة، أبيات الأعراب. وغير ذلك. توفي سنة ٣٧٧هـ.

انظر: بغية الوعاة للسيوطي جـ ١ ص ٤٩٦.

(٢) كما فعل السيوطي في المزهر جـ ١ ص ٤٠٥، والدكتور رمضان عبد التواب في كتابه، فصول في فقه العربية ص ٢٧٥، وإبراهيم أنيس في كتابه ـ في اللهجات العربية ـ ص ١٧٥.

(٣) انظر: المزهر للسيوطي جـ ١ ص ٤٠٥.

(٤) انظر: اللهجات العربية، د. إبراهيم محمد نجا ص ١١٣.

وانظر: تاريخ آداب العرب. مصطفى الرافعي، جـ ١ ص ١٩٠.

والحق أن هذا الاستدلال يحتاج إلى إعادة نظر؛ ذلك أن جمهور العلماء القائلين بالترادف، يخرجون ألفاظ السيف ـ بصفة خاصة ـ من المترادفات مراعاة لاختلاف الاعتبارات بينها، كما هو مذهب الأصوليين، وهم من القائلين بوجود الترادف، بل إن بعضهم يعجب لإنكار الترادف في اللغة، ومع ذلك لا يرون أن ألفاظ السيف مترادفة، بل ينظرون إليها على أنها متباينة[1]. وابن تيمية يرى أنها بمنزلة الأسماء المتكافئة التي بين المترادفة والمتباينة[2].

ولم يُستدل بهذا على أنهم يقولون بالفروق، فعدم عد أبي علي الفارسي ألفاظ السيف من المترادف لا يكفي في أن يُعد من المنكرين للترادف لإنكاره ذلك في أسماء السيف.

إذا تبين هذا أمكن القول أن الاستدلال المتقدم لا يخلو من ضعف، وتعميم لا دليل عليه يؤيد هذا أن ابن جني وهو تلميذ أبي علي الفارسي، ومن أولى من يعرف مذهب شيخه، كما أنه من غير المنكرين للترادف قد روى عن شيخه في كتابه (الخصائص) قوله: «وكان أبو علي ـ رحمه الله ـ إذا عبر عن معنى بلفظ ما فلم يفهمه القارئ عليه وأعاد ذلك المعنى عينه بلفظ غيره ففهمه، يقول: هذا إذا رأى ابنه في قميص أحمر عرفه، وإذا رآه في قميص كحلي لم يعرفه»[3]. وفي هذا القول ما يدل على عدم إنكاره للترادف.

ولعل اشتهار إنكار أبي علي الفارسي للترادف؛ عائد إلى الاقتصار في الاستشهاد لرأيه على حكايته مع ابن خالويه، دون النظر إلى اشتهار استثناء

(١) انظر: الإحكام في أصول الأحكام للآمدي جـ ١ ص ٢٥. وراجع الباب الثاني من هذا البحث.

(٢) انظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص ٣٨.

(٣) الخصائص لابن جني جـ ٢ ص ٤٦٨.

ألفاظ السيف ـ بصفة خاصة ـــ من بين المترادفات، ودون التعرض لما رواه عنه تلميذه ابن جني في هذا المعنى.

١٢ ـ **أما المبرد**(١) فقد اختلفت الـرواية عنه في هذه المسألـة. فقد عده أبو هلال العسكري من القائلين بالفروق بقوله: وإليه (إلى مذهب الفروق) أشار المبـرد في تفسير قولـه تعالى ﴿**لكل جعلنا منكم شرعـة ومنهاجا**﴾(٢) قال فعطف شرعة على منهـاج، لأن الشرعة لأول الشيء والمنهاج لمعظمه ومتسعه، واستشهد على ذلك بقوله شرع فلان في كذا إذا ابتدأه وأنهج البلى في الثوب إذا اتسع فيه. قال ويعطف الشيء على الشيء وإن كـانا يرجعان إلى شيء واحد إذا كان في أحدهما خلاف لـلآخر، فأما إذا أريد بالثاني ما أريد بالأول. فعطف أحدهما على الآخر، فهو خطأ(٣).

لكن هذا لا يتفق مع مـا جاء في كتابه (ما اتفق لفظـه واختلف معناه من القرآن المجيد) حيث جعل أن من كـلام العرب اختلاف اللفظين واختلاف المعنيين، واختـلاف اللفظين والمعنى واحـد، واتفاق اللفظين واختـلاف المعنيين. قال... وأمـا اختلاف اللفظين والمعنى واحـد فقولك: ظننت وحسبت، وقعدت وجلست، وذراع وساعد، وأنف ومرسن(٤).

إضافـة إلى هذا فإن له كتـابا اسمه «كتـاب أسماء الدواهي عنـد العرب»

---

(١) هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبـر الأزدي البصري المبرد، ولد سنة ٢١٠هـ بالبصرة وتوفي سنـة ٢٨٦هـ ببغداد إمام العـربية ببغداد في زمـانه، وأحد أئمة الأدب والأخبـار، من كتبه الكامل ـ في اللغة والآداب وهو من أشهر الكتـب. وكذا المذكر والمؤنث، والمقتضب، وشرح لاميـة العرب، وإعـراب القرآن، وغيـرها. انظـر: بغية الـوعاة جـ ١ ص٢٦٩، والإعلام جـ ٨ ص١٥.

(٢) سورة المائدة آية ٤٨.

(٣) انظر الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري ص ١٣.

(٤) انظر: كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد للمبرد ص ٢.

ذكره ابن النديم[1]، وهو ما يمكن عده من المصنفات في الترادف.

ولعلنا نفهم من مجمل أقواله، أن هناك ترادفا، وأن المترادفات لا تتعاطف، وما جاء منها ظاهره أنه كذلك، ليس صحيحا إذ إن تعاطفهما دليل على تغايرهما، وهما وإن رجعا في الجملة إلى شيء واحد، إلا أن بينهما بعض الاختلاف، فإن أريد بالثاني ما أريد بالأول، فعطف أحدهما على الآخر، فهو خطأ. فهو يمنع الترادف في حالة التعاطف، ويستدل بهذا العطف على وجود فروق بين اللفظين وإن كانت طفيفة، كما يمنع الترادف في القرآن الكريم. بدليل توجيهه المتقدم لقوله تعالى:

﴿**لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا**﴾[2].

فكأن المترادفات في نظره تبقى في غير المتعاطفات من الألفاظ.

١٣ ـ **أما الأصفهاني**[3] فإنه يرى إمكان الجمع بين القائلين بالترادف، وعدمه؛ بحمل رأي من منعه؛ على منعه في اللهجة الواحدة، وحمل رأي القائلين بوجوده؛ على كون ذلك في اللهجات المختلفة، لصعوبة إنكاره

---

(١) انظر: الفهرست لابن النديم ص ٦٥.

(٢) سورة المائدة آية ٤٨.

(٣) أورد له السيوطي رأيا في المزهر جـ ١ ص ٤٠٥. غير أنه نسبه إلى ـ الأصفهاني ـ هكذا. دون مزيد إيضاح، أو إشارة تعين في تحديد شخصية هذا الأصفهاني.

ومن المعروف أن الأصفهانيين ـ أو الأصبهانيين ـ كثيرون. من النحاة واللغويين، أو من غيرهم.

وقد رجح الدكتور ـ رمضان عبد التواب في كتابه ـ فصول في فقه العربية ـ ص ٢٨١. أن يكون هذا الأصفهاني هو: أبو علي الحسن بن عبد الله الأصبهاني المعروف بلغذه، ـ ويقال له لكذه ـ وهو من تلامذة الزجاج. انظر ترجمته في بغية الوعاة جـ ١ ص ٥٠٩.

ومن الملاحظ أن السيوطي يذكر في مزهره ـ حمزة بن حسن الأصبهاني. فقد جاء ذكره في جـ ١ ص ٣٢٥ وأنه قد جمع من أسماء الدواهي ما يزيد عن أربعمائة، وذكر أن تكاثر الدواهي من الدواهي.

كما جاء ذكره في جـ ١ ص ٣٥٤، وفي جـ ١ ص ١١٨. فهل تراه يعنيه ؟.

في مثل هذه الحالة . وعبارته في ذلك :

« وينبغي أن يحمل كلام من منع على منعه في لغة واحدة ، فأما في لغتين فلا ينكره عاقل »[1].

وليس الأمر كما قال عنه إبراهيم أنيس من أن الأصفهاني كان يرى الترادف في اللهجة الواحدة وينكره في لهجتين مختلفتين ، وإن هذه هي وجهة النظر السليمة التي يتجه إليها المحدثون في نظرتهم إلى الترادف[2]، وإنما أراد الأصفهاني أن يجمع بين الأقوال ـ كما تقدم ـ ولم يرد أنه ينبغي النظر إلى وحدة البيئة[3].

(١) المزهر للسيوطي جـ ١ ص ٤٠٥ .

(٢) انظر: في اللهجات العربية د . إبراهيم أنيس ط ٥ ص ١٧٥ .

(٣) المصدر السابق ص ١٧٧ .

المبحث الثالث

أسباب وقوع الترادف وكثرته

يرى الأصوليون أن لوقوع الألفاظ المترادفة سببين :

أحدهما: أن يكون من واضعين وهو الأكثر بأن تضع إحدى القبيلتين أحد الاسمين وتضع الأخرى الاسم الآخر للمسمى الواحد من غير أن تشعر إحداهما بالأخرى ثم يشتهر الوضعان ويخفى الواضعان، أو يلتبس وضع أحدهما بوضع الآخر وهذا مبني على كون اللغات اصطلاحية .

والثاني: أن يكون من واضع واحد وهو الأقل(١).

لكن تتبع المسألة يهدي إلى أن هناك أكثر من عامل أدى إلى وجود الترادف . وتسبب في كثرته في اللغة العربية . وأهم هذه الأسباب :

أولا: فقدان الوصفية

تحظى بعض الأسماء بصفة أو أكثر يكون لها اعتبار ومراعاة في وقت من الأوقات غير أنه بمرور الزمن وتوالي الأيام، والتوسع في الاستعمال كل ذلك يؤدي إلى فقدان الوصفية حيث تقترب هذه الصفات من الاسمية شيئا فشيئا حتى تندمج في الاسم وتصبح مرادفة له، فاللغة العربية كما هو معروف يكثر فيها الإيجاز اعتمادا على وضوح المراد، ومن هنا جرت عادة العرب في كثير من الأحيان أن يكتفوا بالصفة عن الموصوف فإذا تكرر استعمال الوصف كثيراً بديلاً للموصوف تناسى الناس الموصوف تدريجيًّا، وأصبح هذا الوصف علما، فمثلا المدام والمدامة تطلق الآن على أنها اسم من أسماء الخمر مع أنها كانت وصفا له، إذ أنها تعني الذي أديم في الدن

---

(١) انظر: المزهر جـ١ ص ٤٠٥، وانظر: الإحكام للآمدي جـ١ ص ٢٤ .

حتى تعتّق، ثم شاعت حتى صارت اسما من أسمائه[1].

وكذا السيف له اسم واحد، السيف. ولـه أكثر من خمسين صفة، لكل صفة دلالتهـا المميزة، كـالمهند الذي يصنع في الهنـد، والذي عـرف بأنه سيف حاد في صلبه مرونة يقول طرفة بن العبد.

وظلم ذوي القربى أشد مضاضـة   علـى المرء من وقع الحسام المهند[2].

فليس وقع ظلم ذوي القـربى على المـرء، كوقـع أي سيف. وإنما هـو كوقع أجود السيوف وأمضاها، كالحسام المصنوع في الهند.

ومثله اليمـاني، الذي كـان يصنع في اليمن. وهو سيف مقـوس النصل بعض التقويس، وله فرند ونقوش.

والمشرفي[3]: الذي كـان يعمل في ـ مشـرف ـ وإليهـا ينسب. وهو من أجود السيوف عند العرب، يقول امرؤالقيس:

أيقتلنـي والمشـرفـي مضـاجعــــي   ومسنونـة زرق كأنياب أغـوال[4].

وهكـذا باقي أوصـاف السيف لكل من هذه الصفـات ـ أو التسميـات ـ سمات خاصة، وميزات معينة. يتميز بها هذا عن ذلك.

ومن هنا جــاءت ـ النسبـة ـ ســواء أكانت للمكـان كمـا في ــ المهنـد والمشـرفي واليمـاني ــ أو إلى الأشخـاص كما في ــ السمهـري والـرديني للرمح.

حيث النسبـة إلى سمهـر وردينـة. وهمـا زوجان كـانـا مثقّفين للـرمـاح

---

(١) انظر: مجلة مجمع فؤاد الأول للّغة العربية جـ ٤ ص ٢٦٠. ومجلة مجمع اللغة العربية الملكي جـ ١ ص ٣٢٧.

(٢) انظر: ديوان طرفة ص ٣٦.

(٣) قيل إن النسبـة إلى مشارف الشـام، وقيل إنه منسـوب إلى ـ مشرف ــ وهي قريـة باليمن كـانت السيوف تعمل فيها. انظر: مجلة الدارة العدد الرابع السنة الرابعة ص ١٠٥.

(٤) انظر: ديوان امرئ القيس طبعة ٢ ص ٣٣.

فاختصاص هذه الأشياء ـ بهذه النسبة ـ لم يكن إلا لاختصاصها بمزيد وصف.

بيد أن مثل هذه الاعتبارات والفروق قد تنوسيت، بحيث أصبح المتكلم ـ في الغالب ـ يستعمل أيا من هذه الألفاظ، وهو لا يريد أكثر من المعنى العام من كلمة السيف؛ لأن اشتهار هذه الصفات رفع الحرج نوعا ما عن إلحاقها بأسمائها وعدها مرادفة لها.

غير أن هذا الواقع لا يمنع من ملاحظة ذلك الأصل. لفهم سبب كثرة المترادفات، ومعرفة من أين جاءت تلك الكثرة[١].

ثانيا: اختلاف اللهجات العربية

تتعدد اللهجات العربية بتعدد القبائل، فلكل قبيلة لهجتها الخاصة بها، ومن الأشياء العادية اختلافهم في أسماء بعض الأشياء فالشيء الواحد قد يسمى عند قبيلة بلفظ، ويسمى عند قبيلة أخرى بلفظ آخر.

والقبائل العربية متجاورة ـ في الغالب ـ ولها أسواقها العامة المشهورة كعكاظ، ومجنّة، وذي المجاز وغيرها. تلتقي فيها في السنة مرة ـ أو أكثر ـ لأغراض مختلفة. وهذا الاختلاط يؤدي إلى تبادل الآراء والأفكار والألفاظ كما يؤدي إلى تبادل البضائع.

فقد تطغى بعض الألفاظ على بعض، وتشتهر الكلمات التي تعتبر أسهل أو أفضل من غيرها. فتجتمع للإنسان الواحد أكثر من لغة في

---

(١) راجع في هذا المعنى مجلة مجمع اللغة العربية الملكي جـ ١ ص ٣٢٥، ودلالة الألفاظ. إبراهيم أنيس ص ٢٠٨، مجلة الدارة عدد ٤ السنة الرابعة محرم سنة ١٣٩٩هـ ص ٩٩ وما بعدها مقال: السلاح في العربية للدكتور إبراهيم السامرائي، فقه اللغة لعلي عبد الواحد وافي ص ١٦٢.

الشيء الواحد، وها هو ـ ابن جني ـــ يرى أن ما اجتمعت فيه لغتان أكثر من أن يحاط بـه، فإذا اجتمعت لفظتان فصيحتـان في لغة رجل واحـد، وكان استعماله لهمـا متساويا في الكثرة، فإن أخلق شيء به ـ أن تكـون قبيلته قد تـواضعت في ذلك المعنى على ذينك اللفظين؛ لأن القبيلة قـد تفعل ذلك للحـاجة إليـه في أوزان الأشعـار وسعة تصـرف الأقـوال، ويجوز في هـذه الحالة أن تكون لغته الأصيلة إحداهما، ثم استفاد الأخرى من قبيلة أخرى، وكثـر استعمـاله لهـا حتى لحقت بلغتـه الأولى، هـذا إذا كـانت اللفظتـان متساويتين في كثـرة الاستعمال، فإن كانت إحداهما أكثـر من الأخرى فإن أخلق الحالين به أن تكون الكثيرة الاستعمـال هي لغته الأصيلة والقليلة هي اللفظة المستفادة[١].

أمـا إذا كثرت الألفـاظ على المعنى الـواحد أكثـر من ذلك، فإن أحـرى الأمر في ذلك كمـا يقول ابن جني: أن يكون قد أفـاد أكثرها أو طرفـا منها، من حيث كـانت القبيلة الـواحـدة لا تتواطأ فـي المعنى الواحـد على ذلك كله، هذا غـالب الأمر، وإن كان الآخر في وجه القيـاس جائزا. وذلك كما جاء عنهم في أسماء الأسد والسيف والخمر[٢]. ويزيد ابن جني هذا تأييدا بقوله: « وكلما كثرت الألفاظ على المعنى الواحد كان ذلك أولى بأن تكون لغات لجماعات اجتمعت لإنسان واحد من هنا ومن هنا»[٣].

مثل هذا لفظـة ـ السكين ـ إذ هي عنـد بعض العرب ـــ المدية ـــ كما في قصـة أبي هريـرة (رضي الله عنه) حيث لـم يعرف لفظـة ـ السكين ـــ إلا في

(١) انظر: الخصائص لابن جني جـ ١ ص ٣٧٢ وما بعدها.

(٢) المصدر السابق جـ ١ ص ٣٧٣.

(٣) المصدر السابق.

تلك الحادثة[1] وكما يقول الجاحظ ـ القمح لغة شامية ـ والحنطة لغة كوفية[2] . وقيل البر لغة حجازية .

أما أهل الامصار التي فتحت بعد الإسلام فإنهم يتكلمون بلغة القبيلة العربية التي نزلت فيهم .

ولذلك تجد شيئا من الاختلاف بين أهل الكوفة ، والبصرة ، والشام ومصر. وقد قال أهل مكة لمحمد بن مناذر الشاعر البصري : ليست لكم معاشر أهل البصرة لغة فصيحة إنما الفصاحة لنا أهل مكة .

فقال لهم ابن مناذر: أما ألفاظنا فأحكى الألفاظ للقرآن . وأكثرها له موافقه ، فضعوا القرآن بعد هذا حيث شئتم . أنتم تسمون القدر برمة ، وتجمعون البرمة على برام ، ونحن نقول قدر ونجمعها على قدور قال الله تعالى : ﴿**وقدور راسيات**﴾[3] وأنتم تسمون البيت إذا كان فوق البيت «علية» وتجمعون هذا الاسم على علالي . ونحن نسميه غرفة ونجمعها على غرفات ، وغرف . قال تعالى : ﴿**وهم في الغرفات آمنون**﴾[4] .

وقال ﴿**لهم غرف من فوقها غرف مبنية**﴾[5] وأنتم تسمون الطلع ، الاغريض والكافور، ونحن نسميه الطلع قال الله تعالى : ﴿**ونخل طلعها هضيم**﴾[6] . .[7] .

---

(١) راجع ص ٢٩ .

(٢) انظر: البيان والتبيين للجاحظ الطبعة الرابعة جـ ١ ص ١٧ .

(٣) سورة سبأ آية ١٣ .

(٤) سورة سبأ آية ٣٧ .

(٥) سورة الزمر آية ٢٠ .

(٦) سورة الشعراء آية ١٤٨ .

(٧) البيان والتبيين للجاحظ جـ ١ ص ١٩ .

ولهذا فإن اختلاف القبائل وتعدد لهجاتها، هو السبب الحقيقي والأساس لوجود الترادف، خصوصا مع تجاور هذه القبائل واختلاط بعضها ببعض، في المناسبات والأسواق وغير ذلك. مما يؤدي إلى اشتهار بعض الكلمات وطغيانها على غيرها. فتُعْجَب بها بعض القبائل فتنقلها إلى لهجتها وتستعملها في لغتها جنبا إلى جنب مع كلمتها الأصيلة في ذات المعنى. وقد تتساويان في كثرة الاستعمال وقد تغلب إحداهما الأخرى في هذه الكثرة.

ومن هنا فإن ما نعي الترادف لا يمنعون وجوده في مثل هذه الحالة وعليه تُخَرَّج بعض الألفاظ التي لا تتضح الفروق بينها، بيد أن جامعي اللغة العربية ومدونيها لم ينسبوا أكثر الكلمات إلى قبائلها مما أدى إلى تداخل اللهجات، وامتزاج الكلمات، وبالتالي أصبح من الصعوبة بمكان نسبة أغلب الكلمات إلى قبائلها، ولا ينبغي أن نتخذ من هذا السبب ذريعة لإهمال الفروق بالتسرع والتساهل في الحكم بالترادف بين الألفاظ استنادا إلى تعدد اللهجات؛ لأن التوسع في هذا التعليل يقودنا إلى إهمال الفروق و إضاعتها ومن ثم تضيع الدقة في التحديد والفهم.

ثالثاً: اختلاط العرب بغيرهم:

اختلط العرب بغيرهم من الأمم من فرس وروم وغيرهم، قبل الإسلام وبعده وهذا الاختلاط أدى إلى دخول بعض الكلمات الأجنبية في اللغة العربية و إذا كان منها ما قد مات في مهده، فإن منها ما عاش ورسخت قدمه، وكثر استعماله حتى غلب على نظيره العربي.

وهناك من لا يعد هذا من المترادفات نظرا لاختلاف اللغات، وهذا القول وجيه إذا لم تكن هذه الكلمات قد اكتسبت التعريب وتأصلت في اللغة.

يقول علي الجارم (نعم إن المتشدد لا يعد هذه الكلمات من المترادفات لاختلاف اللغة، ولكن ما الحيلة وقد شاع استعمالها، وأصبحت ذات حق بمضي مدة طويلة عليها، تجري على أسلات الأقلام، وتجئ في أفصح الكلام، وقد عربها العرب فجرت مع الألفاظ العربية في عنان، وقد عاش بعض هذه الكلمات ورسخت قدمه، حتى غلب على مرادفاته العربية، وفلج عليها.

من ذلك: الألفاظ الآتية:[1] ـ

اللفظ الأعجمي	اللفظ العربي	اللفظ الأعجمي	اللفظ العربي
النرجس	العَبْهر	الأترج	المتك
الرصاص	الصَّرَفان	التوت	الفرصاد
الخيار	القثد	الياسمين	السّمسق
الهاون	المنحاز	الميزاب	المثعب
المسك	المشموم	اللوبياء	الدَّجْر

ومما يحسن ذكره هنا أن المنحاز والمثعب هما عندنا في بعض مناطق نجد أشهر من الهاون والميزاب.

وإذا كانت أمثال تلك الألفاظ قد اشتهرت على مرادفها العربي فإن هناك كثيرا من الألفاظ لم تحظ بهذه الشهرة وبقي اللفظ العربي فيها أشهر وأكثر

(١) مجلة مجمع اللغة العربية الملكي جـ ١ ص ٣٢٦ ولمزيد من مثل هذه الأمثلة ينظر كتاب غرائب اللغة العربية / الأب رفائيل نخلة اليسوعي، وكتاب الألفاظ الفارسية المعرّبة / تأليف السيد أدّى شير. وانظر: المزهر جـ ١ ص ٢٧٥ وما بعدها. وفقه اللغة للثعالبي ص ٣٠٥ وما بعدها.

استعمالا مثل : الإبريق = التامورة . والسفينة = البوصي

والرغيف = الجَرْدقة . والمرآة = السجنجل[١] .

وهـذا السبب قائم فـي كل وقت بسبب حركـة التبـادل بين الأمم، فنحن الآن نحس أثره في لغتنا المعاصرة، فأنت مثـلا في وقتنا الحاضر تسمع هنا وهناك كلمـات وألفاظـا أجنبية من إنجليزيـة أو فرنسية أو تـركية أو غيـرها . يطلقها الذيـن أجادوا لغات أجنبية وتأثـروا بها، وسواء أكان هذا ضـربا من الترف العلمي أكثـر منه ضرورة حـافزة، أم كان مبـاهاة، ومفاخـرة، أم كان ضعفا وتقليـدا أيا كـانت الأسباب فإن بعض هذه الكلمـات يثبت ويتأصل ويأخذ طابع اللغة وحق البقاء[٢] .

ونحن حين نتمكن من معـرفة أصـول بعض الكلمات ولغـاتها الأصيلـة فننسبهـا إليها وبـذلك تخرج من التـرادف، فإننا لا نستطيع ذلك في بـاقي الكلمـات والألفاظ خصـوصا في الكلمـات القديمـة التي قد يخفى علينـا معرفة أصلها .

رابعا : المجاز:

المجاز مفتـاح باب الترادف، ذلـك أن المجازات المنسيّة، تعتبـر سببا مهما من أسباب كثرة الترادف، فحيـن تستعمل الكلمات استعمالا مجازيا فكثيـرا ما يحظى بعضهـا بإعجاب السـامعين فتستهويهم ظـرافته، ويكثـر بينهم استعمـاله، ويطول العهـد عليه، ومن ثم ينسـى اعتبار العلاقـة التي أوجبت التجوز به فيستعمل جنبا إلى جنب مع الحقيقة . وهو كثير في اللغة حتى إن كثيرا من اللغويين لا يفرقون بين الحقيقة والمجاز.

---

(١) انظر: مجلة مجمع اللغة العربية الملكي جـ١ ص ٣٢٧ .

(٢) انظر المصدر السابق .



والأمثلة على ذلك كثيرة. من ذلك تسمية العسل بالماذية والثواب، والصهباء والسلاف، والنحل. ومنه تسميتهم اللغة لسانا، والزواج بناءا، والجاسوس عينا. ونحو ذلك[1].

كما يعد بعضهم الكناية الدالة على ذات من أسباب الترادف ـ أو توهمه ـ فإنها حين تشتهر تعد من المرادفات عند البعض. فكثير الرماد يرادف في استعمال الأدباء، الكريم وكذا قيء الزنابير ـ ورضاب النحل من مرادفات العسل وهي في أصل حقيقتها كنايات عنه.

خامسا: التساهل في الاستعمال:

التساهل في الاستعمال والتسامح فيه، سواء أكان ذلك بعدم التمييز بين المطلق والمقيد، أم بالاكتفاء بإطلاق اسم الشيء على ما يشتمل على معناه أم غير ذلك مما يتسبب في ضياع الفروق، وترادف الكلمات.

مثال ذلك، المنحة هي في الأصل الناقة أو الشاة يعطيها الموسر من أصحاب الأنعام للفقير أو الصديق يشرب لبنها ثم يردها فكثر استعمالها حتى صارت المنحة بمعنى مطلق العطية. يقول النابغة:

إني اتمم أيساري وأمنحهم مثنى الأيادي واكسوا الجفنة الأدما[2].

ونحو: المائدة فإنها في الأصل لا يقال لها مائدة حتى يكون عليها طعام وإلا فاسمها خوان، وكذلك الكأس لا تكون كأسا حتى يكون فيها شراب وإلا فهي قدح، وعند الثعالبي في فقه اللغة وإلا فهي زجاجة[3]، كما لا

(١) المصدر السابق جـ ١ ص ٣٢٧، ٣٢٩، ومجلة فؤاد الأول جـ ٤ ص ٢٦٠.

(٢) انظر: ديوان النابغة الذبياني جمع وتحقيق محمد الطاهر بن عاشور ص ٢١٨.

(٣) انظر: فقه اللغة للثعالبي ص ٥٠، ٥١.

يقال كوز إلا إذا كانت له عروة و إلا فهو كوب، ولا يقال ثرى إلا إذا كان نديا، و إلا فهو تراب.

لكن بعض المتكلمين لا يلحظ هذه الأشياء. فأبو تمام يقول:

ديمة سمحة القياد سكوب مستغيث بها الثرى المكروب[1].

فالثرى هنا مكروب لذا فهو يستغيث بالديمة، مع أن الثرى ندي و إنما الاستعمال هنا مطلق، أريد به التراب. وهكذا[2].

سادسا: اختلاف النطق

يعتبر بعضهم اختلاف نطق القبائل العربية لبعض الحروف بالقلب، أو الإبدال أو التخفيف، سببا من أسباب الترادف.

نحو قولهم: سراط، وصراط، وزراط. وسقر، وصقر. وجذب، وجبذ وطمس، وطسم. ونحو ذلك[3].

روى ابن جني عن الأصمعي أنه قال: اختلف رجلان في ـ الصقر ـ فقال أحدهما: الصقر ـ بالصاد ـ وقال الآخر: السقر ـ بالسين ـ فتراضيا بأول وارد عليهما فحكيا له ما هما فيه. فقال لا أقول كما قلتما إنما هو الزقر.

قال ابن جني: أفلا ترى إلى كل واحد من الثلاثة. كيف أفاد في هذه الحال إلى لغته لغتين معها، وهكذا تتداخل اللغات[4].

غير أن مثل هذا حرى أن يكون من باب التطور الصوتي للكلمات وأن لا يكون من قبيل الترادف.

---

(١) انظر: ديوان أبي تمام ص ٥٥.

(٢) انظر: مجلة فؤاد الأول جـ ٤ ص ٢٦٠.

(٣) انظر: فقه اللغة للثعالبي ص ٣٧٠، ٣٧١، مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية جـ ٤ ص ٢٥٧.

(٤) انظر: الخصائص لابن جني طبعة ثانية جـ ١ ص ٣٧٢. والمزهر للسيوطي جـ ١ ص ٢٦٣.

مما تقدم يتضح أن هـذه الأسباب منها ما يدل على الـدواعي المعقولة، والأسباب المقبولـة للدلالة على وجود الترادف في اللغة العـربية، ومبررات ذلك الوجود، كما أن منها ما يدل علـى أسباب كثرة المترادفات ووفرتها في نظر المتساهلين في قضية الترادف.

وهذا ما يجعل استبعـادها بعد معرفتهـا ممكنا، ويؤدي إلى تضييق دائرة الترادف، ويعين القائليـن بالفروق على استبعاد الكثير مـن الألفاظ المقول بترادفها وهي ليست كذلك، حتى لا يبقى من المترادفات إلا ما هو مترادف حقا.

المبحث الرابع
فوائد الترادف

للترادف ـ في حدوده المعقولة ـ فوائد أهمها :

أولا: كثرة الوسائل والطرق إلى الأخبار عما في النفس ، ووجود البدائل لذلك وفي هذا توسعة على المتحدث في طرائق التعبير، وانتقاء الألفاظ والسلامة من العي والحصر عند الكلام . فبوجود الترادف حين ينسى المتكلم أحد اللفظين أو يعسر عليه النطق به ، فإنه لا يعدم من وجود البديل ، فالالثغ يجد مندوحة عن النطق بحرف الراء[1] . كما فعل واصل ابن عطاء حين تحدث عن بشار بن برد قال : أما لهذا الأعمى الملحد ، أما لهذا المشنّف المكنى بأبي معاذ من يقتله ؟ أما والله لولا أن الغيلة سجية من سجايا الغالية لدسست إليه من يبعج بطنه في جوف منزله أو في حفلة ، ثم لا يتولى ذلك الاعقيلي أو سدوسي .

فقال أبو معاذ ، ولم يقل : بشار، وقال المشنّف ، ولم يقل المرعّث[2] وكان بشار ينبز بالمرعّث . وقال : من سجايا الغالية ، ولم يقل الرافضة وقال في منزله ولم يقل : في داره ، وقال : يبعج ، ولم يقل يبقر، كل ذلك تخلص من الراء[3] .

وسعة التعبير في الكلام تمكن المتكلم من القدرة على التأثير على السامع وملك مشاعره فالتحسين والتحبير في الكلام من متممات الغرض

---

(١) انظر: الزهر جـ ١ ص ٤٠٦ ، ومجلة مجمع فؤاد جـ ٤ ص ٢٦٣ .

(٢) الرعثة ما علق بالاذن من القرط ونحوه ، وهو لقب بشار بن برد لرعاث كانت في صغره في أذنه . تاج العروس ١/ ٦٢٣ ـ ٦٢٤ .

(٣) انظر: معجم الأدباء جـ ١٩ ص ٢٤٥ ، والبيان والتبيين للجاحظ جـ ١ ص ١٦ .

منه، فليس الغرض من اللغة مجرد الإبانة والإفصاح وحده، بل التأثير والأقناع له مكانته، ووجود الترادف في اللغة يجعل المتكلم قادرا على تحقيق هذه الأهداف[1] .

وذلك ما دام الترادف في حدوده المعقولة والمقبولة، حتى لا تضيع الدقة في التعبير فنخسر ما هو أهم وأكبر.

ثانيا : أن الترادف يعين المتكلم على بلاغة القول، ورصانة التأليف و إقامة وزن الشعر. فيمكنه من التوسع في سلوك طرق الفصاحة وأساليب البلاغة في النظم والنثر وذلك لأن اللفظ الواحد قد يتأتى باستعماله مع لفظ آخر السجع والقافية والتجنيس والترصيع وغير ذلك من أصناف البديع ولا يتأتى ذلك باستعمال مرادفه مع ذلك اللفظ[2] وهذا يعين على التنويع في أساليب التعبير. والبعد عن التكرار، و إبراز المعنى الواحد في صور عدة، على حسب المقام ومقتضى الحال .

ثالثا: أن الترادف يمكّن من العدول عن كلمة إلى أخرى أخف منها أو أفصح أو أوضح كما يفيد في تفسير الكلمة التي لم يفهم معناها بكلمة أخرى وهو المعروف عند المناطقة بالتعريف اللفظي . مثل قولك : البر هو القمح ، والعسجد هو الذهب .

و إن كان هذا في حقيقة الأمر يرد مع القول بالفروق ، لأنه لا يلزم منه أن اللفظتين مختلفتان بحيث لا يصح أن نفسر إحداهما بالأخرى و إنما يقال في كل واحدة منهما شيء من المعنى ليس بالأخرى وتفسيرها بها وارد لكنه من باب التقريب ، لا على وجه التحديد الدقيق .

---

(١) انظر: الألفاظ اللغوية خصائصها وأنواعها . عبد الحميد حسن ص ٧٦ .

(٢) انظر: المزهر جـ١ ص ٤٠٦ .

المبحث الخامس
التأليف في المترادف

بدأ التأليف في المترادفات بـرسائل وكتب صغيرة، جمعت فيها الألفاظ الخاصة بموضوع واحد. كـرسائل الأصمعي وأبي زيد الأنصاري في المطر واللبن ونحو ذلك، ثم أخذت تكثر الأسماء، وتكبر الكتب.

كما فعل ابن خالويه حين ألف كتـابا في أسماء الأسد، وآخر في أسماء الحية. قـال السيوطي حدثني أحمـد بن محمد بن بندار قـال: سمعت أبا عبـد الله بن خـالويـه الهمـذاني يقـول: جمعت للأسـد خمسمـائة اسم، وللحية مائتين.

وجمع حمـزة بن حسن الأصفهـاني من أسمـاء الـدواهي ما يـزيـد على أربعمائة وذكـر أن تكاثر أسماء الـدواهي، من الدواهي[1]. وذكر صاحب الفهرست أن للمبرد كتابا اسمه ـ كتاب أسماء الدواهي عند العرب ـ [2].

ويعتبر الأصمعي من أول من ألف في الترادف كتابا مستقلا.

١ ـ كتاب «ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه»

ألفه الأصمعي. وأخذه الرواة عن ابن أخيـه عبد الرحمن، ويشتمل على ثلاث وأربعين صفحة. ونقل عن نسخة مخطوطة في القرن التاسع الهجري طبع في دمشق عام ١٣٧٠هـ[3].

---

(١) انظر المزهر للسيوطي جـ ١ ص ٣٢٥.

(٢) انظر الفهرست لابن النديم ص ٦٥.

(٣) انظر كتـاب: الأصمعي حياته وآثاره، د. عبـد الجبار الجومرد ص ٢٥٢. وانظـر تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان جـ ٢ ص ١٤٩.

وذكر الدكتور: رمضان عبد التواب. أن هذا الكتاب قد نشره مظفر سلطان بدمشق سنة ١٩٦٤م[١].

وذكر الزركلي في ترجمته للأصمعي في كتابه ـ الاعلام. بأن له كتابا مخطوطا اسمه (الترادف) [٢] فهل يا ترى عنى به هذا الكتاب أو هو غيره؟ أغلب المراجع لم تذكر له كتابا بهذا الاسم. فلعله أراد به هذا الكتاب. وقد عبر عنه بمحتواه، دون التقيد بعنوانه.

٢ ـ كتاب «الألفاظ»

من تأليف الأصمعي عده ابن سيده في كتابه ـ المخصص[٣] ـ من المصنفات في الترادف.

٣ ـ كتاب «الألفاظ المترادفة»

تأليف أبي الحسن علي بن عيسى الرماني المتوفى سنة ٣٨٤هـ. جمع في مؤلفه «٢٤٢» فصلا. افتتحه بفصل ـ في معنى الصلة والعطية ـ وإليك مثالا منه قال: وصلته، ورفدته، وحبوته، وأجديته وخولته ومنحته... ورشيته، وواسيته واتحفته ونقلته وجبرته...»[٤].

وفي مثل هذا الفصل يظهر حرص أصحاب المترادفات على جمع أكبر عدد ممكن من الألفاظ المتقاربة، والمتشابهة لعدها مترادفة.

---

(١) انظر: هامش (٢) في كتاب: فصول في فقه اللغة. د. رمضان عبد التواب. ص ٢٧٤.

(٢) انظر: الإعلام للزركلي جـ ٤ ص ٣٠٨.

(٣) انظر: المخصص لابن سيده جـ ١٣ ص ٢٥٩.

(٤) انظر: الألفاظ المترادفة. للرماني ص ٨ الطبعة الثانية.

فرشيتـه من الرشوة ــ وهي تختلف كثيرا عن الصلة والعطيـة . في مفهوم الناس . ومن حيث الجـواز والمنع ـ الشرعي . ومع هذا فهي مـرادفة للصلة والعطية ! ومثلها المواساة ، فإنهـا تتضمن معنى خاصا . إذ لا تكون إلا بعد المصيبة .

وقـد عنى بشـرح ألفاظ هـذا الكتـاب : محمـد محمود الـرافعي . بعـد تصحيحها وضبط ألفاظها على الشيخ : محمد محمود الشنقيطي .

٤ ـ الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف

تأليف الفيروزآبادي ، وقد اشتهر اسم هذا الكتاب و إن لـم ير بعد . ولكن أكتفي بدلالة عنوانه على مضمـونه . ولا عجب إذا استقلت المئات بعد أن وصل بها الفيروزآبادي إلى ألوف .

٥ ـ ترقيق الأسل لتصفيق العسل

من تأليف الفيروزآبـادي ـ أيضا ــ ذكر فيه ثمانين اسمـا للعسل . أوردها السيوطي في كتابه المزهر. ومن أمثلة ذلك :

العسل ، والضـرب ، والشوب ، والطـريم ، والشَّهد ، والشُّهـد ، والطَن ، والطُن ، ولعاب النحل ، وقيء الزنابيـر ، والرضاب ، ورضاب النحل . . إلى غير ذلك .

ومن العجيب أن السيوطي علق عليها بالمزيد من الأسماء قال : قلت ما استوفى أحد مثل هذا الاستيفاء . ومع ذلك فقد فاته بعض الألفاظ .

ومثل على ذلك بالصرخدي . والسعـابيب . وأنها من أسماء العسل[١] .

---

(١) انظر: المزهر للسيوطي جـ ١ ص ٤٠٧ ـ ٤٠٩ .

ومن الواضح أن هذا النوع من التأليف يوحي بمدى الحرص الشديد على جمع أكبر قدر ممكن من الأسماء للشيء الواحد. وكأنها كلما كثرت الأسماء. كلما ازداد المؤلف افتخارا. كما أنه ليس من المتصور جمع هذه الأعداد الكبيرة والأسماء الكثيرة من غير تعلق بأوهى الأسباب، والاكتفاء بأدنى تقارب وأقل تشابه يجمع بين معاني الكلمات لعدها من المترادفات. بصرف النظر عن كون بعض هذه الأسماء من باب الكنايات أو المجاز، أو مختلفة الحركات، أو أن ما بينها من فرق بسبب التطور الصوتي. أو غير ذلك. المهم أن يوجد بينها أقل قدر من الاختلاف في الألفاظ مع أقل قدر من تقارب المعنى.

كما أن للمؤلف بعض الكتب التي تنحو هذا المنحى مثل: أسماء النكاح، أسماء الليث، أسماء الخندريس وغيرها.

وقد قام الأستاذ علي الجارم بدراسة المفردات التي أطلقت على العسل على أنها ألفاظ مترادفة، انتهت به هذه الدراسة إلى أن قليلا جدا من أسماء العسل أطلقت عليه إطلاقا غير مقيد بوصف أو نسبة، أو مجاز، أو كناية، وعليه فإن أغلب هذه المترادفات الكثيرة إنما جمعت على ضرب من التسامح، والتساهل. حيث أمكن إخراج بعضها من الترادف نهائيا، كما أمكن تخريج بعض منها على وجه من الوجوه[1].

نموذج من هذه الدراسة:

١ ـ النحل: ليست بمعنى العسل لغة، واستعمالها فيه مجاز.

٢ ـ الاصبهانية: نسبة إلى أصبهان.

٣ ـ الصرخدي: نسبة إلى صرخد. بلدة بالشام[2].

---

(١) انظر: مجلة مجمع اللغة العربية الملكي سنة ١٣٥٣هـ. جـ ١ ص ٣٢٩.

(٢) المصدر السابق جـ ١ ص ٣٢٠.

٤ – الضرب : العسل الأبيض . واستضرب العسل : ابيّض . وغلط فالضرب : العسل مقيدا بصفة خاصة[١].

٥ ـ رضاب النحل ، جنى النحل ، ريق النحل ، قيء الزنابير : هذه أشبه شيء بالكنايات[٢].

وعلى هذا المنوال سارت الدراسة . كتطبيق لما دعا له من وجوب تمحيص المفردات وتحديد ما بينها من فروق .

٦ ـ كتاب « الألفاظ الكتابية »

من تأليف عبد الرحمن بن عيسى الهمذاني . ضبط وتصحيح الأب لويس شيخو اليسوعي قال عنه الصاحب بن عباد : لو أدركت عبد الرحمن ابن عيسى الهمذاني مصنف كتاب الألفاظ لأمرت بقطع يده ، فسئل عن السبب فقال : جمع شذور العربية الجزلة في أوراق يسيرة فأضاعها في أفواه صبيان المكاتب ، ورفع عن المتأدبين تعب الدرس والحفظ الكثير والمطالعة الكثيرة الدائمة[٣].

وفي هذا من الثناء على هذا الكتاب ما ترى .

مثال منه : قال في باب المدح تقول : «أطريت الرجل ، وأطرأته ، ومدحته وقرّظته ، وزكيته في الدين ، وما زال فلان يذكر محاسن فلان ، ومناقبه ، وفضائله ، ومحامده ، ومكارمه ، ومساعيه . . .)[٤].

ويقول : (. . البعيد والنازح والشاسع ، والنائي ، والقاصي ، والعازب

(١) المصدر السابق جـ ١ ص ٣١٤ .
(٢) المصدر السابق جـ ١ ص ٣١٧ .
(٣) انظر: الألفاظ الكتابية للهمذاني ص أ.
(٤) المصدر السابق ص ٢٢ .

والغارب، والشاطر والشاطن، واحد)[1].

٧ ـ كتاب « تذكرة الحفاظ في بعض المترادف من الألفاظ »

من تأليف سعيد بن سعد بن نبهان الحضرمي، وهو عبارة عن نظم لبعض الألفاظ المترادفة، مطبوع

٨ ـ كتاب « نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد»

تأليف إبراهيم اليازجي اللبناني. وقد قسمه إلى اثنى عشر بابا تنطوي تحتها أغراض الكتاب، وكل باب منها يتفرع إلى عدة فصول.

و إليك مثالا من فصول هذا الكتاب:

ـ فصل في الخلق ـ

يقال: برأ الله الخلق، وفطرهم وجبلهم وخلقهم، وأسرهم، وذرأهم وانشأهم وكونهم، وصورهم، وسواهم، وأوجدهم، وأحدثهم، وأبدعهم، وأبدأهم[2].. إلخ

٩ ـ كتاب «معجم المعاني للمترادف، والمتوارد والنقيض من أسماء وأفعال وأدوات وتعابير»

من تأليف نجيب إسكندر. رئيس تحرير الموسوعة العربية. طبع سنة ١٩٧١م. و إليك نموذج منه: «ابتاع، اشترى، تسوق، امتار: مترادفة[3].

١٠ ـ كتاب « قاموس المترادفات والمتجانسات »

تأليف الأب رفائيل نخلة اليسوعي. طبع بالمطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٩٥٧م.

---

(١) المصدر السابق ص ٢٣.

(٢) انظر: نجعة الرائد.. إبراهيم اليازجي ص (١).

(٣) انظر: معجم المعاني للمترادف... نجيب إسكندر ص ٧.

١١ ـ كتاب « ما اختلفت أسماؤه من كلام العرب »

من تأليف أبي الفضل العباس بن الفرج مولى محمد بن سليمان بن علي الهاشمي. ذكره صاحب الفهرست(١).

١٢ ـ كتاب « أسماء السيف »

من تأليف الشيخ أبي سهل محمد بن علي الهروي المتوفى سنة ٤٣٣هـ ذكره صاحب كتاب: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون(٢).

١٣ ـ كتاب « أسماء الفضة والذهب »

ألفه أبو عبد الله الحسين بن علي النحوي المتوفى سنة ٣٨٥ هـ. ذكره صاحب كتاب: كشف الظنون(٣).

إضافة إلى ما تقدم هناك بعض الكتب في اللغة والأدب تنتشر على صفحاتها بعض الألفاظ المترادفة، وقد تستقل في فصول خاصة. من هذه الكتب كتاب جواهر الألفاظ لأبي الفرج قدامة بن جعفر حيث يذكر أنواع التعابير في بعض الموضوعات نحو: الإباء، التأجيل، الانتظار. الرجوع ففي الرجوع ـ مثلا ـ يقول: رجع، آل، قفل، عاد، آد، آب... إلخ.

ومثل كتاب: مختصر الألفاظ لابن السكيت، وكذلك المخصص لابن سيده وغيرها.

---

(١) انظر: الفهرست لابن النديم ص ٦٣، ٦٤.

(٢) انظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. تأليف / حاجي خليفة جـ ١ ص ٩٨. الطبعة الأولى.

(٣) المصدر السابق.

الفصل الثالث

مذهب القائلين بالفروق

ويشتمل على المباحث التالية: -

١ - مذهب القائلين بالفروق وأدلتهم.

٢ - القائلون بالفروق من علماء العربية وآراؤهم.

٣ - التأليف في الفروق.

٤ - طرق معرفة الفروق اللغوية.

المبحث الأول
مذهب القائلين بالفروق وأدلتهم

يذهب جماعة من علماء اللغة العربية وفقهائها إلى إنكار الترادف التام بين الألفاظ ـ وأن كل ما يلوح بادي الرأي أنه من المترادفات إنما هو في حقيقته من المتباينات. على اختلاف في قدر هذا التباين ووضوحه، وأن لكل لفظة من الألفاظ التي قيل بترادفها، لونا أو نوعا، أو درجة أو صفة لا تشاركها فيها اللفظة الأخرى.

فقد يكون أحد اللفظين موضوعا في أصل اللغة للذات، واللفظ الآخر موضوعا على أنه صفة لتلك الذات. كالإنسان. والناطق.

أو أنه من باب اختلاف الصفات كالمنشى، والكاتب. أو من باب اختلاف الحالة السابقة كالقعود من القيام. والجلوس من الاضطجاع. ونحو ذلك. فمثلا. السيف والصارم والمشرفي وإن دلت على شيء واحد لكن اعتبارات الدلالة مختلفة من لفظ لأخر، فإن دلك السيف على الذات فقد زادك لفظ ـ الصارم ـ صفة الحدة والقطع، وأنه ليس سيفا كالاً، كما يفيدك المشرفي جهة ورود هذا السيف، ويعرفك بمصدره، فتعرف بالتالي ميزته. وهذه الصفة وتلك لا تستفيدها من اللفظة الأولى. وهكذا في بقية أسماء السيف ـ وغيره ـ كل منها ـ في الغالب ـ يفيدك جديدا.

وهل يعني هذا الاختلاف في معنى اللفظتين أنه لا يجوز أن يعبر عن اللفظة بالأخرى؟

يجيب عن هذا ابن فارس بقوله: «وأما قولهم: إن المعنيين لو اختلفا لما جاز أن يعبّر عن الشيء بالشيء، فإنّا نقول: إنما عبر عنه عن طريق المشاكلة، ولسنا نقول: إن اللفظتين مختلفتان فيلزمنا ما قالوه، وإنما نقول: إن في كل واحدة منها معنى ليس في الأخرى»[1].

وهذا هو مذهب أبي هلال العسكر من أن القول بالفروق لا يلزم منه عدم صحة تفسير اللفظة بالأخرى كما قد يظن فريق من الناس ويقول به، وهو ما توقع حدوثه أبو هلال العسكري وأجاب عليه بما يوضحه بقوله: (. . . ولعل قائلا يقول: إن امتناعك من أن يكون للفظين المختلفين معنى واحد، رد على جميع أهل اللغة لأنهم إذا أرادوا أن يفسروا اللب قالوا: العقل، أو الجرح، قالوا: هو الكسب، أو السكب، قالوا: هو الصب، وهذا يدل على أن اللب والعقل عندهم سواء، كذلك الجرح والكسب، والسكب والصب، وما أشبه ذلك. قلنا: ونحن ــ أيضا ــ كذلك نقول، إلا أنا نذهب إلى أن قولنا اللب وإن كان هو العقل فإنه يفيد خلاف ما يفيد قولنا العقل، ومثل ذلك القول وإن كان هو الكلام، والكلام هو القول فإن كل واحد منهما يفيد بخلاف ما يفيده الآخر. وكذلك المؤمن وإن كان هو المستحق للثواب فإن قولنا: مستحق للثواب يفيد خلاف ما يفيده قولنا: مؤمن. . »[2].

أدلة القائلين بالفروق[3].

يعتقد المانعون للترادف أن المثل الأعلى للغة عبارة عن لفظ واحد لكل

---

(١) انظر: الصاحبي لابن فارس ص ٩٧. وانظر: المزهر للسيوطي جـ ١ ص ٤٠٤، ٤٠٥.

(٢) انظر: الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري ص ١٦.

(٣) راجع الفصل الثاني في مبحث الأصول.

مسمى فلا ترادف ولا اشتراك[1]، وأن الأصل عند تعدد الأسماء تعدد المسميات[2]، فالترادف إذاً خلاف الأصل. وإذا تردد اللفظ بين الترادف وغيره حمل على غيره.

ذلك أن الهدف من اللغة إنما هو الإبانة عن المراد وإفادة التفهيم والتفاهم.

ووضع الأسماء للمسميات طريق للإبانة وسبيل للتفاهم والإيضاح فإذا وضع للمسمى اسم حصلت فائدة الإبانة به، فيكون وضع اسم ثان فصاعدا للدلالة على نفس المعنى الأول، يعتبر عملا لا مسوغ له، ولا مبرر لوجوده فهو فضلة لا حاجة له ثم هو عمل لا يتفق وحكمة الوضع.

فاختلاف العبارات والأسماء يوجب اختلاف المعاني، يشهد على هذا أن الاسم إنما هو كلمة تدل على معنى دلالة الإشارة، فإذا أشير إلى الشيء مرة واحدة فعرف، فلا مبرر للإشارة إليه ثانية أو أكثر، وفعل ذلك عمل غير مفيد، وواضع اللغة حكيم، لا يضع ما لا يفيد.

فالقول بالترادف يؤدي إلى تعطيل فائدة أحد اللفظين، لحصولها باللفظ الآخر.

---

(١) هناك من يرى أن بين الترادف والاشتراك نسبة العموم والخصوص الوجهي، بمعنى أن كل مشترك فهو مترادف. من غير عكس ذلك أن اللفظ المشترك حين تتضح دلالته لأحد معانيه يكون مرادفًا للفظ آخر دال على ذلك المعنى، فالعين ـ مثلا ـ لها ثلاثة عشر وجها. فحين تدل على معنى الذهب تكون مرادفة للفظي: ذهب، وعسجد. وحين تدل على معنى العين الجارية تكون مرادفة للفظ ينبوع. وهكذا: وقياسا على هذا المفهوم يمكن اعتبار الأضداد كذلك فإذا كان ـ الجون ـ يطلق على الأسود والأبيض. فحين يراد به الأسود يكون مرادفا له. وكذلك الأبيض. ومثله ـ الجلل ـ بمعنى الحقير وهكذا. وفي هذا تساهل في فهم الترادف، وتوسيع لدائرته، وتكثير لألفاظه.

(٢) الأحكام للآمدي جـ ١ ص ٢٣، ونهاية السول في شرح منهاج الأصول للأسنوي جـ ٢ ص ١١١.

والأمر الثاني المؤدي إلى منع الترادف هو الحاجة إلى الاختصار والاقتصار على ما يؤدي الغرض المقصود من اللغة، ولأن القول بخلاف هذا يؤدي إلى تكثير اللغة بما لا فائدة فيه ولا حاجة إليه.

يقول أبو هلال العسكري: (وحاجتنا إلى الاختصار تلزمنا الاقتصار في تأييد هذا المذهب)[1] أي مذهب الفروق بين الألفاظ.

والأمر الثالث أن المؤنة في حفظ الاسم الواحد أخف من حفظ الاسمين كيف والمسألة لم تقتصر على اسمين بل مئين أحيانا، وألوف حينا.

ومعروف أن الأصل في الأمور تحصيل أكبر فائدة في أقل جهد، أو كما يقول الأصوليون: الأصل التزام أخف المشتقين لتحصيل أعظم الفائدتين.

كما أنه إذا كان لكل لفظ دلالته، دعت الحاجة الكل إلى معرفته، مع خفة المؤونة في حفظه، وبذلك تعم فائدة التخاطب به، بخلاف تعدد الأسماء للمعنى الواحد ففيه مشقة وكلفة[2]، كما أنه قد يلزم من الإخلال بفائدة التخاطب لجواز اختصاص كل واحد بمعرفة اسم لا يعرفه الآخر[3].

والأمر الرابع أن ما دوّن في المعاجم وكتب اللغة على أنه من المترادفات ليس في حقيقته كذلك، بل إن العرب كانت تفرق بينه، وتعرف لكل لفظة دلالتها الخاصة بها، ولا يلزم من جهلنا بهذه الفروق، تجهيل العرب بها أيضا وما جاء ظاهره كذلك إنما هو متباين بسبب اختلاف الاعتبار، إما لدلالته على الذات. أو على الصفة. أو على صفة الصفة.

---

(١) الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري ص ١٦.

(٢) واقع الأمر أن الكلفة هنا أكبر منها في القول بالترادف، فالمترادفات بدائل يكفي أحد الألفاظ فيها للدلالة على معنى الآخر. بينما القول هنا يؤدي إلى ضرورة حفظ كل الألفاظ لاختصاص كل لفظة بدلالتها الخاصة، وفي هذا مشقة بينة.
هذا من ناحية الكلفة والمشقة لكن يبقى افتقار هذه البدائل إلى الدقة في التحديد والفهم.

(٣) انظر: الإحكام للآمدي جـ ١ ص ٢٣.

كالسيف والحسـام، والناطق والفصيح. فالسيف اسم للذات المعـروفة والحسـام صفة لـه، والناطق صفـة للذات وهـو الإنسان، والفصيح صفـة لتلك الصفة التي هي الناطق.

أو أن ذلك راجع إلـى اختـلاف القبـائل، أو إلى كثـرة المجـاز، أو الاشتقاق. إلى غير ذلك من الاعتبارات المختلفة.

خـامسـا:

مـا ورد من عطف أحد المتـرادفين على الآخـر بحـرف الواو، يـدل على وجود فـرق بينهما؛ لأن التعاطف دليل التغـاير، فالعطف بحرف الـواو يدل على المغـايـرة لأنـه يفيـد مطلق التشـريـك بين المتعـاطفين. والتشـريك يقتضي أن يكـون هناك شيئان ــ أو أكثر ــ يشتركـان في شيء، لأن الشيء الواحـد لا يشارك نفسه وإن تعـددت ألفاظـه ما دام شيئاً واحـدا، فإذا جاز تعقيب اللفظ بمـرادفـه لقصـد التـوكيـد والمبـالغـة لم يجـز ذلك بحـرف التشريك[1]

وقـد جاء عطف أحـد المترادفين على الآخـر بحرف الـواو كثيرا. فكـان ذلك دليلا على تغاير هذه الألفـاظ، وإلا لما كان لهذا العطف فائدة. من ذلك:

قول الحطيئة:

ألا حبــذا هنــد وأرض بهــا هنــد
وهنــد أتى من دونهــا النأي والبعــد[2]

وقول طرفة بن العبد:

فمــالي أراني وابـن عمي مــالكــا
متى أدن منـــه ينـأ عني ويبعـــد[3].

---

(١) انظر: مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية، جـ ٤ ص ٢٦٨.

(٢) انظر: ديوان الحطيئة. ص ٣٩.

(٣) انظر: ديوان طرفة بن العبد ص ٣٢.

وقال عدي بن زيد:

وقـــدّمت الأديـم لـــراهشيـــــه
وألفى قـــولهـــا كـــذبـــا ومينـــا[1]

كما يتأيـد هذا المـذهب بحديث البـراء بن عازب رضي الله عنـه: قال: جاء أعـرابي إلى رسول الله ﷺ فقـال يا رسـول علمني عملا يـدخلني الجنة فقال لئن كنت أقصـرت الخطبة لقد أعرضت المسألـة: اعتق النسمة وفك الرقبة. فقال يا رسول الله أوليستا بواحدة؟ قال: لا. إن عتق النسمة أن تفرد بعتقها، وفك الرقبة أن تعين في عتقها... الحديث[2].

فنصّ الحديث على اختلاف عتق النسمة عن فك الرقبة. مع أن كثيرين يعتقدون بأن معناهما واحد. ومنهم هذا الأعرابي.

وجاء أيضـا في حديث البـراء بن عازب رضي الله عنـه في الدعـاء الذي أخرجه البخاري ومسلم. قولـه: «آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت»[3].

فلما أراد البراء أن يعيد هذا الـدعاء على النبي ﷺ قال: «آمنت بكتابك الـذي أنزلت، وبـرسـولك الذي أرسلـت» قال لـه النبي ﷺ: لا. وبنبيك الذي أرسلت.

فلم يقبل ﷺ من البـراء وضع رسـول بـدل نبي. ومـا ذلك إلا لاختـلاف مـدلولهمـا الدقيق. وإن بـدا لبعض الناس أنهمـا بمعنى واحد. وفي هـذا الهدي النبوي مـا يؤكد أهمية تحـديد مدلول الألفـاظ، واستعمال كل لفظ في موضعه الأخص الأشكل به، وتفهم معاني الألفاظ على حقيقتها.

---

(1) انظر: ديوان عدي بن زيد العبادي. حققه وجمعه، محمد جبار المعيبد ص ١٨٣.
ـ الأديم: النطع. والراهشان: عرقان في باطن الذراعين ـ.

(2) انظر: تخريج الحديث بتمامه ص ١٤.

(3) انظر: تخريج الحديث ص ١٥.

المبحث الثاني
القائلون بالفروق من علماء اللغة العربية وآراؤهم

إنكار الترادف التام مذهب لفريق من مشاهير علماء اللغة العربية وفقهائها. يأتي في مقدمتهم أبو هلال العسكري[1] صاحب كتاب ـ الفروق في اللغة ـ وأحمد بن فارس. وشيخه ــ ثعلب ـ وابن الأعرابي وابن درستويه ونور الدين الجزائري صاحب كتاب ـ فروق اللغات ـ وغيرهم.

ا ـ رأي أبي هلال العسكري:

يعتقد أبو هلال العسكري أن منع الترادف هو مذهب المحققين من العلماء، وأن القائلين بخلاف هذا لا يتحققون المعاني. فكل اسمين يجريان على معنى من المعاني وعين من الأعيان ـ في لغة واحدة ـ يقتضي كل واحد منهما خلاف ما يقتضيه الآخر.

ـ سيأتي لرأيه مزيد تفصيل عند الحديث عن كتابه ـ الفروق في اللغة إن شاء الله.

---

(١) أبو هلال العسكري هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، أبو هلال العسكري نسبة إلى ـ عسكر مكرم، بين البصرة وفارس ـ ولم يذكر المؤرخون تاريخ مولده. بل حتى وفاته لم يذكر تاريخها إلا على وجه التقريب. يقول السيوطي مات بعد الأربعمائة. له عدد من المؤلفات أشهرها. كتاب الصناعتين، والتلخيص، وجمهرة الأمثال، وشرح الحماسة. ومن احتكم من الخلفاء إلى القضاة، لحن الخاصة، كتاب فضل العطاء على العسر، والتبصرة، وأسماء بقايا الأشياء، والفروق في المعاني، والعمدة، والفروق في اللغة ــ ويأتي الحديث عنه بشيء من التفصيل، إن شاء الله.

انظر: بغية الوعاة للسيوطي جـ ١ ص ٥٠٦، والإعلام للزركلي جــ ٢ ص ٢١١ وطبقات المفسرين للداودي جـ ١ ص ١٣٤.

٢ ـ رأي أحمد بن فارس(١):

يرى ابن فارس أن ما جاء في لغة العرب من أسماء كثيرة لمسمى واحد كالسيف والمهند. . فإن الحقيقة فيه أن له اسما واحدا، وما بعده من الألقاب إنما هي صفات، وأن في كل صفة معنى ليس في الأخرى، وعبارته في ذلك: «. . . ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو السيف والمهند والحسام، والذي نقوله في هذا أن الاسم واحد هو السيف، وما بعده من الألقاب صفات ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى»(٢) وهو يرى أن في قعد معنى ليس في جلس ألا ترى أنا نقول: قام ثم قعد، وأخذه المقيم والمقعد، وقعدت المرأة عن الحيض، وتقول لناس من الخوارج قعد، ثم تقول كان مضطجعا فجلس. وبهذا يظهر أن القعود عن قيام، والجلوس عن حالة هي دون الجلوس كالاضطجاع؛ لأن الجلوس ارتفاع عما دونه(٣).

وحين قسم ابن فارس الكلام في الاتفاق والافتراق إلى أقسام. ذكر أن من أقسامه اختلاف اللفظ واتفاق المعنى كالسيف والعضب، والليث والأسد وأن هذا لا يتناقض ومذهبه في الترادف و إنما هو جار عليه في أن كل واحد منهما فيه ما ليس في الآخر من معنى وفائدة(٤).

---

(١) أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب، أبو الحسين. كان نحويا على طريقة الكوفيين. له عدة مصنفات منها: المجمل في اللغة، فقه اللغة، مقدمة في النحو، ذم الخطأ في الشعر، فتاوى فقيه العرب، الاتباع والمزاوجه، اختلاف النحويين، خلق الإنسان، تفسير أسماء الرسول ﷺ، الانتصار لثعلب، ومن أهم كتبه ـ معجم مقاييس اللغة، والصاحبي في فقه اللغة. توفي سنة ٣٩٥هـ. انظر: بغية الوعاة جـ ١ ص ٣٥٢.

(٢) الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس ص ٩٦. وانظر: المزهر للسيوطي جـ ١ ص ٤٠٤.

(٣) الصاحبي لابن فارس تحقيق مصطفى الشويمي ص ٩٧. والمزهر للسيوطي جـ ١ ص ٤٠٤.

(٤) الصاحبي لابن فارس ص ٢٠٢.

ويتأيد هذا في رده على من فهم أنه لو كان لكل لفظة معنى غير معنى الأخرى لما أمكن التعبير عن الشيء بغير عبارة واحدة ـ كما يقال في ـ لا ريب فيه ـ لا شك فيه .

ولأصبح ذلك من قبيل الخطأ؛ بأن التعبير عن ذلك وارد حيث يقول : «إنا نقول إنما عبر عنه من طريق المشاكلة ــ ولسنا نقول : إن اللفظتين مختلفتان فيلزمنا ما قالوه ، وإنما نقول : إن في كل واحدة منهما معنى ليس في الأخرى»[1] .

فالتعبير عن ـ لا ريب فيه ـ بلا شك فيه ـ ليس خطأ . وإنما لكل منهما معنى تختص به دون اللفظة الأخرى . وإن اشتركا في المعنى العام .

٣ ـ رأي ثعلب[2]:

تشتهر نسبة إنكار الترادف لثعلب بين العلماء والباحثين من قدماء ومحدثين ، إستنادا إلى تصريح تلميذه أحمد بن فارس بذلك ــ وهو من أولى من يعرف مذهب شيخه حيث يقول « . . ففي قعد معنى ليس في جلس ، وكذلك القول فيما سواه ، وبهذا نقول . وهو مذهب شيخنا أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب»[3] .

---

(١) الصاحبي لابن فارس ص ٩٧ . والمزهر جـ ١ ص ٤٠٥ .

(٢) أحمد بن يحيى بن يسار أبو العباس ثعلب ، إمام الكوفيين في النحو واللغة عني بالنحو، وأكب على الشعر والمعاني والغريب ، لازم ابن الأعرابي بضع عشرة سنة ، ولد سنة ٢٠٠هـ ـ مائتين ـ وتوفي سنة ٢٩١هـ .
صنف المصون في النحو، اختلاف النحويين ، معاني القرآن ، معاني الشعر، الأمالي ، ومجالس ثعلب . وغيرها .
انظر: بغية الوعاة جـ ١ ص ٣٩٦ . والإعلام جـ ١ ص ٢٥٢ .

(٣) الصاحبي لابن فارس ص ٩٦ والمزهر للسيوطي جـ ١ ص ٤٠٤ .

بيـد أن هذا لا يتفق مع بعـض ما جـاء بـه في مجالسـه، ومـا نقله عنـه السيوطي في مزهره. حيث أورد كثيرا من الألفاظ على أنها بمعنى واحد من غير أن يذكر فرقا بينها.

نقل السيوطي: وفي أمـالي ثعلب يقال: أزم فـلان، وأطرق، وأسكت، وألزم، وقرسم، وبلدم، وأسبط بمعنى أزم.

ونقل قـولـه: يقـال ثـوب خلق وأخـلاق، وسمـل وأسمـال، ومـزق، وشبـارق، وطـرائق، وطـرايـد، ومشق... وهـدم، وأهـدام، وأطمـار بمعنى[1].

فلم يذكر فروقا بينها، وإنما أوردها على أنها مترادفة وأنها بمعنى واحد. وما يمكن أن نجمع به بين هـذا وذاك أن نحملها على أنها بمعنى لكن على مذهبه في ذلـك كما هو مذهب تلميذه ابن فـارس المتقدم. في أن في كل واحدة منها معنى ليس في الأخرى، وإن اتفقت في المعنى العام.

٤ ـ رأي ابن الأعرابي[2]:

يرى ابن الأعـرابي أن كل لفظين وضعتهمـا العرب على معنى واحـد كما يظهـر لنـا ذلك لأول نظرة الحقيقـة فيهمـا أن كل لفظ منهمـا مشتمل على معنى مختص به لا يشـركه فيه اللفظ الآخـر، حتى وإن لـم نستطع أن نعرف

---

(١) المزهر جـ ١ ص ٤١١.

(٢) أبـو عبد الله محمـد بن زياد بن الأعـرابي. ولد سنـة ١٥٠هـ. وتـوفي سنة ٢٣١هـ. قال عنـه الجاحظ: كـان نحويا عالمـا باللغة والشعـر. ناسبا، كثير السمـاع عن المفضل الضبي، راوية للأشعار، حسن الحفظ لها. له عدة كتب منها: النوادر، الانواء، الخيل، معاني الشعر، تفسير الأمثال، النبات. وغيرها.

انظر: بغية الوعاة للسيوطي جـ ١ ص ١٠٥.

هذا المعنى الذي اختص به هذا اللفظ .

فجهالتنا بذلك لا يلزم منها جهل العرب بهذا الفرق، ولا يصح منا تجهيلهم . فعلينا أن نتحمل وحدنا هذه الجهالة، وأثرها . وعبارته في ذلك كما رواها عنه أبو العباس ـ ثعلب هي :

«كل حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد في كل واحد منهما معنى ليس في صاحبه، ربما عرفناه، فأخبرنا به، وربما غمض علينا فلم نلزم العرب جهله»[1] .

وهو يرى أن الأسماء كلها لعلة خصت العرب ما خصت منها . من العلل ما نعلمه ومنها ما نجهله[2] .

هذا ما يشتهر من مذهب ابن الأعرابي . في هذه المسألة . ولكننا نبقى أمام رواية أخرى رواها عنه أبو العباس ثعلب .

جاء في الخصائص لابن جني : عن أبي العباس أحمد بن يحيى قال أنشدني ابن الأعرابي :

وموضع زبن لا أريد مبيته ... كأني به من شدة الروع آنس

فقال له شيخ من أصحابه : ليس هكذا أنشدتنا، إنما أنشدتنا : وموضع ضيق .

فقال : سبحان الله أتصحبنا منذ كذا وكذا ولا تعلم أن الزبن والضيق واحد، وقد قال الله سبحانه وهو أكرم قيلا : **﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى[3]﴾** . .[4] .

---

(١) انظر: المزهر جـ ١ ص ٣٩٩، ٤٠٠، وكتاب الأضداد لابن الأنباري جـ ١ ص ٧ .

(٢) انظر: المزهر للسيوطي جـ ١ ص ٤٠٠ .

(٣) سورة الإسراء آية ١١٠ .

(٤) انظر: الخصائص لابن جني جـ ٢ ص ٤٦٦ .

فيبدو أنه ضاق ذرعا بقول الشيخ من أصحـابه. وعجب من عدم معرفته أن الضيق والـزبن واحـد. وهـذا مـا يجعـل من الممكن أن نفهـم من هـذه القصة أنه يقول بالترادف. وهذا ما لا يتفق وما تقدم آنفا!

ولعلنا نحمل هذا ـ أيضـا ـ على أنهما بمعنى واحد لكن على أن في كل منهما معنى ليس في الآخر.

ولعل ممـا يسـوغ هـذا أن ابن الأعرابـي شيخ لثعلب. وثعلب شيخ لابن فارس وقد تقـدم رأي ابن فارس بوضوح أكثـر. فلعل الثلاثة يمثلـون مدرسة واحدة، ويقولـون برأي واحد في هذه المسألـة. يمثله رأي ابن فارس حيث جـاء أكثر تفصيـلا وإيضـاحـا، ويؤيـده قـول ابن الأعرابي ـ كل حـرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد في كل منهما معنى ليس في صاحبه ربما عرفناه فأخبرنا به، وربما غمض علينا فلم نلزم العرب جهله[1].

٥ ـ رأي ابن درستويه[2]:

يـرى ابن درستـوريه أن من المحـال أن يختلف اللفظـان ويبقى المعنى واحـد. كما يظن ذلك كثيـر من اللغـويين والنحويين، وسبب ظنهم هـذا يعود إلى أنهم سمعـوا العرب تتكلم في ذلك على طباعها، ومـا في نفوسها من معاني الألفاظ المختلفة، وكما تعارفت عليه وجرت به عادتها. غير أن بعض السـامعين لم يعـرفـوا هـذه العلل ولا تلك الفـروق. فظنـوا أن هـذه الألفاظ بمعنى واحد.

---

(١) انظر: المزهر للسيوطي جـ١ ص ٣٩٩، ٤٠٠.

(٢) هو: عبد الله بن جعفر بن محمد بن درستويه ابن المـرزبان أبو محمد ـ ينطق ـ دُرُستويه، بضم الدال والراء ويروى بفتحهما ــ اشتهر وتوفي في بغداد سنة ٣٢٧هـ له مـؤلفات كثيرة منها: شرح الفصيح، الإرشاد في النحو، غـريب الحديث، معاني الشعر، أخبـار النحاة والكتَّاب، ونقض كتاب العين.
انظر: بغية الوعاة جـ٢ ص ٣٦، والإعلام للزركلي جـ٤ ص ٢٠٤.

وهـؤلاء إن كانـوا قـد صـدقوا في نقـل تعدد اللفظ للمعنى الـواحـد عن العرب، فقد أخطئوا في فهم ذلك وتأويلـه، لأنه لا يجوز في الحكمة ورود ذلك.

إلا أن يكون ذلك من لغتين متباينتين، كمـا يجئ في لغة العرب والعجم أو في لغة رومية، ولغة هندية مثلا.

أما ما يرد من ذلك في اللغة الواحدة، فإنما هو على معنيين مختلفين أو من باب تشبيه الشيء بالشيء.

وعبـارته في ذلك: «لا يكـون فعل وأفعل بمعنى واحد، كمـا لم يكونـا على بناء واحد إلا أن يجيء ذلك في لغتين مختلفتين، فأمـا من لغة واحدة فمحـال أن يختلف اللفظان والمعنى واحـد. كمـا يظن كثير من اللغـويين والنحويين، وإنما سمعوا العرب تتكلم بذلـك على طباعها وما في نفوسها من معـانيها المختلفـة، وعلى مـا جـرت به عـادتهـا وتعـارفها ولم يعـرف السامعون لذلك العلة فيه والفـروق، فظنوا أنهما بمعنى واحد، وتأولوا على العرب هـذا التأويل من ذات أنفسهم، فإن كانـوا قد صدقـوا في رواية ذلك عن العرب فقـد أخطئوا عليهم في تأويلهم ما لا يجـوز في الحكمة، وليس يجيء شيء من هذا الباب إلا على لغتين متبـاينتين كما بينا، أو يكون على معنيين مختلفين ـ أو تشبيه شيء بشيء»(١).

ونتعرف على مـراده في اللغتين المتباينتين، وأنهما اللغـات المختلفة، وليست اللهجـات للغة الـواحـدة كما كـان الاصطـلاح قديمـا حيث تطلق اللغة. ويراد بها غالبا ـ اللهجة، يقول في موضع آخر:

«ولا يجـوز أن يكـون لفظـان مختلفـان لمعنى واحـد، إلا أن يجيء

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي جـ ١ ص ٣٨٤، ٣٨٥.

أحـدهما في لغـة قوم والآخـر في لغـة غيرهم، كمـا يجيء في لغة العـرب والعجم، أو في لغة رومية ولغة هندية»[١].

ومما تقدم يتضح أن ابـن درستوريه من أشد المانعيـن للترادف في اللغة الواحدة بلهجـاتها المختلفة، بينما الغالب لـدى نفاة الترادف منع ذلك في اللهجة الواحدة.

٦ ـ **أما نور الدين الجزائري**[٢]: فقد ألف كتابـا في الفروق بين الكلمات وفي رفع إيهـام التـرادف بينها سمـاه ـ فـروق اللغات في التمييـز بين مفـاد الكلمات ـ وفي تأليفه في الفروق ما يدل على رأيه في هذه المسألة وأنه أحد أنصار القول بالفـروق ـ وسيأتي لرأيه مزيد إيضاح عنـد الحديث عن كتابه ـ إن شاء الله ـ.

---

(١) المزهر للسيوطي جـ١ ص ٣٨٦.

(٢) هو نور الدين بن نعمة الله بن عبد الله الموسوي الجزائري، ولد ببلدة تستر سنة ١٠٨٨هـ، درس على والده وعلى كثير من مشايخ عصره، توفي سنة ١١٥٨هـ في بلدة تستر، له عدد من الآثار، منها: كتاب مبسـوط في علم النحو، ورسالة في بعض الأحاديث المشكلة، ورسـالة في أحكام الطهارات، وكتاب فروق اللغات. وغيرها.
انظر: ترجمته لمحقق كتابه ـ فروق اللغات ـ أسد الله الإسماعيليان. ص (ب).

المبحث الثالث
التأليف في الفروق

ألف في الفروق بعض العلماء الذين يمنعون الترادف، ولا يقولون به بغية إيضاح الفروق في دلالة الكلمات التي يبدو ترادفها لأول نظرة، لكن بينها فروقا دقيقة تظهر لمن يتحقق المعاني، ويمعن النظر، ويستقرى الاستعمال السليم لهذه الألفاظ.

يأتي في مقدمة هذه الكتب:

كتاب (الفروق في اللغة) لأبي هلال العسكري.

وكذا كتاب (فروق اللغات) لنور الدين الجزائري.

وسيأتي الحديث عنهما بشيء من التفصيل فيما بعد. كما أن هناك عدداً من الكتب في هذا الموضوع غيرهما، منها ما هو مختص بذكر الفروق، ومنها ما هو مظنة لوجود الفروق بين الألفاظ غالبا وإن لم يختص بها، أو يقتصر عليها. منها:

١ ـ كتاب الفرق

هناك نحو عشرة من علماء اللغة والنحو لكل منهم كتابا يحمل اسم «كتاب الفرق» فلأبي زيد الكلابي كتاب بهذا الاسم[١]، ولقطرب كتاب كذلك[٢]، ولأبي عبيدة معمر بن المثنى كتاب باسم ـ كتاب الفرق ـ[٣]

(١) انظر: الفهرست لابن النديم ص ٥٠.

(٢) انظر: المصدر السابق ص ٥٨.

(٣) انظر: المصدر السابق ص ٥٩.

ومثله لأبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري[١].

ولثابت بن أبي ثابت كتاب بهذا الاسم[٢]. وكذلك للأصمعي[٣]. ومثله لأبي حاتم السجستاني[٤]، ومثل ذلك لأبي بكر محمد بن عثمان بن جعد[٥]، ولأبي الجود القاسم بن محمد بن رمضان العجلاني مثل ذلك[٦]. وللبكري كتاب بهذا الاسم[٧]. ذكر ذلك صاحب الفهرست.

غير أن المصادر لم تعطنا معلومات وافية عن محتويات هذه الكتب، أكثر مما يوحى به عنوانها غير أنه طبع كتاب ثابت بن أبي ثابت سنة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م بتحقيق محمد الفاسي. وهو بعيد عما نحن فيه نوعا ما.

كما طبع كتاب الأصمعي حيث جاء فيه ما خالف الإنسان فيه البهائم. ويبدأ بالفم، ثم الشفة، ثم الأنف... ويذكر أسماء الأولاد، ثم أسماء جماعات الأشياء، وأنواع أصوات الطير والبهائم والوحش.

وقد طبع في فينا عام ١٨٨٨م من قبل الدكتور ـ دافيد هنرخ ـ[٨].

لكن هناك كتابا للزجاج باسم كتاب ــ الفروق ــ ذكره ابن النديم في

---

(١) انظر: المصدر السابق ص ٦٠.

(٢) انظر: المصدر السابق ص ٧٦.

(٣) انظر: المصدر السابق ص ٦١.

(٤) انظر: الفهرست لابن النديم ص ٦٤.

(٥) انظر: المصدر السابق ص ٩٠.

(٦) انظر: المصدر السابق ص ٩٢.

(٧) انظر: المصدر السابق ص ٩٤.

(٨) انظر: كتاب الأصمعي حياته وآثاره تأليف / عبد الجبار الجومرد ص ٢٤٩ وانظر: كتاب تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان جـ ٢ ص ١٤٨.

الفهرست[1] والـداودي في طبقـات المفسـرين[2]، كمـا جاء فـي حاشيـة العطار على جمع الجوامع تأييد ذلك وعـد هذا الكتاب من المصنفات في الفروق يقـول: وقد وافقهما ــ يعني ابن فارس وثعلب ــ الزجاج وأبـو هلال العسكري، وصنف كل منهما كتابا منع فيـه الترادف وسمى العسكري كتابه الفروق[3]. إذ يبدو أنـه عنى كتاب - الفـرق - للـزجاج وبهـذا تبقى كتب - الفرق - محتملة أن تكون فيما نحن فيه، أو بعيدة عنه.

وللحكيم الترمـذي كتاب: الفروق ومنع الترادف، يقوم علـى عدم وجود الترادف في اللغة ويظهر الفرق بين ما يظن مترادفاً.

٢ - كتاب - فرائد اللغة -
الجزء الأول في الفروق

هذا الكتـاب من تأليف الأب هنريكـوس لامنس اليسوعي، جـاء الجزء الأول منه في الفروق، وقد طبع في المطبعة الكـاثوليكية للآباء اليسوعيين، في بيروت سنة ١٨٨٩م.

وهذا الكتاب عبـارة عن جمع لكثير من الألفاظ التي ظاهـرها الترادف، لإظهـار مـا بينهـا من فـروق كما أوضحتـه كتب اللغـة الأخـرى، ككتـاب التعـريفات للجـرجـاني، والفروق لنـور الـدين الجزائري، والكليـات لأبي البقاء، وغيرها.

وقد رتبه حسب حروف الهجاء، جاء في مقـدمته، ما يبين رأي مؤلفه في

---

(١) انظر: الفهرست لابن النديم ص ٦٦.

(٢) انظر: طبقات المفسرين للداودي جـ ١ ص ١٠.

(٣) انظر: حاشية العطار على جمع الجوامع جـ ١ ص ٣٧٩.

مسألة الترادف حيث يقول: «إن كل لغـة تشتمل على مترادفات، وكلم في المعنى متشابهات، غيـر أن الترادف التام مما يستحيل كيـانه، ويمتنع في الوضع إتيانه، إذ يترتب عليه أن تكـون اللغة الواحدة لغتين، ويصير اللسان الفـرد لسانين، والعـربيـة داخلة في السنـة التي ذكـرناهـا غيـر خارجـة عن الطريقة التي أوردنـاها، وإنما هي بحر طافح بالألفـاظ المتقاربة المعنى، زاخر بالكلم المتشـاكلة في المدلول والمغـزى، حتى يختلط على الكاتب أن يفرق بينها، وكثيرا ما يستعجم عليه استعمالها في حينها»[1].

٣ ـ كتاب ـ التحفة النـظامية في الفروق الاصطلاحية ـ

تأليف علي أكبـر محمـود النجفي. جمع فيه ألفـاظـا مختلفة مع بيـان الفرق بينها. كما يبين الفرق بين الحروف، وبعض المصطلحات.
طبع بمطبعة دائرة المعـارف النظامية، الكائنـة بمدينة حيدر أبـاد الدكن سنة ١٣٤٠هـ، الطبعة الثانية.

٤ ـ كتاب ـ التعريفات ـ

تأليف السيد الشـريف علي بن محمد بن علي السيـد الزين أبي الحسن الحسيني الجـرجاني الحنفـي. وهذا الكتـاب عبـارة عن معجم ـ صغيـر ـ يشـــرح الألفــاظ المصطلح عليهـــا بين الفقهـــاء والمتكلمين والنحـــاة، والصرفيين والمفسرين وغيرهم.

٥ ـ كتاب ـ الكليات ـ

من تأليف أبي البقاء الحسيني الكوفي الحنفي. وهـو كتاب جليل القدر

---

(١) فرائد اللغة ـ الجزء الأول في الفروق ـ هنريكوس لامنس ص ٥.

عظيم الفائدة جمع فيه مؤلفه عدداً كبيراً من الفوائد والقواعد المختلفة، والتعريفات الدقيقة، ولهذا فهو من أكبر كتب الفروق لاهتمام مؤلفه بتحري الدقة في تحديد معاني الألفاظ، وفي التعريفات المختلفة، وقد جعله مؤلفه فصولا، ورتبه على الحروف. وخص حرف الألف بمزيد من الترتيب، لمسيس حاجتها لذلك: فجعلها فصولا أيضا. نحو فصل الألف والباء، فصل الألف والتاء. وهكذا. وأضاف في آخره فصلا في المتفرقات، وختمه بآخر سماه ـ فصل طوبى لمن صدّق رسول الله ـ وقد أعيدت طباعته بدمشق بعناية جيدة في التبويب والترتيب، وحسن الطبع، والفهرسة وهذا ما يجعل الاستفادة من هذا الكتاب الثمين أسهل وأيسر.

٦ ـ ـ المفردات في غريب القرآن ـ

تأليف الراغب الأصفهاني، وهذا الكتاب وإن لم يكن مختصا بالفروق. غير أن مؤلفه يهتم بالتحديد الدقيق لمعاني المفردات. مستعينا بالبيان القرآني الكريم، ومستدلا بآياته، ومن هنا تظهر الفروق بين الألفاظ، ويتضح ما تختص به كل لفظة من معنى، من خلال تحرى الدقة في تحديد معاني الألفاظ وتفسيرها.

٧ ـ ـ فقه اللغة وسر العربية

كما أن ذكر الفروق مذهب الثعالبي ـ غالبا ـ في كتابه ـ فقه اللغة وسر العربية. حيث يميز بين دلالات الألفاظ التي تطلق على الشيء الواحد، أو تتوارد على معنى من المعاني.

فهذه الكتب مظان لذكر الفروق بين الألفاظ إضافة إلى كتابي ـ الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري ـ وفروق اللغات ـ لنور الدين الجزائري.

اللـذين سيأتي الحديث عنهما قـريبا . وإضـافة إلـى ما يتنـاثر من أبـواب وفصول مختلفـة ، مبثوثة في كتـب اللغة والأدب لإيضاح الفـروق في أشياء معينة ، كما في أدب الكـاتب لابن قتيبة ، وإصلاح المنطق لابن السكيت ، ونظام الغريب لعيسى الربعي وكتب علوم القرآن كالبرهان للزركشي والإتقان للسيوطي ومعترك الأقران له أيضا وغيرها . هذا فضلا عن الكتب التي عنيت بالفروق التي ترجع إلى اختلاف الحركات كمثلثات قطرب وأمثالها .

كمـا درست الدكتـورة ــ عـائشة عبـد الـرحمن ـ بنت الشـاطئ ــ بعض الألفاظ القـرآنية ممـا يظن أنه من المترادفـات وأقامت الأدلـة على التفريق بينهـا . وكـذلك درست مسـائل ابن الأزرق وعنيت بـالتمـاس الفـروق بين الكلمة القرآنية ، وما فسرهـا بها ابن عباس رضي الله عنه جوابا لابن الأزرق . وذلك في كتابها ـ الإعجاز البياني للقرآن ، ومسائل ابن الأزرق ـ .

٨ ـ كتاب ـ فروق اللغات ـ

هذا الكتاب من تأليف نور الدين الجزائري .

سمـاه « فروق اللغـات في التمييز بين مفـاد الكلمات » بيـد أن المحقق اقتصر على وسمه بالجزء الأول من اسمه .

وقـد استفتحـه في مقدمتـه ببيـان أسبـاب تأليفـه لهذا الكتـاب . وهـذه الأسبـاب ترجع إلى اعتقـاد المؤلف بأهميـة اللغة وضـرورة إدراكها وفهمهـا فهما دقيقا لأنهـا الأداة لفهم مقاصد الكتاب والسنة وفهم معانيهـا ، ومعرفة سائر المطالب والعلوم يقول في مقدمته : (إن علم اللغة من أعظم ما يحتاج إليه الطالب إذ هـو الأساس لجميع المطالب والمآرب ويتـوسل به إلى فهم مقاصد الكتاب والسنة . .)[١].

---

(١) فروق اللغات لنور الدين الجزائري ص ٤ .

وبسبب تقصير علماء اللغة وإهمالهم في الغالب بيان الفروق اللغوية بين الكلمات وتسهيلا على الباحثين في تأليف كتاب مستقل يعنى بهذا الجانب ويجمع ما تشتت منه في بطون الكتب وما تفرق في فصولها، قام بتأليف هذا الكتاب، يقول: (. . . إلا أنهم أهملوا في الغالب بيان الفروق بين أكثر الكلمات، ولم يميزوا بين عمومها وخصوصها في الجهات فأوهم ذلك فيها الترادف مع ما بينها في الاستعمال من التخالف، وربما سئل بعض الطلبة عن الفرق بين الكلمتين وبيان مفاد اللفظتين، فيبادر ويقول هما بمعنى واحد من غير دليل، أو يتكلف لهما فرقا لا يروى الغليل مع أن معرفة ذلك مما يجب على من تأدب بآداب الأدباء. . ولم أجد من تصدى لجمع ذلك في كتاب أو نظمه في فصل أو أفرزه في باب، وإنما يوجد منها بعض في بعض الكتب تفاريق أو نزر متشتت في بعض التعاليق، فيعسر الوقوف عليها عند مسيس الحاجة إليها، فجال في خلدي قبل هذا بأعوام أن أجمع ذلك في كتاب وارتبه على أبواب، وأضيف إليه ما وصل إليه فكري الفاتر واستنبطه ذهني القاصر. .)[1]. فهذه أسباب ودواعي المؤلف لتأليف هذا الكتاب وقد ترآى له أنه صاحب السبق في التأليف في هذا الميدان، ويبدو أنه لم يطلع على كتاب أبي هلال العسكري في الفروق بدليل قوله أنه لم يجد من تصدى لجمع ذلك في كتاب، وبدليل عدم إشارته إليه أو إحالته عليه في كتابه.

---

(١) فروق اللغات ص ٥.

كيفية ترتيب الكتاب

بوّب المؤلـف كتابه أبوابا بعـدد حروف الهجاء عدا حـرف الياء حيث لم يعقد لها بابا ولم يورد لها مثالا.

وتختلف سعـة أبواب الحـروف من حرف لآخـر، فأكثـرها حـرف الألف حيث أورد تسعـة وخمسين «٥٩» مثـالا. ويتـدنـى ذلك ليصل إلى مثــال واحـد كما في حرف الـذال حيث أورد فقـط الفرق بين ـ الذليل والذلـول ـ وحرف الظـاء أتى بـ ـ الظـل والفيء. وحـرف الهـاء حيث جاء بـ ـ الهدية والهبـة.

وقد لا يمثل للحرف كما حصل لحرف الياء.

أما ترتيبه لهذه الأمثلة، فهـو لـم يعتمد على الحروف الأصلية للكلمة بل راعى معهـا الزوائد علـى أمل أن هذا المنهج أقـرب إلى التنـاول وأسهل في التداول وأيسر على الباحث.

يقـول في المقدمـة (. . . ورتبتـه على (النهج)[1] المعروف في تـرتيب الحروف لكن في الأوائل دون الأواخر ومن غير مـلاحظة مجردات المصادر بل بنيت على المادة المشهـورة في المعتلات والصحـاح وإن خالف ذلك قـانـون القامـوس والصحـاح؛ لأنـه أقرب إلى التنـاول وأسهل إلى التـداول فالفرق بين الابتداع والاختراع مثلا ذكرته في باب الألف والفرق بين التسبيح والتقديس ذكرته في باب التاء وهكذا. . .)[2].

---

(١) في الأصل: نهج.

(٢) فروق اللغات لنور الدين الجزائري المقدمة ص ٧.

والمؤلف يستدل على إيضاح الفروق ببعض الآيات القرآنية. وهذا شيء محمود.

بيد أنه أحيانا يستدل على الفروق بين الكلمات بألفاظ بعض آل البيت وادعيتهم، وما ينسب إليهم، مما يلفت النظر ويحتاج إلى الدليل على نسبة ذلك إليهم، وإلى سند قوي مقبول يتصل بهم.

من ذلك استدلاله على الفرق بين الابتداع والاختراع بما جاء عن محمد ابن يزيد قال: (جئت إلى الرضا عليه السلام أسأله عن التوحيد فأملى علي: الحمد لله فاطر الأشياء إنشاء ومبتدعها ابتداء بقدرته وحكمته لا من شيء فيبطل الاختراع ولا لعلة فلا يصح الابتداع «الحديث» فخص الاختراع بالإيجاد من لا شيء، والابتداع بالإيجاد لا لعلة)[1].

ومثله ما جاء في تفريقه بين الإنابة والتوبة: (قيل التوبة هي الندم على فعل ما سبق (والإنابة) ترك المعاصي في المستقبل قلت: ويشهد لذلك قول سيد الساجدين ﷺ في الصحيفة الشريفة اللهم إن يكن الندم توبة فأنا أندم النادمين وأن يكن الترك لمعصيتك إنابة فأنا أول المنيبين)[2].

والصنعة في مثل هذا تكاد تنطق.

ويظهر أن المؤلف لا ينكر وجود الترادف في اللغة، قصارى الأمر أنه يقول بوجود فروق بين عدد من الألفاظ يبدو للوهلة الأولى ترادفها. فهو يقول عن الخوف والرهبة:

«هما مترادفان في اللغة، وفرق بعض العارفين بينهما...»[3] ويقول عن الدهر والزمن: «هما في اللغة مترادفان، وقيل الدهر طائفة من الزمن

---

(١) فروق اللغات لنور الدين الجزائري ص ٨، ٩.

(٢) المصدر السابق ص ٢٤.

(٣) المصدر السابق ص ٩٦.

غير محددة، والزمان مرور الليالي والأيام [١]». ويقول عن الرفعة والعلو : «هما بمعنى في اللغة، وهو الفوقية . . »)[٢] إلى غير ذلك من مثل هذه الأقوال التي تدل صراحة على عدم إنكاره وجود الترادف . كما قد يوحى بذلك كونه من القائلين بالفروق بل والمؤلفين فيها .

والمؤلف يورد أحيانا أكثر من قول للتفريق بين الكلمات .

وكذا تخريجها على التبادل بإطلاق أحد الكلمتين على الأخرى .

يقول في التفريق بين الإدارة والمشيئة « . . . وقد تطلق كل منهما على الأخرى توسعا[٣]» . كما يجنح إلى أسلوب المتكلمين والفلاسفة في التماس الفروق بين الكلمات كما حدث في تفريقه بين الإدارة والمشيئة لكن هذا المسلك ليس كثيرا . ويظهر استعانته في كتابه بمجمع البيان للطبرسي، ومجمع البحرين ومفردات الراغب أحيانا، وأدب الكاتب . والكافي .

وقد ختم كتابه بخاتمة طويلة تبلغ نيفا وثمانين صفحة ضمنها فصولا مختلفة، تقترب علاقتها بالكتاب حينا وتبعد أحيانا أخرى مثل : فصل في أشياء مختلفة أسماؤها باختلاف أحوالها قال أبو عبيدة :

لا يقال كأس إلا إذا كان فيها شراب و إلا فهي قدح . . [٤] .

وفصل في الأضداد ـ وآخر في الأمثال . . إلى غير ذلك .

كما أن المصحح اتبع خاتمة الكتاب ببعض منشئات المؤلف . ورسائله وخطبه، ومواعظه فيما يقرب من خمسين صفحة .

(١) المصدر السابق ص ٩٩ .

(٢) المصدر السابق ص ١٠٩ .

(٣) فروق اللغات لنور الدين الجزائري ص ٩ .

(٤) المصدر السابق ص ١٧٦ .

وهـذا الكتاب طبع في إيـران سنـة ١٢٧٤هـ، كمـا طبع أخيرا بمطبعـة النجف سنـة ١٣٨٠هــ، ونشرتـه دار الكتب العلميـة بالنجـف، وقد قـام بتحقيقه: أسد الله الاسماعيليان.

٩ - كتاب - الفروق في اللغة - لأبي هلال العسكري

أبو هلال العسكري يأتي في مقدمة القائلين بالفروق بين الكلمات. ومن أشهر من اشتهر بهذا المذهب، وألف فيه.

وهو من عرف بعنـايته بمذهب اللفظية - فهو ممن يـرى أن إعجاز القرآن الكـريم إنما هـو في النظم وحسن التأليف، وجمال التـركيب، مع سهولـة الألفاظ وجزالتها ووضوح المعاني وروعتها. ولذلك يدعو إلى تعلم البلاغة ومعرفة الفصاحة (اعلم علمك الله الخيـر. أن أحق العلوم بالتعليم وأولاها بالتحفظ بعد المعـرفة بالله جل ثناؤه: علم البـلاغة ومعرفة الفصـاحة الذي يعرف بـه إعجاز كتـاب الله تعالى.. وقـد علمنا أن الإنسـان إذا أغفل علم البلاغة وأخل بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن...)[1].

وقد حرص في كتـابه المعروف - الفروق في اللغة - على التماس الفروق بين الألفاظ جهد الطاقة وقدر الإمكان ما أسعفه إلى ذلك بيان، مهما دقت الفروق، وتقاربت دلالة الألفاظ، مما جعله أحيانا يركب متن الشطط.

الأسباب التي دعته إلى القول بهذا المذهب:

يشير أبـو هلال العسكري إلى أكثـر من سبب يدعو إلى القـول بمذهب الفروق، يـأتي في مقدمتهـا اعتقاده أن اختـلاف العبارات يوجـب اختلاف

---

(١) انظر: كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ص ٧.

المعاني. وأننا ما دمنا قد دللنا على ذلك المعنى بتلك العبارة، فلا مسوغ للدلالة على نفس المعنى بعبارة أخرى لأنها تكون فضلة ولا تدعو لها حاجة فهي إذن لا تتفق وحكمة الوضع.

ومن الجدير ذكره هنا أن هذا الاعتقاد. وذلك الاستدلال هو من أقوى أدلة القائلين بالفروق. فنحن نرى المؤلف يضع الباب الأول من كتابه هذا للإبانة عن كون اختلاف العبارات والأسماء موجبا لاختلاف المعاني في كل لغة يقول:

(الشاهد على أن اختلاف العبارات والأسماء يوجب اختلاف المعاني أن الاسم كلمة تدل على معنى دلالة الإشارة و إذا أشير إلى الشيء مرة واحدة فعرف فالإشارة إليه ثانية وثالثة غير مفيدة وواضع اللغة حكيم لا يأتي فيها بما لا يفيد فإن أشير منه في الثاني والثالث إلى خلاف ما أشير إليه في الأول كان ذلك صوابا فهذا يدل على أن كل اسمين يجريان على معنى من المعاني وعين من الأعيان في لغة واحدة فإن كل واحد منهما يقتضي خلاف ما يقتضيه الآخر و إلا لكان الثاني فضلا لا يحتاج إليه)[١].

وهو يرى أن اختلاف الحركات يوجب اختلاف المعاني فيكون اختلاف المعاني باختلاف الألفاظ أولى[٢].

وما يمكن أن يعتبر سببا آخر لقوله بهذا الرأي وتأييده هذا المذهب الحاجة إلى الاختصار، ولأن القول بخلافه يؤدي إلى تكثير اللغة بما لا فائدة فيه ولا حاجة إليه. يقول: (وحاجتنا إلى الاختصار تلزمنا الاقتصار في تأييد هذا المذهب)[٣].

---

(١) انظر: الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري ص ١٣.

(٢) المصدر السابق ص ١٥.

(٣) المصدر السابق ص ١٦.

فهو إذاً من أنصار منع الترادف ليس هذا فحسب فنحن نستطيع أن نفهم من كلامه أنه ممن يقولون بمنع الاشتراك اللفظي في العربية أيضا في قوله: (وكما لا يجوز أن يدل اللفظ الواحد على معنيين فكذلك لا يجوز أن يكون اللفظان يدلان على معنى واحد لأن في ذلك تكثيرا للغة بما لا فائدة فيه)[1].

سبب تأليف الكتاب:

أهم دواعي تأليف هذا الكتاب عدم وجود كتب مؤلفة في الفروق بين معاني الألفاظ المتقاربة الدلالة، التي يظهر للبعض أنها مترادفة مع أنها في حقيقة الأمر ليست كذلك. يقول في مستهل كتابه:
(ثم إني ما رأيت نوعا من العلوم وفنا من الآداب إلا وقد صنف فيه كتب تجمع أطرافه وتنظم أصنافه إلا الكلام في الفرق بين معانٍ تقاربت حتى أشكل الفرق بينهما نحو العلم والمعرفة، والفطنة والذكاء، والإرادة والمشيئة، والغضب والسخط، والخطأ والغلط، والكمال والتمام، والحسن والجمال... وما شاكل ذلك فإني ما رأيت في الفرق بين هذه المعاني وأشباهها كتابا يكفي الطالب ويقنع الراغب مع كثرة منافعه فيما يؤدي إلى المعرفة بوجوه الكلام والوقوف على حقائق معانيه والوصول إلى الغرض فيه فعملت كتابي هذا...)[1].

القول في الفروق هل هو في لغة واحدة أم في لغتين:

هذا ما يقوله أبو هلال العسكري في الفروق بين الكلمات، فدعنا

---

١) المصدر السابق ص ١٤.

(٢) انظر: الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري ص ٩.

نلتمس أين موضع هذا القـول، هل هذه الفروق بين ألفاظ اللغـة الواحدة؟ وماذا يكون الأمر إذا تعددت اللغات ــ أو اللهجات كما يقول المتأخرون ـ؟ الذي يظهر من دراسة كتابه أنه يمنـع الترادف بين ألفاظ اللغة الواحدة ـ أي اللهجة الواحدة ـ وأنـه حين يدق الفرق بين الألفاظ، ويستعصي بيان ذلك يجعل اختلاف اللغات مخرجا للمسألة.

ولنستشهد على ذلك بأقواله. يقـول: «. . فإذا اعتبرت هذه المعاني وما شاكلهـا في الكلمتين ولم يتبين لك الفـرق بين معنييهما، فاعلـم أنهما من لغتين[1] مثل القِدْر بالبصريـة والبرمة بالمكية، ومثل قولنـا الله بالعربية وآزر بالفارسية»[2].

كما يقول: «ولا يجـوز أن يكون فعل وأفعل بمعنى واحد كمـا لا يكونان على بناء واحـد إلا أن يجيئ ذلك في لغتين فأمـا في لغة واحـدة فمحال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد كما ظن كثير من النحويين واللغويين»[3].

ويقول أيضا: «. . وكـذلك قولنا فعلت يفيد خـلاف ما يفيد أفعلت في جميع الكلام إلا ما كان من ذلك لغتين»[4].

---

(١) استعماله هنا للغة جاء بمعنى اللهجـة من ذات اللغة، وبمعنى اللغة المستقلة، كما هو واضح من التمثيل.

(٢) انظر: الفروق في اللغة ص ١٩.

(٣) المصدر السابق ص ١٥ ـ يلاحظ أن هذا الكلام في حقيقته إنما هو لابن درستويه جاء في شرح الفصيح، وقـد نقله السيـوطي في كتابـه المـزهر ١/ ٣٨٤ منسـوبا لابن درسـتويه، وقـد سبقت الإشارة إلى ذلك عند الحديث عن رأي ابن درستويه ص ٩٣، ٩٤.

وهذا لا يقدح في الاستدلال به هنا لأنه يؤيده ويقول به وإنما القادح عدم عزو أبي هلال صراحة هذا الكـلام لقائله حقيقة، وقـد لاحظ الأستاذ/ عبد الخـالق عضيمة ذلك عليه في محاضـراته ـ العجالة في فقه اللغة ـ ص ٩٥.

(٤) انظر: الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري ص ١٥.

وهو حينما قال إن كل اسمين يجريان على معنى من المعاني اشترط أن يكون ذلك في لغة واحدة بقوله: «إن كل اسمين يجريان على معنى من المعاني وعين من الأعيان في لغة واحدة فإن كل واحد منهما يقتضي خلاف ما يقتضيه الآخر..»[1].

وقد حرصت هنا للاستشهاد بأكثر من قول له لأنني لم أر من اهتم بهذه المسألة رغم أهميتها، وإنما يؤتى بالمؤلف على رأس من يقولون بالفروق من غير إيضاح قوله على حقيقته. وتنزيله منزلته. وهذه المسألة إحدى أسباب المتاهات والاختلافات في هذه القضية.

ومن أوضح الأدلة على أن قوله بالفروق إنما هو في لهجة القبيلة الواحدة أنه حين أخذ يوضح الفرق بين الصفة والنعت ودق عليه الفرق لجأ إلى تخريج ذلك بتعدد اللغات بقوله (... ويجوز أن يقال الصفة لغة والنعت لغة أخرى ولا فرق بينهما في المعنى. والدليل على ذلك أن أهل البصرة من النحاة يقولون الصفة، وأهل الكوفة يقولون النعت ولا يفرقون بينهما...)[2] وفعل هذا أكثر من مرة.

وهذا هو مذهب أغلب اللغويين. وبه يمكن الجمع بين أكثر الآراء. وذلك بتخصيص الترادف في حالة تعدد اللهجات، ومنعه في اللهجة الواحدة. كما يقول الأصفهاني «ينبغي أن يحمل كلام من منع على منعه في لغة واحدة فأما في لغتين فلا ينكره عاقل»[3].

ومما يجدر ملاحظته في كتابه أن كثيرا من الألفاظ التي يحرص على ذكر الفروق بينها نجده لا ينكر وجود قدر مشترك بينها في الدلالة لكن كل كلمة

---

(١) المصدر السابق ص ١٣.

(٢) المصدر السابق ص ٢٢.

(٣) انظر: المزهر جـ١ ص ٤٠٥.

لها دلالتها المميزة وإن دلت على بعض معنى الكلمة الثانية .

وهو يحس بأنه ومن يقولون بقوله قد خالفوا جميع أهل اللغة : يقول في ذلك (. . ولعل قائلا يقول إن امتناعك من أن يكون للفظين المختلفين معنى واحد رد على جميع أهل اللغة لأنهم إذا أرادوا أن يفسروا اللب قالوا العقل ، أو الجرح قالوا هو الكسب . أو السكب قالوا هو الصب ، وهذا يدل على أن اللب والعقل عندهم سواء وكذلك الجرح والكسب ، والسكب والصب . وما أشبه ذلك . قلنا : ونحن أيضا كذلك نقول إلا أنّا نذهب إلى أن قولنا اللب وإن كان هو العقل فإنه يفيد خلاف ما يفيد قولنا العقل . . .)[1].

وقضية العموم والخصوص كثيرا ما تكون هي الفرق عنده بين الألفاظ . وحتى يتبين ذلك لا بأس بنقل بعض أقواله حول هذه المسألة .

يقول عند حديثه عن الفرق بين النظر والتأمل (فكل تأمل نظر وليس كل نظر تأملا)[2] .

ويقول (. . وكل أجل مدة وليس كل مدة أجلا)[3] .

وقوله (. . فكل معرفة علم وليس كل علم معرفة)[4]. وكذا قوله (كل حلم إمهال وليس كل إمهال حلما)[5].

إلى غير ذلك من مثل أقواله هذه . ومنها يظهر جواز استعمال بعض الكلمات مكان بعضها الآخر . وأن القول بالفروق لا يمنع هذا وذلك حينما

---

(١) انظر : الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري ص ١٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٦٦ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٦٦ .

(٤) المصدر السابق ص ٧٢ .

(٥) المصدر السابق ص ١٩٥ .

تلتقي الكلمات المترادفة على قدر مشترك من المعنى .

وأن استعمال بعض الكلمات مكان بعض ناتج أحيانا عن التوسع في الاستعمال وكثرته، وعن تقارب المعاني .

يقول في حديثه عن الفرق بين النعت والصفة (ثم كثر حتى استعمل كل واحد منهما في موضع الآخر)[1] ويقول عند حديثه عن الفرق بين الاختصار والإيجاز (. . فإن استعمل أحدهما موضع الآخر فلتقارب معنييهما)[2] .

ومثل قوله عن الخبر والحديث (. . . ثم كثر استعمال اللفظين حتى سمي كل واحد منهما باسم الآخر)[3] .

وأمثال أقواله هذه كثيرة حرصت على ذكر بعضها لأنها تدلنا على أن هناك فروقا قائمة في الأصل بين بعض الألفاظ لكن كثرة الاستعمال وسوءه أحيانا أديا إلى تلاشي تلك الفروق مما يصعب معه بل ربما يتعذر في بعض الأحيان التماس الفروق ومعرفتها من غير تمحل أو تعسف أو مغالاة .

لكن إن قبل هذا في الألفاظ التي من السهل ملاحظة الفرق بينها، فإنه من جهة أخرى يعتبر تخلّصا عند العجز عن معرفة الفرق بين بعض الألفاظ أو عند عدم وجود الفرق أصلا .

ومسألة تحديد الألفاظ التي ضاعت منها الفروق، والألفاظ التي لا توجد بينها فروق أصلا من الصعوبة بمكان .

ومن الملاحظ ـ أيضا ـ أنه أحيانا لا يتضح تعريف الكلمة وتفسيرها فيلتمس لذلك أكثر من وجه، وهذا يدل على عدم الجزم بدلالتها الدقيقة .

(١) انظر: الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري . ص ٢٢ .

(٢) المصدر السابق ص ٣١ .

(٣) المصدر السابق ص ٣٢ .

مثال ذلك قوله: (الفرق بين القضاء والقدر أن القدر هو وجود الأفعال على مقدار الحاجة إليها والكفاية لما فعلت من أجله.

ويجوز أن يكون القدر هو الوجه الذي أردت إيقاع المراد عليه، والمقدر الموجد له على ذلك الوجه وقيل أصل القدر هو وجود الفعل على مقدار ما أراده الفاعل. وحقيقة ذلك في أفعال الله تعالى وجودها على مقدار المصلحة والقضاء هو فصل الأمر على التمام)[1].

كما يلاحظ أنه يفرق بين بعض الألفاظ بأنه لا يقال لله كذا، أو لا يوصف الله بكذا نحو قوله: كما أن الإحساس هو الإدراك بالحاسة ولهذا لا يوصف الله بذلك[2]. وقوله: ولهذا لا يقال إن الله يلقن العبد، كما يقال إن الله يعلمه[3]. ونحو تفريقه بين العلم والعقل: «.. ولهذا لا يوصف الله تعالى به. ـ يعني العقل ـ[4]. ويفرق بين العزة والشرف بقوله: «... ولهذا لا يقال لله تعالى شريف كما يقال له عزيز»[5].

وغير ذلك كثير.

ويجيب الأستاذ عبدالخالق عضيمة على هذا، بأن هذه الأشياء توقيفيّة[6]. بيد أن كونها كذلك لا يمنع من دلالتها على وجود فرق بينها وبين ما يقال إنها رديفتها، واختصاصها بمزية لا توجد في اللفظة الأخرى وإلا لما كان للاقتصار عليها معنى وفي هذا ما يدل على عدم ترادفها ترادفا تاما مع اللفظة الأخرى.

---

(١) المصدر السابق ص ١٨٥.

(٢) انظر: الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري ص ٧٢.

(٣) المصدر السابق ص ٧٥.

(٤) المصدر السابق ص ٧٥.

(٥) المصدر السابق ص ١٧٥.

(٦) انظر: العجالة في فقه اللغة، محاضرات للأستاذ/ عبد الخالق عضيمة ص ٨٦.

المبحث الرابع
طرق معرفة الفروق اللغوية

هناك طرق معينة، ومسالك محـددة، ومناهج واضحة. يتعرف بها ومن خـلالها على الفـروق اللغـوية. وقـد ذكـر أبو هـلال العسكـري في كتابـه (الفروق في اللغـة) هذه المسالك التي بهـا يمكن معرفة الفـروق بين معاني الألفاظ المتقاربة الدلالة، والتي يظهر للكثير أنها مترادفة.

وهـذه المسالك والطـرق هي ذاتها التي يسلكهـا علماء اللغـة القائلـون بالفـروق. وإن لم يتحدثوا عنهـا بمثل الوضوح الـذي تحدث به أبـو هلال العسكري، وأهمها:

أولا: الاستعمال اللغوي للكلمة يدل على معنـاها فلفظتا العلم والمعرفة تستطيع أن تصل إلى الفرق بينهمـا بتتبع استعمالهما. ومـا يقوله اللغـويون عنهما. فأهل اللغة يقولون إن العلم يتعدى إلى مفعولين ليس لك الاقتصار على أحدهمـا إلا أن يكون بمعنى المعرفة، كقولـه تعالى ﴿**لا تعلمونهم الله يعلمهم**﴾[1] فالمعنى هنا، لا تعرفونهم الله يعرفهم.

بينما المعرفة تتعدى إلى مفعول واحد. فاستعمالها على هذا النحو يدل على الفرق بينهمـا في المعنى وهو أن لفظ المعـرفة يفيد تمييـز المعلوم من غيره. بينما لفظ العلم لا يفيـد ذلك المعنى إلا بضرب آخر من التخصيص في ذكر المعلوم، فـأنت حين تذكر زيدا ــ مثلا ـ لمخاطب يعرفـه بقولك، علمت زيدا. فإنه لن يستفيد جديـدا، أما إذا قلت له علمت زيدا قائما أو بخيلا فإنـك تكون قد دللت المخـاطب على أنك علمت زيـدا على صفة

---

(١) سورة الأنفال آية ٦٠.

معينة من الممكن ألا تعلمه عليها، مع علمك به في الجملة. فالمعرفة تتعلق بذات الشيء والعلم يتعلق بأحواله. فتقول: عرفت أباك وعلمته صالحا[1].

وإذا قلت عرفت زيدا فإنك تكون قد أفدت، لأن ذلك بمنزلة قولك علمته متميزا من غيره، فاستغنى عن قولك متميزا من غيره؛ بما في لفظ المعرفة من الدلالة على ذلك. فكل معرفة علم وليس كل علم معرفة. وأحيانا يجرى اللفظان مجرى واحدا، وهذا ما يحدده السياق[2].

وقيل المعرفة إدراك الشيء بتفكر وتدبر لأثره، وهو أخص من العلم[3].

والمعرفة تستعمل خصوصا في توحيد الله تعالى وإثبات ذاته، فتقول عرفت الله، ولا تقول علمت الله إلا أن تضيف إليه صفة من صفاته نحو علمت الله عدلا، ونحو ذلك. يقول الخطابي: وحقيقة البيان في هذا أن العلم ضده الجهل، والمعرفة ضدها النكرة[4].

ثانيا: اعتبار صفات المعنيين اللذين يطلب الفرق بينهما، ويمثل لهذا بالفرق بين الحلم والإمهال، فالحلم لا يكون إلا حسنا بخلاف الإمهال فيكون حسنا وقبيحا[5] فقد يكون الإمهال من باب التوسعة، وقد يكون استعدادا للانتقام.

ثالثا: اعتبار ما يؤول إليه المعنيان المراد التفريق بينهما ومعرفة دلالتهما

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي. جـ ٤ ص ٥٩.

(٢) انظر: الفروق في اللغة، لأبي هلال العسكري، الصفحات ١٧، ٧٢ ـ ٧٣.

(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز جـ ٤ ص ٤٧.

(٤) انظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ٢٩ ـ ٣٠. وراجع في الفرق بين اللفظين: فرائد اللغة الجزء الأول في الفروق للأب هنريكوس لامنس ص ٢١٨.

(٥) انظر: الفروق في اللغة، لأبي هلال العسكري، الصفحات ١٧ و ١٩٥ ـ ١٩٦.

وما يوجبانه، يمثل لذلك بالفرق بين المزاح والاستهزاء، فالمزاح لا يقتضي تحقير الممازح ولا يؤدي إلى اعتقاد ذلك التحقير فيه بدليل أن اتباع الملوك والرؤساء يمازحونهم ولا يدل ذلك منهم على تحقيرهم ولا حتى اعتقاد ذلك، وإنما يدل على استئناسهم بهم وهذا بخلاف الاستهزاء فإنه يقتضي تحقير المستهزأ به، وبهذا يظهر الفرق بين المعنيين بتباين ما دلا عليه وأوجباه[1].

رابعا: اعتبار الحروف التي تعدى بها الأفعال، يؤدي إلى معرفة الفرق بين اللفظين، مثّل لهذا أبو هلال العسكري بالفرق بين العفو والغفران، فأنت تقول عفوت عنه، فتعديه بعن. وتقول غفرت له، فيتعدى باللام، فقولك عفوت عنه يقتضي أنك محوت الذم، وأسقطت عنه اللوم دون أن يقتضي ذلك إيجاب الثواب له.

بينما الغفران يقتضي إسقاط العقاب، وأنك سترت له ذنبه، ولم تفضحه به. وإسقاط العقاب هو إيجاب الثواب، فلا يستحق الغفران إلا المؤمن المستحق للثواب. يقول أبو هلال العسكري: إنك تقول عفا عنه فيقتضي ذلك إزالة شيء عنه، وتقول غفر له فيقتضي إثبات شيء له[2].

ورغم هذه المحاولة للاستدلال باختلاف الحروف التي تتعدى بها الأفعال، على وجود فرق بينهما ـ بهذا المثال ـ إلا أن أبا هلال العسكري في النهاية يرى تقارب معناهما إلى درجة تداخلهما، واستعمال أحدهما في معنى الآخر، من غير فرق. يقول: إلا أن العفو والغفران لما تقارب معناهما تداخلا واستعملا في صفات الله جل اسمه على وجه واحد،

---

(١) المصدر السابق ص ١٧ و ٢٤٨.

(٢) انظر: الفروق في اللغة، لأبي هلال العسكري ص ٢٣٠.

فيقال عفا عنه وغفر له بمعنى واحد[1].

وقيل إن العفو : ترك العقاب على الـذنب، والمغفرة هي أن يستر القادرُ القبيحَ الصادر ممن تحت قـدرته، ومن هنا لا يقال لستـر العبد عيب سيده مخافة عقابه بأنه غفر له. ولكن ـ أيضا ـ لا يقال بأنه عفا عنه.

وقيل إن العفو يختص بإسقـاط العذاب الجسماني، والمغفـرة: إسقاط العذاب الروحاني[2].

ويرى الغزالي في العفـو مبالغة ليست في الغفران ـ على خـلاف ما يرى العسكري؛ لأن الغفران ينبئ عن الستر، والعفـو ينبئ عن المحو، وهو أبلغ من الستر؛ لأن ستر الشيء قد يحصل مع بقاء أصله، بخلاف المحو، فإنه يعني إزالته بالكلية[3].

ونقل عن ابن قتيبة أن العفـو قد يكون قبل العقـوبة، وقد يكون بعـدها، بخلاف الغفران، فإنه لا يكون معه عقوبة البتة ولا يوصف بالعفو إلا القادر على ضده[4].

وفي هذا تعضيد لرأي أبي هلال العسكري في أن الغفران أبلغ من العفو. فالعفو والمغفـرة إنما هي درجات للمسامحة والتجـاوز عما يقع من أخطاء وخطايا.

ويبدو أن المغفرة أبلغ فكأنها عفو مشوب برضا وصفح مما لا يمتنع معه المكافأة والثواب، وإن كان المذنب لا يطمع بأكثر من عدم العقاب.

---

(١) انظر: المصدر السابق ص ٢٣٠. وانظر ص ١٧.

(٢) انظر: فرائد اللغة ـ الجزء الأول في الفروق ـ للأب هنريكوس لامنس جـ ١ ص ٢١٠.

(٣) انظر: فرائد اللغة، هنريكوس لامنس ص ٢١٠.

(٤) المصدر السابق ص ٢١٠.

قال تعالى ﴿. . . **وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخرّ راكعا وأناب فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب**﴾ [1].

وقال سبحانه حكاية عن سليمان: ﴿**قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب**﴾ [1].

خامسا: الطريق الخامس لمعرفة الفرق بين معنى الكلمتين ومدلولهما هو اعتبار النقيض والضد، فبضدها تتميز الأشياء، مثال ذلك الفرق بين الحفظ والرعاية فإنه لن يسهل معرفة الفرق بينهما إلا بمعرفة نقيض كل منهما.

فالحفظ نقيضة الإضاعة ونقيض الرعاية الإهمال، ولهذا يقال للماشية إذا لم يكن لها راع هَمَل، والإهمال يؤدي إلى الإضاعة، وعليه فإن الحفظ هو صرف المكاره عن الشيء لئلا يهلك.

والرعاية فعل السبب الذي يصرف به المكاره عنه ألا تراهم يقولون فلان يرعى العهود بينه وبين فلان بمعنى أنه يحفظ الأسباب التي تبقى معها تلك العهود وتدوم بها. وراعى الماشية يتفقد أمورها ويبعد عنها الأسباب التي يخشى منها عليها والتي قد تؤدي بها إلى الضياع ونحوه [3].

ونحو الحمد والشكر فإذا عرف أن ضد الحمد الذم، وضد الشكر الكفر، اتضح الفرق.

سادسا: المسلك السادس لمعرفة الفرق بين معاني الألفاظ هو اعتبار الاشتقاق فمعرفة أصل اشتقاق الكلمة يعين على تبيّن معناها الصحيح ومن ثم معرفة الفرقة بينها وبين الكلمة الأخرى.

---

(١) سورة (ص) الآيتان ٢٤، ٢٥.

(٢) سورة (ص) آية ٣٥.

(٣) انظر: الفروق في اللغة، لأبي هلال العسكري، الصفحات ١٧ ـ ١٨، ١٩٩.

مثال ذلك الفرق بين السياسة والتدبير فالسياسة هي النظر في الدقيق من أمور السوس، أصل اشتقاقها من السوس هذا الحيوان المعروف.

والتدبير مشتق من الدبر، ودبر كل شيء آخره، والمقصود في تدبير الأمور سوقها وتصريفها إلى ما فيه صلاح العواقب.

ولا يطلق على التدبير الواحد سياسة لكن إذا استمر أمكن ذلك. وذلك أنه إذا كثر التدبير واستمر احتيج فيه إلى دقة النظر ولهذا فكل سياسة تدبير وليس كل تدبير سياسة [1].

ونحو الفرق بين التلاوة والقراءة. وذلك أن التلاوة لا تكون في الكلمة الواحدة؛ لأن أصل التلاوة من قولك تلا الشيءُ الشيءَ يتلوه إذا تبعه والكلمة الواحدة ليس بعدها شيء يتبعها، وعليه تكون التلاوة في الكلمات يتبع بعضها بعضا ولا تكون في الكلمة الواحدة إذ لا يصح فيها التلو، وإنما تستعمل فيها القراءة لأن القراءة اسم لجنس هذا الفعل [2].

سابعا: المسلك السابع هو معرفة ما توجبه صيغة اللفظ من الفرق بينه وبين ما يقاربه من الألفاظ الأخرى. مثاله الفرق بين الاستفهام والسؤال فالاستفهام استفعال والاستفعال يكون للطلب وهو لا يكون إلا لما يجهله المستفهم أو يشك فيه، لأن المستفهم يريد أن يفهم ما استفهم عنه مما يجهله أو يشك فيه.

أما السؤال فإن السائل قد يسأل عما يعلم وعما لا يعلم.

ثامنا: المسلك الثامن لمعرفة الفروق هو اعتبار حقيقة اللفظين أو

---

(١) المصدر السابق، الصفحات ١٨، ١٨٦.

(٢) المصدر السابق، الصفحات ١٨، ٥٤.

أحدهمـا في أصل اللغة [1]. مثالـه الفرق بين الحنين والاشتيـاق وذلك أن أصل الحنين في اللغـــة عبـارة عن صـوت من أصـوات الإبـل تحـدثـه إذا اشتاقت إلى أوطانها، لكن كثر ذلك حتى أجرى اسم كل واحد منهما على الآخر كما يجرى على السبب وعلى المسبب اسم السبب [2].

تاسعا: مراعاة الأحوال حيث تختلف الأسماء باختلاف الأحوال فلا يقال مائدة إلا إذا كان عليها طعام، وإلا فهي خـوان، ولا يقال كوز إلا إذا كانت لـه عروة وإلا فهـو كـوب. ولا يقال خـاتم إلا إذا كـان فيه فص، وإلا فهـو فتخه، ولا يقال ثـرى إلا إذا كان نديًا، وإلا فهو تراب، كمـا لا يقال للعبد آبق إلا إذا كان ذهابه من غيـر خوف ولا كد عمل، وإلا فهو هارب [3]. وما إلى ذلك من الأسماء التي تختلف باختلاف أحوالها، وقد أورد الثعالبي في كتابه «فقه اللغة» أمثلة كثيرة لمثل هذه الأشياء.

---

(١) انظر: الفروق في اللغة، لأبي هلال العسكري ص ١٨، ٢٨.

(٢) المصدر السابق ص ١٩.

(٣) انظر: فقه اللغة، للثعالبي ص ٥٠ ـ ٥١.

الباب الثاني

الترادف والفروق عند علماء الأصول

ويشمل ثلاثة فصول :-

الفصل الأول

تعريف الترادف عند الأصوليين

الفصل الثاني

الترادف عند الأصوليين

الفصل الثالث

في أمور تتعلق بالترادف

الفصل الأول

ويشتمل على المباحث التالية:

١ ـ تعريف الترادف عند الأصوليين.

٢ ـ محترزات التعريف.

أ) التابع والمتبوع.

ب) المؤكِّد والمؤكَّد.

جـ) الترادف بين الحد والمحدود.

د) وحدة الاعتبار.

١ ـ تعريف الترادف عند الأصوليين:

الأصوليون يهمهم أن يقطعوا برأي في مسألة الترادف، لما لهذه المسألة من علاقة كبيرة، وأثر مهم في فهم النصوص الشرعية التي تستخرج منها الأحكام.

لذا نرى لهم في تحديد الترادف أكثر من تعريف:

فقد عرفه القرافي[١] بعبارة سهلة اذ يرى أن الألفاظ المترادفة هي: الألفاظ الكثيرة لمعنى واحد كالقمح، والبر، والحنطة[٢].

وكذلك عرف الخضري[٣] المترادفين بأنهما ما اتحد مفهومهما[٤].

وفي هذين التعريفين توسيع لدائرة الترادف.

ويرى الغزالي[٥] أن المعني بالألفاظ المترادفة هو: الألفاظ المختلفة، والصيغ المتواردة على مسمى واحد كالخمر والعقار، والليث والأسد، والسهم والنشاب.

---

(١) هو أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي. إمام المالكية في القرن السابع له مؤلفات جليلة وشهيرة منها: (أنوار البروق في أنواء الفروق) مطبوع في أربعة أجزاء، (الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرف القاضي والإمام) مطبوع، (شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول) وغيرها. توفي سنة ٦٨٤ هـ. انظر: الأعلام، للزركلي جـ١ ص ٩٠، الفتح المبين في طبقات الأصوليين للمراغي جـ٢ ص ٨٦، ٨٧.

(٢) انظر: شرح تنقيح الفصول، للقرافي ص ٣١.

(٣) هو محمد بن عفيفي الباجوري. المعروف بالشيخ الخضري. باحث، وخطيب. ومن العلماء بالشريعة والأدب وتاريخ الاسلام. له: أصول الفقه، تاريخ التشريع الاسلامي، واتمام الوفاء في سيرة الخلفاء، ومحاضرات في تاريخ الأمم الاسلامية. وغيرها. توفي سنة ١٣٤٥ هـ، انظر: الاعلام، للزركلي جـ٧ ص ١٥١.

(٤) انظر: اصول الفقه للخضري ص ١٤٣.

(٥) هو العالم أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ــ بتخفيف الزاء وقيل بتشديدها ورجحه بعضهم ـ فيلسوف، أصولي، له حوالي مائتي مصنف من أشهرها: احياء علوم الدين، تهافت الفلاسفة، المستصفى وغيرها. كتب عنه الكثير ولد سنة ٤٥٠ هـ. توفي سنة ٥٠٥ هـ. انظر: الاعلام، للزركلي جـ٧ ص ٢٤٧ والفتح المبين في طبقات الأصوليين، للمراغي جـ٢ ص ٨ ـ ١٠.

وبالجملة كل اسمين لمسمى واحد يتناولـه أحدهما من حيث يتناوله الآخر من غير فرق(١) .

وقد عرّف القاضي البيضاوي(٢) الترادف بأنه : توالى الألفاظ المفردة الدالة على معنى واحد باعتبار واحد . كالإنسان والبشر(٣) .

وبنحوه عرفه الجرجاني(٤) وغيره(٥) .

٢ ـ محترزات التعريف:

التعبير بالألفاظ ـ بصيغـة الجمع ـ قيد خرج به اللفظ الـواحد المكرر نحو جاء زيد زيد فـانه تأكيد لفظي ، لا ترادف ، والمراد بالألفاظ مـا فوق الواحد لأن الترادف يكون بين لفظين أو أكثر.

(١) انظر: المستصفى للغزالي جـ ١ ص ٣١ .

(٢) هو عبـد الله بن عمر بن محمـد الشيرازي ، أبو الخير، ولـد في مدينة البيضـاء بايـران قرب شيراز. وإليها ينسب . كـان قاضيا ، مفسرا ، أصـوليا له مصنفات عـدة . منها : منهاج الـوصول الى علم الأصول . وقـد شرحه ، وشرح مختصر ابن الحاجـب في الاصول ، وشرح المنتخب في الأصـول . وله تفسير أنوار التنزيل المعروف بتفسير البيضاوي . وغيرها توفي سنة ٦٨٥ هـ انظر: الاعلام جـ ٤ ص ٢٤٨ ، والفتح المبين في طبقات الأصوليين جـ ٢ ص ٨٨ .

(٣) انظر: منهـاج الوصول . للقاضي البيضـاوي ص ١٥ . ومثل هذا التعريف جاء عن الشـوكاني في إرشـاد الفحـول ص ١٧ . وفي مختصر صفوة البيـان جــ ١ ص ٤٧ وفي شرح البدخشي جـ ١ ص ٢١٣ . وفي شرح الكوكب المنير للفتوحي ص ٤١ .

(٤) هـو عالم بـلاد المشرق؛ علي بن محمد بن علي المعـروف بالشريف الجرجـاني ، فيلسوف ، من كبـار علماء العربية والعلوم الشرعية . كانت بينـه وبين التفتازاني مباحثات ، ومحاورات . انتصر فيها . له نحـو خمسين مصنفـا من أشهـرهـا : حـاشيتـه على شرح العضـد لمختصر المنتهى الاصـولي لابن الحاجب . والتعريفات وغيرهما . ولد سنة ٧٤٠ هجرية وتوفي بشيراز سنة ٨١٦ هـ .

(٥) تعريف الجرجاني للترادف هو: توارد لفظين أو الفاظ في الدلالة على الانفراد بحسب أصل الوضع على معنى واحد من جهة واحدة . انظر: حاشية الجرجاني على شرح العضد ص ١٣٤ . وجاء مثل هذا التعريـب في كتـاب : تيسير التحريـر شرح محمد أمين على كتاب التحـرير لابن الهمـام جـ ١ ص ١٧٥ .

وعبر بالألفاظ ليشمل ترادف الاسماء نحو البر والقمح، والأفعال كجلس وقعد والحروف كجير ونعم. وقوله: المفردة، قيد ثان في التعريف خرج به توالي لفظين أحدهما مفرد والآخر مركب نحو: الانسان والحيوان الناطق فإنهما وان دلا على حقيقة واحدة فليسا مترادفين.

وقوله باعتبار واحد قيد ثالث أخرج به الألفاظ الدالة على مسمى واحد باعتبارين كالسيف والصارم(١).

(أ) التابع والمتبوع:

التابع لا يعتبر مرادفا للمتبوع، لأن التابع يكون على وزن متبوعه، ثم إنه لا يفيد معنى أصلا كقولهم حسن بسن، وشيطان ليطان.

ولهذا قال ابن دريد سألت أبا حاتم عن معنى قولهم «بسن» فقال ما أدري ما هو(٢). والحقيقة أن التابع يفيد تقوية معنى متبوعه، وتثبيته. إضافة الى فائدته في تزيين جرس الكلام وتحسينه. يؤيد هذا ما جاء عن ابن الاعرابي حول قولهم (حسن بسن) أنه قال: سألت بعض العرب عنه فقال: هو شئ نبدأ به كلامنا(٣).

ولأنه ليس من المقبول أن يوضع سدى بحيث لا يفيد أي شئ اطلاقا. اذ يكون ذلك عبثا، وجهل أبي حاتم بمعناه لا يضر. بل يدل على أن له معنى وهو لا يدريه. نعم هو لا يفيد معنى خاصا مستقلا. ولا يلزم من إثبات فائدته للتقوية والتحسين؛ الترادف، لانه يختلف عن المرادف بأنه يأتي على زنَةِ متبوعة، وبأنه لا يفيد معنى بانفراده عن متبوعه، بخلاف المرادف حيث

---

(١) انظر: مختصر صفوة البيان في شرح منهاج الوصول الى علم الاصول للبيضاوي جـ ١ ص ٤٧.
وانظر: شرح البدخشي على منهاج الوصول جـ ١ ص ٢١٣، ٢١٤.

(٢) انظر: الاحكام للآمدي جـ ١ ص ٢٥. وحاشية الجرجاني على شرح العضد ص ١٣٧.

(٣) انظر: المزهر للسيوطي جـ ١ ص ٤١٦.

يفيد أحد المترادفين مـا يفيده الآخر لو أنفـرد، لانهما بالرتبة سـواء، ولأنه يأتي على غير وزن مرادفه.

والتابع لا يذكـر منفردا عن متبوعه فلا يقـال: بسن، وليطان، ومذر؛ في قولهم: حسن بسن. وشيطان ليطان، وشذر مذر. ونحوها[1] لانه حينئذ لا يفيد[2].

(ب) المؤكِّد والمؤكَّد:

لا ترادف بين المؤكِّد والمؤكَّد. سواء أكان التأكيد لفظيا[3] أو معنويا[4] لأن الألفاظ المترادفة تفيد فائدة واحدة من غير تفاوت بينها. فالمرادف يفيد ذات الفائدة والمدلول التي يفيـدها مرادفه. من غير أن يزيد مـرادفه ايضاحا. لأن

---

(١) أمثال هذه الألفاظ كثيرة كقولهم: حان بان، جائع نائع، حياك الله وبياك، تافه نافه، حقير نقير، خراب يباب، شكس لكس، عفريت نفريت وقال السيوطي: حياك الله وبياك. ليس منه لوجود الواو. انظر مثـلا: شرح الكوكب المنير ص ٤٤. والمزهر جـ١ ص ٤١٤ وما بعدهـا. ومما يلاحظ اتحادهما في الوزن والجرس، وتماثل أغلب الحروف فيها. وقد ألف فيه ابن فارس كتابا خاصا سماه: الاتباع والمزاوجة، وللسيوطي كتاب: الالماع في الاتباع. انظر: المزهر جـ١ ص ٤١٤.

(٢) انظر: حاشية العطار جـ١ ص ٣٨١، وتيسير التحرير ص ١٧٨.

(٣) التأكيـد اللفظـي: هو تكـرار اللفظ الأول بعينـــه اعتناء به. انظـــر: شرح ابـن عقيـل: جـ٢ ص ٢١٤.

(٤) التأكيـد المعنـوي: هو التـابع الـذي يـزيل عن متبوعـه الشك واحتمال إرادة غير معنـاه الحقيقي الظاهر، وعدم إرادة العموم والشمول. ولـه سبعة الفاظ: نفس، عين، كلا، كلتا، كل، جميع، عامـة. انظر: ضيـاء السالك جـ٣ ص ١٣٨. فـالفرق بين الترادف والتأكيـد المعنوي. بيّن اذاً. ومثله التأكيد اللفظي اذا كان بجملة. لانه حينئذ يكون مركبا ولا شئ من المترادف بمركب.
قال في فواتح الرحموت «ولا ترادف بين المؤكد والمؤكد لاتحاد اللفظ، كما في التأكيد اللفظي أو تغاير المعنى، كما في التأكيد المعنـوي ولابد في الترادف من التخـالف في اللفظ والاتحاد في المعنى «فواتح الرحموت جـ١ ص ٢٥٤. طبع بذيل المستصفى للغزالي، وانظر: البدخشي جـ١ ص ٢١٤.

هـذه الزيـادة من خـاصية المؤكِّـد . فهـو يفيد تقـويـة المؤكَّد، أو رفع تـوهم التجوز، أو السهو، أو عدم الشمول .

كما لا يرادف الشئ بنفسـه ، كما هو الحال في التأكيـد اللفظي ، ولا يشترط في المترادفين تقدم أحدهما على الآخر كما في التأكيد المعنوي[١] .

(جـ) الترادف بين الحد والمحدود:

الترادف بين الحد والمحـدود (أي التعـريف والمعـرَّف) مسألـة وقع فيهـا الاختلاف :

فذهب قوم الى اعتبار الترادف بين الحد والمحـدود حيث قالوا : ما الحد الا تبديل لفظ بلفظ أجلى منه وأوضح .

بينما يذهب جمهور العلماء الى عدم الترادف بينهما .

وتحقيق المسألة هنا أن يقسم الحد الى نوعين :

١) حد لفظي **٢) وحد غير لفظي**

فالحد اللفظي وهـو: تعريف الشئ بلفظ آخر كتعريف الحنطـة بالقمح ـ مثلا ـ فهذا في الحقيقة هو الترادف . وهو مجال البحث .

أما الحد غير اللفظي كتعريف الإنسان بأنـه حيوان ناطق ـ ديّان[٢] ـ فهذا لدى جمهرة الأصوليين ليس من المترادف . ولا ينطبـق عليه تعريفه بل يختلف عنه بأكثر من وجه :

---

(١) انظر: إرشاد الفحول للشوكاني ص ١٧ . والاحكام للآمدي جـ ١ ص ٢٥ .

(٢) تعريف الإنسان بأنه حيوان ناطق . هو تعـريف المناطقة ، وأغلبهم لا يلتفت الى الناحية الدينية . مع أن التدين فطرة جبل عليها الانسان ، فاضـافتها الى التعريف تجعله أكمل وأصدق . وقد أشار الى هذا الشيخ : عبد الفتاح أبو غدة في بعض محاضراته ودروسه .

أولا: الترادف من عوارض المفردات، باعتبارها سابقة في الوضع اللغوي بينما الحد مركب، فهو ينافي ما سبق في تعريف الترادف من اشتراط الألفاظ المفردة.

ثانيا: دلالة الحد والمحدود على المعنى غير متحدة، فالحد يدل على أجزاء المحدود بالمطابقة، والمحدود يدل عليها بالتضمن.

ثالثا: أن المحدود يدل عليها من حيث الجملة والوحدة المجتمعة، والحد يدل عليها من حيث التفصيل بذكر المادة والصورة من غير وحدة[1].

فالحد يدل على صور متعددة منفصلة، وهي مغايرة للصورة الواحدة البسيطة التي هي المحدود، ففي الأول وجودات متعددة للاجزاء، وفي الثاني وجود واحد مشتمل عليها، فتغايرت المفاهيم بينهما[2].

جاء في فواتح الرحموت قوله: «وأنت لا يذهب عليك أن المترادفين من أقسام المفرد، والقائل بالترادف بين الحد والمحدود ان سلّم هذا لا يتأتى منه هذا القول، وان كان المعنى واحدا من كل وجه أيضا، والا آل النزاع الى اللفظ البتة، فإن النافين نفوه بمعنى والمثبتين أثبتوه بمعنى آخر، الا أن يقال أنهم ما رأوا الحد مركبا وهو بعيد عن العقلاء، أو يقال النزاع في نفس اتحاد المفهومين هل يتحدان من كل وجه أو لا، وإطلاق الترادف مسامحة[3]».

فالذين يشترطون الافراد في المترادف يخرجون الحد به لانه مركب وليس بمفرد قال في تيسير التحرير: فمن يعتبر الافراد كما هو المشهور لا يجعلهما من المترادفين ولا يعتبر بجعلهما منهما.[4]

---

(١) انظر: شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير للفتوحي ص ٤٤.

(٢) انظر: مسلم الثبوت جـ ١ ص ١٩٠.

(٣) فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت جـ ١ ص ٢٥٤ طبع مع المستصفى للغزالي.

(٤) انظر: تيسير التحرير ص ١٧٨.

والذين لا ينظرون للافراد يخرجونه بعدم اتحاد المعنى من كل وجه بين الحد والمحدود وهو ما لابد من توافره بين المترادفات .

(د) وحدة الاعتبار:

اشتراط وحدة الاعتبار في تعريف الترادف ، قيد مهم يترتب عليه اخراج كثير من الألفاظ التي يعدها بعضهم من علامات وجود الترادف في اللغة وأدلة قيامه .

فبهذا القيد تخرج الألفاظ الدالة على مسمى واحد باعتبارين والتي يمثل لها بألفاظ السيف والصارم . . والجلوس والقعود . . والفصيح والناطق وغيرها .

فلفظة السيف تدل على الذات المعروفة باعتبار الشكل فقط . بينما لفظة الصارم تدل على الذات مع اعتبار ومراعاة صفة شدة القطع ، فلا يطلق على السيف الكالّ بأنه صارم ، وعليه فليس السيف والصارم من المترادفات وان دلا على ذات واحدة نظرا لاختلاف الاعتبار في هذه الدلالة[١] .

والقعود والجلوس يختلفان باعتبار الحالة السابقة ، فالقعود من القيام ، والجلوس من الاضطجاع[٢] .

ومثله الفصيح والناطق . فالفصيح صفة ، والناطق صفة لهذه الصفة والقول بوحدة الاعتبار بين الألفاظ المقول بترادفها ، والاهتمام به ؛ مذهب الأصوليين .

---

(١) انظر: مختصر صفوة البيان جـ ١ ص ٤٧ .

(٢) انظر: فصول البدايع للفناري جـ ١ ص ٩٥ .

فهو قول الغزالي في المستصفى(١)، والأمدي(٢) في كتابه الاحكام في أصول الأحكام(٣)، وهو قول الشوكاني(٤) كما هو واضح من صريح عبارته عند بيان محترزات التعريف حيث يقول: «فيخرج عن هذا دلالة اللفظين على مسمى واحد لا باعتبار واحد بل باعتبار صفتين كالصارم والمهند أو باعتبار الصفة وصفة الصفة كالناطق والفصيح(٥)».

---

(١) انظر: المستصفى جـ ١ ص ٣٢. ولم يصرح الغزالي في تعريفه للترادف باشتراط وحدة الاعتبار، لكنه مفهوم من تعريفه باشتراطه وحدة التناول بين المترادفات من غير فرق، وبعدم تمثيله بالفاظ، السيف والصارم والمهند وقد جاء التصريح بمراعاة وحدة الاعتبار بقوله: قد تلتبس المترادفة بالمتباينة وذلك اذا أطلقت أسام مختلفة على شئ واحد باعتبارات مختلفة ربما ظن أنها مترادفة كالسيف والمهند والصارم فإن المهند يدل على السيف مع زيادة نسبة الى الهند فخالف إذاً مفهومه مفهوم السيف، والصارم يدل على السيف مع صفة الحدة والقطع لا كالأسد والليث. المستصفى جـ١ ص ٣٢.

(٢) هو أبو الحسن سيف الدين علي بن أبي علي التغلبي. أحد الاعلام، ولد بآمد سنة ٥٥١ هـ وإليها ينسب، وتوفي في دمشق سنة ٦٣١ هجرية، نسبه بعض الحساد الى فساد الاعتقاد. وهو امام جليل له نحو (٢٠) مصنفا منها: الاحكام في اصول الاحكام ـ في الأصول، ومختصره منتهى السول ـ في الأصول أيضا ـ وأبكار الأفكار ـ في علم الكلام، ولباب الألباب ودقائق الحقائق. انظر: الاعلام جـ ٥ ص ١٥٣. والفتح المبين في طبقات الاصوليين جـ ٢ ص ٥٧.

(٣) انظر: الإحكام في أصول الأحكام جـ ١ ص ٢٥ وعبارته: وقد ظن باسماء أنها مترادفة وهي متباينة وذلك عندما تكون الاسماء لموضوع واحد باعتبار صفاته المختلفة كالسيف والصارم والهندي، أو باعتبار صفته، وصفة صفته كالناطق والفصيح وليس كذلك.

(٤) هو المجتهد: محمد بن علي الشوكاني. كان لا يرى التقليد، وحمل على أهله في رسالته: القول المفيد في حكم التقليد له: (١١٤) مؤلفا منها إرشاد الفحول ـ في الاصول، ونيل الاوطار ـ في الحديث، وفتح القدير في التفسير. وغيرها. ولد بشوكان باليمن سنة ١١٧٣ هـ وتوفي سنة ١٢٥٠ هـ. انظر: الاعلام جـ٧ ص ١٩٠. الفتح المبين في طبقات الأصوليين جـ٣ ص ١٤٤.

(٥) إرشاد الفحول للشوكاني ص ١٧.

كذلـك هو قـول : المحلاوي[١]، والقرافي[٢]، والقاضي البيضـاوي[٣]. وابن الهمام[٤][٥] وغيرهم.

واشتراط وحـدة الاعتبار لـدى الأصـوليين القـائلين بالترادف، يـؤدي الى تضييق شقتـه، واخـراج كثير من الألفـاظ مـن دائرتـه. كألفـاظ : السيف والصارم، والمهند، والحسام . . وغيرها. كما سبق ايضاحه[٦].

وهذه الألفاظ عنـد الرازي من الألفاظ المتباينـة ـ كما هي عند غيره، وانما عبارته صريحة في الدلالة على التباين ـ يقـول في كتابه ـ المخطوط ـ «المحصول في علم الأصول»[٧]:

---

(١) في تسهيل الوصول الى علم الأصول ص ٣٢.

(٢) في شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول ص ٣٢.

(٣) في مختصر صفوة البيان في شرح منهاج الوصول الى علم الأصول. للقاضي البيضاوي ص ٤٧.

(٤) محمد بن عبد الواحد كمال الدين. المعروف بابن الهمام. صاحب التحرير في اصول الفقه. توفي في مصر سنـة ٨٦١ هـ. انظـر: الاعلام جـ ٧ ص ١٣٤ والفتح المبين في طبقـات الأصوليين جـ ٣ صفحات ٣٦ ـ ٣٩.

(٥) في تيسير التحرير شرح امير باد شاه على كتاب التحرير لابن الهمام جـ ١ ص ١٧٥ ـ ١٧٦.

(٦) يرى الأسنـوي: أن ألفاظ السيف والصـارم لم تدل على مسمى واحـد بل على معنيين مجتمعين في ذات واحدة. وهناك من يعتبر ألفـاظ السيف من الألفاظ المتباينة. حيث يقسم الالفـاظ المتباينة تقسيما آخر، فهي عنده تنقسم الى قسمين.

١ ـ ألفـاظ متفاصلة: وهي الألفاظ المتبـاينة تباينـا تاما نحـو الانسان والفرس وهذه لا عـلاقة لها بالمترادف.

٢ ـ ألفاظ متـواصلة وهـي الألفاظ التي اختلفت لفظـا ومفهومـا، واتحدت مـاصدقـا ويمثل لها بالسيف والصارم. فالاعتبـار هنا لتُعد من المترادف أن تتحد في المفهوم والما صـدق معا، فان اتحدا ما صدقا فقط كانا متساويين لا مترادفين فتكون الفـاظ السيف والصارم ألفاظا متباينة متواصلة، وليست مترادفة، لانها تختلف لفظا ومفهوما وان اتحدت ما صدقا.

انظر: سلم الوصـول لشرح نهاية السول في شرح منهاج الوصول. للشيـــخ محمد بخيت المطيعي جـ ٢ ص ١٠٨، ١٠٩.

(٧) الكتاب مخطوط، يوجد بجامعة الرياض، وهو غير مرقم الصفحات، وورقة العنوان ناقصة.

« . . . أمّا اذا تكثرت الألفاظ والمعاني فهو المتباينة سواء تباينت المسميات بـذواتها أو كان بعضهـا صفـة للبعض كـالسيف والصـارم أو صفة الصفـة كالناطق والفصيح»[1].

وجاء ذلك في عبارة أكثر وضوحـا وصراحة، حيث يرى أن اشتراط وحدة الاعتبار يخرج بها: «اللفظان إذا دلا على شيء واحد بـاعتبار صفتين كالصارم والمهنـد أو بـاعتبـار الصفـة وصفـة الصفـة كـالفصيح والنـاطق فإنها من المتباينة»[2].

والأصـوليـون بـاشتراط وحـدة الاعتبـار. يخرجـون بها كثيرا من الألفـاظ ويلتقـون مع اللغـويين في ذلك، كما تقـدم إيضاحـه، وإن كـانت المسألـة عندهم أوضح وأوسع بحثا.

(١) المحصول في علم الأصول. للفخر الرازي ص ١١ (بالعَدّ).

(٢) المصدر السابق. الباب الرابع ص ١٦.

الفصل الثاني

ويشتمل على المباحث التالية:

١ ـ الترادف عند الأصوليين.

٢ ـ رأى منكري الترادف وأدلتهم.

٣ ـ مناقشة أدلة منكري الترادف.

٤ ـ رأي ابن القيم.

١ ـ الترادف عند الأصوليين:

يذهب الأصوليون الى وجود الترادف في اللغة العـربية ، ووقوعه فيها ، وأنه لا حاجة إلى إقامة البرهان على وجوده بعد تحقق وقوعه ، ووجوده في اللغة العربية مما علم قطعا ، وأنه معلوم بالضرورة .

فـلا يلتفت الى الشذوذ من النـاس الذيـن قالـوا بامتنـاع وقوعـه ، ولا الى تعسفـات الاشتقـاقيين في دفع ذلك حيث لا يشهـد بصحتهـا عقل ولا نقل وليس لها شبهة فضلا عن حجة .

وهـذا هو مـذهب المحققين من الأصـوليين ، وهو الـذي عليـه الحنابلـة والحنفية والشافعية وانه واقع في اللغة في الأسماء والأفعال والحروف .

فمن أمثلته في الاسماء : الأسد والسبع والليث والغضنفر.

وفي الأفعال : قعد وجلس ، ومضى وذهب .

وفي الحروف : الى وحتى لانتهاء الغاية ، ونحو نعم وجير[١] .

ويبـدو من تناولهم لـرأي المخـالفين من القـائلين بعدم وجـود الترادف في اللغـة ، أنهم يعنـون بـذلك بعـض اللغـويين كثعلب وابن فـارس في نفيهما للترادف مطلقا . وكـالرازي في نفيه وقوعـه في الأسماء الشرعية لأن الترادف في نظره ثبت على خلاف الاصل للحاجة اليـه في النظم والسجع ـ مثلا ـ وذلك منتف في كلام الشارع[٢] .

---

(١) انظر: ١ ـ الإحكام في أصول الأحكام للآمدي جـ ١ ص ٢٣ .
٢ ـ حاشيـة العلامة البنّاني على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع لـلامام السبكي جـ ١ ص ٢١٧ .
٣ ـ شرح الكوكب المنير ص ٤٣ .

(٢) انظر: ١ ـ شرح الكوكب المنير ص ٤٣ .
٢ ـ سلم الوصول لشرح نهاية السول في شرح منهاج الوصول للمطيعي جـ ٢ ص ١٠٤ .

ويرى الأصوليون أن المخالفين لم يأتوا بحجة مقبولة في مقابلة ما هو معلوم بالضرورة من وقوع الترادف في لغة العرب كالاسد والليث، والحنطة والقمح.

ويرى الشوكاني أن هذا كثير جدا في لغة العرب. وأن انكاره مباهتة، وأن قول المخالفين من أن ما يظن من المترادف هو في حقيقة الأمر من اختلاف الذات والصفة ونحو ذلك؛ انما هو تكلف ظاهر وتعسف بحت، وهو وان أمكن تكلف مثله في بعض المواد المترادفة فانه لا يمكن تكلف مثله في أكثرها وان هذا معلوم لدى كل عالم بلغة العرب(١).

والآمدي يرى أن منكري الترادف انما هم شذوذ من الناس(٢). كما أن الجلال المحلي(٣) في شرحه لجمع الجوامع لابن السبكي يقول بعد أن ذكر المصنف خلاف ثعلب وابن فارس(٤)، وكذا خلاف الرازي في الشرعيات يقول (وانما صرح بالمخالف الذي أبهمه غيره لغرابة النقل عنه)(٥) ولقد

---

(١) انظر: إرشاد الفحول للشوكاني ص ١٨.

(٢) انظر: الإحكام في اصول الاحكام للآمدي جـ١ ص ٢٣.

(٣) هو: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي. اصولي مفسر. عرّفه ابن العماد بتفتازاني العرب. وكان يقول عن نفسه: ان ذهني لا يقبل الخطأ. له: شرح جمع الجوامع في الأصول. وشرح المنهاج في الفقه وشرح الورقات في الأصول. وكتب نصف تفسير الجلالين وأتمه السيوطي، كان مولده سنة ٧٩١ هـ وتوفي سنة ٨٦٤ هـ. انظر: الاعلام جـ٦ ص ٢٣٠ والفتح المبين جـ٣ ص ٣٩ وطبقات المفسرين للداودي جـ٢ ص ٨٠.

(٤) جاء في حاشية العطار تعليقا على هذا قوله: قال الكمال قد وافقهما الزجاج. وأبو هلال العسكري وصنف كل منهما كتابا منع فيه الترادف وسمى العسكري كتابه الفروق. حاشية العطار جـ١ ص ٣٧٩. ولعل كتاب الزجاج هو ما ذكره ابن النديم في الفهرست ص ٦٦ من أن للزجاج كتابا اسمه (كتاب الفرق). وقد ذكره الداودي في كتابه: طبقات المفسرين جـ١ ص ١٠، وفي هذا تأكيد على أن الاصوليين يعنون بالمخالفين علماء اللغة.

(٥) حاشية البناني على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع لابن السبكي جـ١ ص ٢١٧.

تعجب الشوكاني من نسبة المنع من الوقوع الى مثل ثعلب وابن فارس مع توسعهما في علم العربية[1]. وفي هذا ما يكفي للتدليل على أنهم يعنون بالمخالفين من المانعين للترادف، بعض أرباب اللغة وعلمائها، حيث لا تجد نفي الترادف منسوبا لأحد من الاصوليين ومصرحا باسمه. عدا ما جاء عن الرازي[2] من نفيه وقوع الترادف في الشرعيات فقط. أما في اللغة فهو يقول به من غير شك.

وقد جاء منع الرازي من وقوع الترادف في الشرعيات متمشيا مع رأيه في أن الترادف ثبت على خلاف الأصل للحاجة اليه في النظم والسجع وكون ذلك منتف في كلام الشارع.

وقد أجيب عن وجهة نظره هذه، حيث لم تسلم له بأن من فوائد الترادف أن أحد اللفظين قد لا يناسب الفواصل دون الآخر. وذلك متأتي في كلام الشارع لاعتبار الفواصل فيه بل قد تقتضيها البلاغة[3]. وقد جاء في الترياق النافع تسمية بعض المخالفين، وهم من اللغويين قال: «خالف ثعلب وابن فارس والزجاج وأبو هلال العسكري في نفيهم وقوعه مطلقا في الاسماء الشرعية واللغوية، وخالف الامام الرازي في نفيه وقوعه في الاسماء

---

(١) انظر: إرشاد الفحول للشوكاني ص ١٨.

(٢) فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر ولد سنة ٥٤٤ هـ في الري توفي في هراة سنة ٦٠٦ هـ وهو إمام مفسر، اصولي، متكلم له كتب كثيرة شهيرة منها: تفسيره مفاتيح الغيب، والمحصول في علم الاصول، ومعالم أصول الدين. وغيرها.

انظر ترجمته في طبقات المفسرين للداودي جـ ٢ ص ٢١٣ - ٢١٧. والاعلام للزركلي جـ ٧ ص ٢٠٣. وطبقات المفسرين للسيوطي ص ١١٥.

(٣) انظر: ١ - الترياق النافع بايضاح وتكميل مسائل جمع الجوامع. للإمام محمد بن عبد الرحمن بن شهاب الدين العلوي الحسيني ص ٨٧.

٢ - حاشية البناني على شرح الجلال المحلي جـ ١ ص ٢١٧.

الشرعية»[1] وفي هذا مـا يزيد القناعـة بأن الأصوليين يقولـون بالترادف وأنهم يعنون بالمخالفين بعض أهل اللغة .

٢ ـ رأي منكري الترادف وأدلتهم:

« ذهب شذوذ من النـاس الى امتناع وقـوع الترادف في اللغة ، مصيرا منهم الى أن الأصل عنـد تعـدد الاسماء تعــدد المسميـات ، واختصـاص كل اسم بمسمى غير مسمى الآخر » [2].

حيث يعتقـد المانعون للترادف أن المثل الاعلى للغـة عبارة عن لفظ واحـد لكل مسمى فلا ترادف ولا اشتراك .

ويمكن إرجـاع ما يعتمـدون عليه ، ويستنـدون اليه في القـول بهذا الى ما يأتي :

أولا: أن الترادف لـو وقع في اللغـة لعـرى الــوضع عن الفـائدة ؛ لأن اللفظ الـواحد كـاف في الافهام ، وتحقيـق المراد ، فلا فـائدة إذاً من وضع اللفظ الآخر للـدلالة على ما دل عليه اللفظ الأول . ولأنــه يلزم من اتحاد المسمى تعطيل فائدة أحـد اللفظين لحصولها بـاللفظ الآخر. وحـدوث هذا عبث وهو على الحكيم غير جـائز، ولا شك في أن الواضع ـ ايا كـان ـ حكيم ؛ لان وضع هذه اللغات المشتملة على اللطائف الكثيرة ، والدقائق الغزيرة ، وما فيها من كمال وجلال لا يتأتى إلا من حكيم له نوع اطلاع عليها[3] .

(١) انظر: الترياق النافع ص ٨٦ .

(٢) عبارة الآمدي في الاحكام جـ ١ ص ٢٣ .

(٣) انظـر: ١ ـــ حـاشية الجرجـاني على شرح القـاضي عضـد الملـة على مختصر المنتهى الاصـولي لابن الحاجب ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

٢ ـ الاحكام للآمدي جـ ١ ص ٢٣ .

٣ ـ منتهى الوصول والأمل في علمي الأصول والجدل لابن الحاجب ص ١٣ .

ثانيا: قالوا لو وقع الترادف لزم منه تعريف المعرف، لأن اللفظ الثاني تعريف لما عرف باللفظ الأول، وهذا محال اذ هو تعريف للمعرف الذي لا يحتاج الى ذلك(١).

ثالثا: أن المؤنة في حفظ الاسم الواحد أخف من حفظ الأسمين. والاصل انما هو التزام أخف المشقتين لتحصيل أعظم الفائدتين والقول بالترادف يتناقض وهذا الأصل، ويختلف مع هذه القاعدة. زد على ذلك أنه اذا اتحد الاسم؛ دعت حاجة الكل الى معرفته مع خفة المؤنة في حفظه فعمت فائدة التخاطب به، ولا كذلك إذا تعددت الاسماء، فإن كل واحد يكون أمام أمرين، إما أن يحفظ مجموع الاسماء أو البعض منها؛ والأول شاق جداً، وقلما يتفق ذلك، والثاني وهو حفظ البعض فقط يلزم منه الإخلال بفائدة التخاطب لجواز اختصاص كل واحد بمعرفة اسم لا يعرفه الآخر. وهو ما تفوت به فائدة التخاطب ويصعب معه التفاهم(٢).

رابعا: أن المترادف جاء على خلاف الأصل. اذ الأصل لفظ واحد لكل مسمى فلا ترادف، ولا اشتراك، وانما تتعدد الاسماء بتعدد المسميات كما هو الواقع، والغالب في اللغات، وغلبة استعمال الاسماء بازاء المسميات المتعددة تدل على أنه أقرب الى تحصيل مقصود أهل الوضع من وضعهم. فاستعمال الألفاظ المتعددة فيما هو على خلاف الغالب، خلاف للأصل(٣).

---

(١) انظر: تيسير التحرير ص ١٧٦.
وانظر: منتهى الاصول والأمل في علمي الاصول والجدل لابن الحاجب ص ١٤.
(٢) انظر: الاحكام للآمدي جـ ١ ص ٢٣.
وانظر: شرح البدخشي «مناهج العقول شرح منهاج الوصول الى علم الاصول» جـ ١ ص ٢١٧.
(٣) انظر: الاحكام للآمدي جـ ١ ص ٢٣.

خامسا: أن ما يظن أنه من المترادف انما هو في حقيقة الأمر من باب اختلاف الذات والصفات، بأن يكون أحد اللفظين موضوعا في الأصل للذات واللفظ الآخر موضوعا على أنه صفة لهذه الذات، كالانسان والناطق أو من باب اختلاف الصفات، كالمنشي والكاتب، أو كون أحد هذه الألفاظ صفة والآخر صفة لهذه الصفة كالمتكلم والفصيح، أو اختلاف الحالة السابقة كالقعود من القيام، والجلوس من الاضطجاع، أو من باب الصفات المتعددة لذات واحدة، لكن وقع الالتباس لشدة الاتصال بين هذه المعاني، فضاع الفرق بين بعضها، ودقّ بين بعضها الآخر فظن أنها موضوعة لمعنى واحد[1]. وهي في حقيقتها ليست كذلك، ولانه لا يلزم من جهلنا بالفروق وعدم معرفتنا لها، جهل العرب بها، كما لا يصح منا تجهيلهم بها. يقول ابن الاعرابي: «كل حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد في كل واحد منهما معنى ليس في صاحبه ربما عرفناه فأخبرنا به. وربما غمض علينا فلم نلزم العرب جهله»[2]

٣ ـ مناقشة الأدلة:

يجيب القائلون بالترادف على أدلة المانعين له، بعدم إقرار دعاواهم.

أولا: دعوى خلو الترادف من الفائدة، ومخالفته لحكمة الوضع، يجاب عنها بأن الترادف جائز عقلا، فانه لا يمتنع في العقل أن يضع واحد لفظين

---

(١) انظر: حواشي شرح القاضي عضد الملة لمختصر المنتهى الاصولي لابن الحاجب ص ١٣٥، وشرح البدخشي جـ١ ص ٢١٧، وفصول البدائع للفناري جـ١ ص ٩٥.
(٢) المزهر للسيوطي جـ١ ص ٣٩٩.

أو أكثر لمسمى واحد ثم يتفق عليه. أو أن تضع إحدى القبيلتين (مثلا) أحد الاسمين على مسمى وتضع القبيلة الأخرى لهذا المسمى اسما آخر من غير شعور كل قبيلة بوضع الأخرى، ثم يشيع الوضعان ويختفي الواضعان ثم هو واقع بالنظر الى لغتين مختلفتين. فكان جائزا بالنظر الى قبيلتين[1].

ودعوى انتفاء الفائدة، دعوى مردودة وغير مسلمة، بل له فوائد كثيرة منها: التوسع في التعبير، وتكثير الطرق المفيدة، والمؤدية للمطلوب مما يجعل الهدف أقرب الى الوصول اليه. لأنه لو تعذر أحد الطرق أو نسي لم يلزم منه تعذر الطريق الآخر. خلافا لاتحاد الطريق. ومن فوائده تيسير النظم والنثر اذ قد يصلح أحد المترادفين للروي دون اللفظ الآخر. ومنها تيسير أنواع البديع من جناس وطباق وغيرهما الى غير ذلك من الفوائد[2].

ودعوى أنه يلزم من الترادف تعريف المعرف؛ غير صحيحة ولا دقيقة لان هذه الدعوى يلزم منها امتناع تعدد العلامات للشئ الواحد، اذ العلامة الثانية تعرّف ما عرفته العلامة الأولى؛ وتعدد العلامات أمر جائز وواقع. فبطلت دعواهم[3].

والقول بأن الترادف يؤدي الى زيادة مؤونة الحفظ، لا يقوم الا اذا وجب على كل فرد حفظ جميع المترادفات، وليس الامر كذلك، بل هو مخير في حفظ الكل أو البعض، مع أن في هذا الحفظ الفائدة الكبيرة.

---

(١) انظر: الاحكام للآمدي جـ ١ ص ٢٤.

(٢) انظر: الاحكام للآمدي جـ ١ ص ٢٤، وشرح القاضي عضد الملة على مختصر المنتهى الاصولي ص ١٣٥.

(٣) انظر: تيسير التحرير جـ ١ ص ١٧٦.

والحقيقة أن الكلفة في نفي الترادف أكبر منها في القول به، فالمترادفات عند القائلين بالترادف تعتبر بدائل يكفي أحد الألفاظ فيها للدلالة الكاملة على معنى اللفظ الآخر؛ وهذا يعني الاكتفاء بحفظ أحد المترادفات والاستغناء به عن بقيتها.

بينما القول بنفي الترادف يؤدي الى ضرورة حفظ كل الألفاظ لاختصاص كل لفظة بدلالتها الخاصة بها بحيث لا يشركها لفظ آخر يفي بالمعنى كاملا، وفي هذا مشقة بينة هي أكبر من المشقة الناتجة عن القول بالترادف. هذا من ناحية المشقة لكن يبقى افتقار هذه البدائل الى الدقة في التحديد والفهم.

وكون الأصل لفظ واحد لكل مسمى، فان هذا غير مانع من الترادف بدليل وجود الاسماء المشتركة، والمجازية[1].

وأما حمل ما جاء من المترادفات على أنه من باب اختلاف الذات والصفات ونحو ذلك. فمردود بالاستقراء للغة العربية. فالجلوس والقعود للهيئة المخصوصة، والسبع والاسد للحيوان المعروف، وبهتر وبحتر للقصير، وصهلب وشوذب للطويل، ونحو ذلك، يحقق وقوع الترادف في اللغة ويدل عليه. ومثل هذه الألفاظ لا يتأتى فيه كونها من اختلاف الاسم والصفة أو الصفات أو الصفة وصفتها؛ فلا يقبل هذا التشكيك؛ لانه تشكيك فيما علم قطعا فلا يلتفت إليه، فإن مثل الجلوس والقعود والأسد والسبع لا يتصور كونه من قبيل ما ذكر[2].

---

(١) الاحكام في اصول الاحكام للآمدي جـ ١ ص ٢٤.

(٢) انظر: تيسير التحرير شرح ميرباد شاه على كتاب التحرير لابن الهمام جـ ١ ص ١٧٦، وشرح القاضي عضد الملة على مختصر المنتهى الاصولي، لابن الحاجب وحواشيه ص ١٣٥.

قال العلامة البناني[1] في الـرد على قولهم إن الانسـان والبشر من متبـاين الصفة فالأول بـاعتبار النسيان أو أنه يأنس، والثاني باعتبـار أنه بادي البشرة أي ظاهـر الجلد قال في الـرد على ذلك: انّا نقطع بأن العـرب تطلق الإنسان حيث لا يخطـر ببالها معنى النسيـان أو الأنس، والبشر حيث لا يخطر ببـالها معنى بادي البشرة، وذلـك يقتضي عدم اعتبار ذلك في المعنـى والا لم يتصور اطلاقهم له واستعماله في معناه من غير ملاحظة ذلك مع أنه جزء المعنى على هـذا التقـديـر ولا يمكن استعمال اللفـظ في معنـاه من غير مـلاحظـة جزئه[2]. وأجيب على هـذا، بأنـه لا يلـزم من اعتباره في الـوضع للمنـاسبـة اعتبـاره عنـد الاستعمال. ورد هذا بـأنه حينئـذ ليس بجـزء المعنى فـلا يمنع الترادف[3].

٤ - رأي ابن القيم[4]:

لـلإمام ابن القيم رحمه الله رأي في المسألـة فهـو يقسِّم الأسماء الدالـة على مسمى واحد الى نوعين:

---

(١) هو العلامـة: عبد الرحمن بن جاد الله البنّاني المغـربي (بالنون المشدّدة بعد البـاء) نسبة الى بنان من قرى المغرب. له: حاشية على شرح جلال الدين المحلي على جمع الجوامع. توفي سنة ١١٩٨ هـ. انظر: الاعلام جـ ٤ ص ٧٣ والفتح المبين جـ ٣ ص ١٣٤.

(٢) حاشية العلامة البناني على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع لابن السبكي جـ ١ ص ٢١٧.

(٣) انظر: حاشية العطار، ومعها حاشية الشربيني جـ ١ ص ٣٧٩.

(٤) هو: الإمـام محمد بن أبي بكـر، شمس الدين ابن قيم الجوزيـة ولد سنة ٦٩١ هجـرية وتـوفي سنة ٧٥١ هـ. مولـده ووفاتـه بدمشق من تـلامذة شيخ الاسـلام ابن تيمية، وأحـد أركان الإصـلاح الإسـلامي، ألف الكثير من المؤلفـات القيمة. منهـا: زاد المعـاد، واعلام الموقعين، ومفتـاح دار السعادة، والفوائد وغيرها كثير، انظر: طبقات المفسرين للداودي جـ ٢ ص ٩٠، الاعلام للزركلي جـ ٦ ص ٢٨٠، والفتح المبين في طبقات الأصوليين جـ ٢ ص ١٦٢.

أحدهما: أن يدل عليه باعتبار الذات فقط، وهذا النوع هو المترادف ترادفا محضا. نحو الحنطة، والبر، والقمح، وكذلك الاسم والكنية، واللقب اذا لم يكن فيه مدح ولا ذم[1] وانما أتى به لمجرد التعريف فقط.

النوع الثاني: أن يدل على ذات واحدة باعتبار تباين صفاتها كاسماء الرب تعالى، واسماء كلامه، واسماء نبيه، وأسماء اليوم الآخر.

فهذا النوع مترادف بالنسبة الى الذات متباين بالنسبة الى الصفات فالرب، والرحمن، والعزيز، والقدير ـ مثلا ـ؛ تدل على ذات واحدة لكن باعتبار صفات متعددة.

ومثله: البشير، والنذير، والحاشر، والعاقب، والماحي من اسماء النبي ﷺ فهي متحدة باعتبار دلالتها على ذات الرسول ﷺ. متباينة باعتبار دلالتها على الصفات المتعددة، ونظرتها الى الاعتبارات المختلفة. وكذلك، يوم القيامة، ويوم البعث، ويوم الجزاء، ويوم التغابن، ويوم الآزفة ونحوها من أسماء اليوم الآخر[2].

ومثله: القرآن، والفرقان، والكتاب، والهدى وغيرها من أسماء القرآن الكريم. ومثل ذلك ـ أيضا ـ أسماء السيف الكثيرة، فإن كثرتها وتعددها بحسب أوصافها المختلفة كالمهند والعضب والحسام والصارم وغيرها[3].

---

(١) الكنية واللقب لا يخلوان ـ غالبا ـ من مدح أو ذم.

(٢) انظر: روضة المحبين ونزهة المشتاقين. لابن القيم ص ٥٣. وانظر أيضا: شرح الكوكب المنير للفتوحي ص ٤٣ ـ ٤٤.

(٣) انظر: ١ ـ روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن القيم ص ٥٣.
٢ ـ شرح الكوكب المنير للفتوحي ص ٤٤.

ويرى ابن القيم حمل رأي منكري الترادف في اللغـة على النوع الثاني حيث يـرون أنه مـا من اسمين لمسمى واحد الا وبينهما فـرق في صفة أو نسبـة، أو اضافة سواء علمت لنا أو لم تعلم.

ويرى أن مقولتهم هـذه صحيحة باعتبار الـواضع الواحد. لكن الترادف قد يقع بـاعتبار واضعين مختلفين يسمى أحـدهما الشيء باسم ويسميـه الآخر باسم غيره، فيشتهر الوضعان عند القبيلة الواحدة. وهذا كثير. ومن هنا يقع الاشتراك أيضا(١).

ولكن ليس هنـاك مـا يمنـع من اختـلاف المأخـذ والمشتقـات لـلاسماء، واختلاف الاعتبارات حين تعدد الـواضع، بحيث يلتفت أحد الواضعين الى معنى، لا يلتفت اليه الواضع الآخر.

---

(٣) انظر: روضة المحبين ونـزهة المشتاقين. لابن القيم ص ٥٣. وقد ذكر المصحح أنـه جاء في هامش احد النسخ: قد يمكن الترادف باعتبار الواضع الواحد أيضا بأن يضع اسما لمسمى ثم ينساه لطول العهد أو لغير ذلك فيضع اسما آخر له ويشتهر الاسمان. أ هـ.

لكن كيف يشتهر وهـو منسي؟ الا اذا قصرنا النسيان على الشخص الواضع، وكـان الاشتهار عند غيره. وهـذا بعيد. لكن يمكن أن يكـون سبب الـوضع أمرا آخـر غير النسيان. كنشـدان اللفظ الأسهل والأفضل، أو الادق في الدلالة. ونحو ذلك.

الفصل الثالث

في أمور تتعلق بالترادف
ويشتمل على المباحث التالية:

١ ـ أسباب الترادف وفوائده عند الأصوليين.

٢ ـ إقامة أحد المترادفين مكان الآخر.

٣ ـ أثر المسألة في قضية نقل الحديث بالمعنى

١ ـ أسباب الترادف وفوائده عند الأصوليين

أسباب الترادف:

يرى الأصوليون أن أهم أسباب وقوع الترادف يعود لأمرين : ـ

أولا: تعدد الواضع ، فالعرب قبائل متعددة ، وبطون متفرقة ، تختلف مساكنها وجهاتها ، تتقارب حينا وتتباعد أحيانا كثيرة .

فتضع احدى القبيلتين أحد الاسمين ، وتضع القبيلة الأخرى الاسم الآخر، من غير شعور كل واحدة منهما بوضع الاخرى ، كأن تضع قبيلة لفظ الاسد للحيوان المعروف ، وتضع قبيلة أخرى لفظ الليث لهذا الحيوان نفسه ، فيشتهر الوضعان بسبب الاستعمال وكثرة التداول ، ويختفي الواضعان ، أو يعلمان ولكن يشتبه وضع أحدهما بوضع الآخر.

أما إذا عرفا فينسب كل لفظ الى الواضع ، ولا يعتبر ذلك من الترادف حينئذ[١] .

ثانيا: تعدد قصد الواضع الواحد كأن يريد بوضع اكثر من لفظ لمسمى واحد ، تكثر وسائل التعبير بحيث اذا غابت عن المتحدث لفظة استعان برديفتها ، وكذا التوسع في مجال البديع ، وتحسين الكلام ، من سجع وجناس ، وطباق ومراعاة الروي . وما الى ذلك[٢] .

وقد تقدم بيان ذلك بتوسع في الباب الأول .

فوائد الترادف:

يعتبر من أهم أسباب منع الترادف عند القائلين بمنع وقوعه في اللغة خلوه من الفائدة . لحصولها باللفظ الأول ، فالثاني يعتبر فضلة لا حاجة له مما

(١) انظر: سلم الوصول بشرح نهاية السول . للمطيعي جـ ٢ ص ١١١ .

(٢) انظر: مختصر صفوة البيان جـ ١ ص ٤٨ .

جعل القائلين بـالترادف يلتمسون هذه الفوائد، حيث لا يخلـو منها الترادف نحـو: تيسير النظم إذ قـد يصلح أحد اللفظين للـروي دون الآخـر، وتيسير أنواع البديع كـالجناس والمقابلة ونحوهما، وكذا التـوسع في التعبير فله فوائده في النظم، والنثر، ومراعاة الفواصل، إذ قـد تكون كلمة في مكان أنسب من رديفتها وأصلح سواء كان ذلك لوزن الشعـر، أو مراعاة السجع أو نحو ذلك من مقاصد أرباب الأدب وأهل الفصاحة[١] وقد تقدم إيضاح ذلك في الباب الأول.

٢ ـ اقامة أحد المترادفين مكان الآخر

يجوز إقامة أحد المترادفين مكان الآخر في حال الافراد اتفاقا.

أما في حال التركيب سواء أكـان ذلك مع العامل أو المعمول او غيرهما من المتعلقات فالمسألة خلافية[٢]، ترجع الأقوال فيها الى أربعة:

١ ـ قول بالمنع مطلقا.

٢ ـ قول بالجواز مطلقا.

٣ ـ قول بالتفصيل بين وجود المانع الشرعي وعدمه.

٤ ـ قول بالتفصيل بين اتحاد اللغة وعدمه.[٣]

---

(١) شرح العضد ص ١٣٥، والاحكام في أصول الاحكام للآمدي جـ ١ ص ٢٤.

(٢) انظر: حاشية فواتح الـرحموت شرح مسلم الثبوت، طبع مع المستصفى للغزالي جـ ١ ص ٣٥٣، وحاشية التفتازاني على شرح العضد لمختصر المنتهى ص ١٣٧، وسلم الوصول لشرح نهاية السول جـ ٢ ص ١١٢.

(٣) انظر: ١ ـ شرح البدخشي جـ ١ ص ٢١٧ ـ ٢١٨.
٢ ـ ومجلة كلية الدراسات الإسلامية ببغداد. العدد السادس ص ٩٦.

ذهب الامام الرازي الى نفي صحة وقوع أحد المترادفين مكان الآخر. سواء أكان الرديفان من لغتين مختلفتين، أو من لغة واحدة، لانك لو أتيت مكان «مِن» في قولك مثلا خرجت من الدار بمرادفها بالفارسية «أز» لم يستقم الكلام لان ضم لغة الى اخرى بمثابة ضم مهمل الى مستعمل واذا عقل ذلك في لغتين فلم لا يجوز مثله في لغة واحدة اذ لا مانع من ذلك. ورجحه الاسنوي[1] لأن التركيب الخاص قد يقع فيه ما يمنع استعمال الآخر في موضعه. وبيان ذلك أنه يصح قولك مررت بصاحب زيد ولا يصح مررت بذي زيد وان كانت ذو مرادفة لصاحب. لان صيغة ذي لا تضاف الا الى اسم جنس ظاهر. ومنها أن اسم الفصل للغائب كهيهات بمعنى بَعُد لا يقع فاعله ضميرا منفصلا ولا ظاهرا بَعْد إلاّ بخلاف بَعُد[2].

وذهب البيضاوي، والصفي الهندي[3] الى نفي ذلك اذا كان الرديفان من لغتين نظرا لعدم استقامة الكلام لان الجمع بين لغة وأخرى بمثابة ضم لفظ مهمل الى آخر مستعمل، وهذا هو دليل الرازي المتقدم. لكن خص الجواز هنا باللغة الواحدة لأن قياس كونه من لغة واحدة على كونه من لغتين في نفي وقوعه في اللغة لا يصح؛ لأنه قياس مع الفارق. لعدم وجود العلة المذكورة وهي ضم مهمل الى مستعمل في حال اتحاد اللغة لان كلا من اللفظين فيها مستعمل، أو هكذا الاصل.

---

(1) عبد الرحيم بن الحسن الاسنوي. برع في الاصول والعربية. له عدة مصنفات. منها: نهاية السول. والتمهيد. وغيرها توفي سنة ٧٧٢ هـ انظر: الفتح المبين جـ ٢ ص ١٨٦.

(2) انظر: التمهيد للاسنوي ص ٣٩.

(3) محمد بن عبد الرحيم الملقب بصفي الدين الهندي، ولد بالهند سنة ٦٤٤ هـ وتنقل في البلاد الى أن استقر في دمشق، ودرس فيها. له نهاية الوصول الى علم الاصول، والفائق في التوحيد، وغيرهما توفي سنة ٧١٥ هـ راجع: الاعلام جـ ٧ ص ٧٢. والفتح المبين في طبقات الاصوليين جـ ٢ ص ١١٥.

وثانيا: اذا سلم بصحة القياس المتقدم فهو لا يثبت به سوى الاحتمال كما أشار اليه بقوله: ـ « إذ لا مانع من ذلك». فكيف يحتج بهذا الاحتمال على الجزم بالنفي مطلقا(1).

ويرى المجيزون بشرط اتحاد اللغة: أن اختلاف اللغة مانع من التركيب يقول الخضري: وهذه مقدمة لا دليل عليها الا أن السلف لم يفعلوا وكفى بهذا في نظرنا دليلا(2).

وقد أحتج المانعون من صحة وقوع أحد المترادفين مكان الآخر بأنه لو صح ذلك لصح أن يقال في افتتاح الصلاة «خداي أكبر» أو «خداي بزرك تر» بدلا من «الله أكبر» اذ هي بالفارسية تعني معناها بالعربية(3).

وقد اجيب عن ذلك بأحد الجوابين الآتيين:

١ ـ القول بالموجب، وهو قول أبي حنيفة(4) فيلتزم بصحة جواز ذلك عند افتتاح الصلاة؛ لان المطلوب في الشرع الذكر والتعظيم وذلك حاصل بأي لفظ كان. وبأي لسان كان، ولفظ «الله أكبر» واجب للمواظبة عليه لا فرض(5).

---

(١) انظر: ١ ـ الترياق النافع ص ٨٧ ـ ٨٨.
٢ ـ وحاشية البنّاني على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع ص ٢١٩.
٣ ـ ومختصر صفوة البيان في شرح منهاج الوصول للقاضي البيضاوي ص ٤٨.
٤ ـ والتمهيد للاسنوي ص ٣٨ ـ ٣٩.

(٢) أصول الفقه للخضري ص ١٤٣.

(٣) انظر: حاشية البنّاني ص ٢١٦.

(٤) بعض كتب الاصول تنسب هذا للحنفية، كما جاء في فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت. جـ ١ ص ٢٥٤ طبع مع المستصفى. مع أن القول هنا لأبي حنيفة وقد خالفه صاحباه كما سيأتي ذكره.

(٥) انظر: ١ ـ تسهيل الوصول للمحلاوي ص ٣٣.
٢ ـ الترياق النافع بايضاح وتكميل مسائل جمع الجوامع ص ٨٨ ط ١.
٣ ـ والمنخول للغزالي ص ٢٢٠.

٢ ـ الجواب الثاني . منع صحة ذلك ، بيد أنه لا يقوم بهذا المنع احتجاج للمانعين ؛ لان المانع هنا من اطراد الحكم ؛ شرعي ، وهو التعبد باللفظ المأثور مع كون المحل مما يلزم فيه غاية الاحتياط ، والبحث هنا من حيث الصحة لغة .

وهذا قول الشافعي وأحمد وأبي يوسف ومحمد ـ رحمهم الله ـ للقادر على النطق بلفظ «الله أكبر» .

وهؤلاء هم المجيزون لذلك بقيد عدم وجود المانع الشرعي[1] كما هنا[2] .

أما القائلون بالجواز مطلقا فهم يقولون ان ذلك من لازم معنى الترادف ولانه لا حجر في التركيب الصحيح ؛ لان المقصود من التركيب انما هو المعنى دون اللفظ فاذا صح المعنى مع أحد اللفظين ؛ وجب أن يصح مع اللفظ الآخر؛ لاتحاد معناهما من حيث اللغة[3] .

وجاء في فواتح الرحموت : وقيل يجب الجواز ولا يمتنع اصلا وعليه الشيخ ابن الحاجب[4] . حيث يرى وجوب صحة اقامة كل من المترادفين مكان الآخر؛ لان المقصود من التركيب انما هو المعنى دون اللفظ . فاذا صح المعنى

---

(١) هناك من لا ينظر لهذا الشرط لان أصل البحث في الجواز لغة . فينضم أصحاب هذا الرأي الى المجيزين مطلقا . وبهذا تكون الآراء ثلاثة : ١ ـ المنع مطلقا . ٢ ـ والجواز مطلقا . ٣ ـ والجواز إن كانا من لغة واحدة . والأول أوسع وأشمل ، راجع شرح البدخشي جـ ١ ص ٢١٧ .

(٢) انظر: ١ ـ تسهيل الوصول للمحلاوي ص ٣٢ .
٢ ـ وتيسير التحرير ص ٧٧ .

(٣) انظر: ١ ـ منتهى الوصول والأمل في علمي الأصول والجدل لابن الحاجب ص ١٤ .
٢ ـ سلم الوصول لشرح نهاية السول جـ ٢ ص ١١٢ .

(٤) عثمان بن عمرو بن أبي بكر المعروف بابن الحاجب ، كردي الاصل ، من كبار العلماء . له : منتهى الوصول والأمل في علمي الاصول والجدل ، ومختصره . توفي سنة ٦٤٦ هـ . انظر: الاعلام جـ ٤ ص ٣٧٤ ، والفتح المبين جـ ٢ ص ٦٥ .

مع أحـد اللفظين وجب بـالضرورة أن يصح مع اللفظ الآخـر؛ لأن معنـاهما واحد[1].

وهو قول القاضي عضد الملة[2] في شرحه لمختصر المنتهى، اذ يـذهب الى وجـوب صحة وقـوع كل واحد من المترادفين مكـان الآخر لانـه لا يمتنع الا لضرورة فالمصحـح وهو اتحاد المعنى مع جهـة الدلالـة، موجـود، واذا وجد المقتضى لشئ كان امتنـاعه لمانع قطعا، ولا يتصـور هناك مـانع الا من جهة المعنى أو من جهة التركيب وكـلاهما منتف فأما من جهة المعنى فلانـه واحد فيهما. وإما من جهة التركيب. ولا حجر في التركيب اذا صح، وأفاد المقصود وذلك معلوم من اللغة قطعا[3]. وجاء في حـاشية العطـار: « ان الخلاف في لزوم الصحـة لا في الصحة في الجملة، اذ الصحـة في الجملة لا يتصـور فيها خلاف »[4].

ويرى ابن جني أن إقـامة أحد المترادفين مكـان الآخر هو الـذي أدى الينا أشعار العرب وأخبارهـم وحكاياتهم، وأنه لا بأس بالألفاظ المختلفة مادامت تدل على معان متفقة.

---

(١) انظر: ١ ـ شرح الكوكب المنير ص ٤٥.
٢ ـ وشرح البدخشي جـ ١ ص ٢١٧، ٢١٨.
٣ ـ وفواتح الرحموت جـ ١ ص ٢٥٢، طبع مع المستصفى.

(٢) عبد الرحمن بن أحمد الأيجي، نسبـة الى أيج قرب شيراز بايران، مشهور بالعضـد، حبسه صاحب كرمـان وتوفي بـالسجن سنة ٧٥٦ هـ ـ له: مختصر ابن الحاجب في الاصـول. والمواقف. والمدخل وغيرها.
انظـر: الاعــلام: جـ ٤ ص ٦٦، وبغية الوعــاة جـ ٢ ص ٧٥ ـ ٧٦، والفتــح المبين جـ ٢ ص ١٦٦.

(٣) شرح العضد على مختصر المنتهى الاصولي لابن الحاجب وحاشية الجرجاني ص ١٣٧.

(٤) انظر: حاشية العطار جـ ١ ص ٣٨٢.

قال: «وكأن أحدهم اذا أورد المعنى المقصود بغير لفظه المعهود كأنه لم يأت الا به ولا عدل عنه الى غيره، اذ الغرض فيهما واحد، وكل واحد منهما لصاحبه مرافد»(١). ويقول: «واذا جاز أن يكون في أصل هذه اللغة المقررة؛ اختلاف اللفظين والمعنى واحد كان جميع ما نحن فيه جائزا سائغا. ومأنوسا به متقبلا(٢).

وذلك لأن المعنى المراد مفاد من الموضعين جميعا. فلما أذن به اللفظان وأديا إليه سامح العرب أنفسهم في العبارة عنه، لان المعاني عندهم أشرف من الألفاظ(٣).

٣ - أثر المسألة في قضية نقل الحديث بالمعنى

تقدم الخلاف في اقامة أحد المترادفين مكان الآخر، ومع أن الخلاف من حيث الصحة لغة، لا من حيث الجواز الشرعي، فهي مسألة غير مسألة نقل الحديث بالمعنى، يقول العراقي(٤): «إن هذه مسألة غير مسألة جواز الرواية بالمعنى وعدمها»(٥) غير أن قضية الفروق والترادف بصفة عامة. ومسألة إقامة أحد المترادفين مكان الآخر على وجه الخصوص. وما فيها من خلاف، ذات علاقة بمسألة نقل الحديث بالمعنى تلقي بأثارها وظلالها عليها.

---

(١) الخصائص لابن جني جـ ٢ ص ٤٦٨.
(٢) المصدر السابق جـ ٢ ص ٤٦٩.
(٣) الخصائص لابن جني جـ ٢ ص ٤٦٦.
(٤) هو عبد الرحيم بن الحسين أبو الفضل المعروف بالحافظ العراقي، بحّاثة من كبار حفاظ الحديث له كتب في الحديث والأصول. وغيرها توفي سنة ٨٠٦ هـ انظر: الاعلام جـ ٤ ص ١١٩.
(٥) انظر: حاشية العطار جـ ١ ص ٣٨٢.

فالذين يمنعـون اقامة أحد المترادفين مكان الآخـر لغة، كيف يجيزون نقل الحديث بـالمعنى مع أن المحافظـة على نصه وألفـاظه أهم وأولى لانـه تشريع للكلمة فيه اكبر التأثير؟ فليس لهم اجازة ذلك.

فتلك قاعدة من فروعهـا ـ الخلاف في الفاظ تكبيرة الاحرام[1] ـ المتقدم ـ وكذلك رواية الحديث بالمعنى. نعم يتأثر الحكم الصحيح فيها بما انتهى اليه الاصوليون والمحـدثون في قضية النقل بالمعنى. جـوازا، أو منعا، أو تفصيلا وهي قضيـة هـامـة وواسعـة، ومسألـة اختلفت فيهـا الآراء، وتعـددت الاجتهادات.

غير أن الميل الى أن النقل بـالمعنى لا يجوز الا في الحدود الضيقـة عنـد الاضطـرار اليه بنسيـان لفظه أو نحـوه. مع ضرورة التنـويه، والتنبيـه الى أن النقل بالمعنى، لانـه في مثل هذه الحالة، أفضل وأولى من تركـه؛ لان في هذا كتمه، وهو محرم.

أما نقل الحديث بالمعنى مع حفظ لفظه فيخاف على صاحبه من أن يدخل تحت قوله ـ ﷺ: من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار[2].

ومذهب الجمهور: الشافعي ومالك وأبي حنيفة، وأحمد بن حنبل والحسن البصري واكثر الأئمـة أنه يحرم ذلك على الناقل اذا كان غير عـارف بدلالات الألفـاظ واختلاف مـواقعها، وان كـان عالما بـذلك فالأولى لـه النقل بنفس

---

(١) انظر: التمهيد للاسنوي ص ٣٩، حول ذلك وغيرها من ألفاظ النكاح والرجعة وغيرها.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم، انظر فتح البـاري جـ١ ص ٣٠٢ ـ باب اثم من كذب على النبي ﷺ، وانظـر صحيح مسلم بشرح النووي جــ١٨ ص ١٢٩ ـ بـاب التثبت في الحديـث وحكم كتابـة العلم ـ.

اللفظ إذ هو أبعد عن التغيير والتبديل وسوء التأويل، وإنْ نقله بالمعنى من غير زيادة في المعنى ولا نقصان منه فهو جائز(١).

غير أن تحديد تماثل المعنى من غير زيادة ولا نقصان مجال للاختلاف في حقيقة الامر، وواقع الحال.

وقد خص بعضهم الجواز بابدال اللفظ بما يرادفه ولا يشتبه الحال فيه ولا يجوز بما عدا ذلك(٢).

واذا كان الجواز هنا مضيق المجال. والقائلون به هم القائلون بالترادف فهذا يعني أن على القائلين بالفروق منع جواز النقل بالمعنى. لان مفهوم القول بالفروق هو التأكيد على مبدأ التغاير بين الألفاظ لاختصاص كل كلمة بمدلولها. وهذا يعني عدم ايراد المعنى بخاصيته وميزته اذا اختلف اللفظ. سواء أكان هذا التغاير بزيادة أو نقص. وسواء أكان كبيرا أو طفيفا. اذ مبدأ المغايرة قائم وان اختلفت درجته وبالتالي أثره.

وهذا الأمر يعطي قضية الترادف والفروق بعدا أكبر، واهتماما أكثر ويدل بوضوح على اهميتها، وخطورتها، وانعكاس الحكم فيها على قضايا كثيرة وخطيرة.

والمختار أنه ينبغي نقل المعاني بألفاظها ما أمكن، فإن فات الامكان لزم التنويه على هذا التصرف.

أما إذا قامت الأدلة الخاصة بلزوم التقيد فيها بنص خاص كما هو الشأن في القرآن الكريم فإن هذا قطعا مما لا يجوز إبداله بمرادفه، أو ما يظن أنه كذلك. وهذه مسألة لا تفتقر الى التنويه.

---

(١) انظر: الاحكام للآمدي جـ ٢ ص ١٠٣.

(٢) المصدر السابق.

وكذلك الأذكار المأثورة، والأدعية فانه لا يجوز ابدال ألفاظها بمرادفاتها يؤيد هذا حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال:

قال لي رسول الله ﷺ: اذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل: اللهم أسلمت وجهي اليك، وفوضت أمري اليك، وألجأت ظهري اليك. رغبة ورهبة اليك. لا ملجأ ولا منجا منك الا إليك. آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت فإن مت مت على الفطرة فاجعلهن آخر ما تقول.

فقلت أستذكرهن: وبرسولك الذي أرسلت. قال: لا، وبنبيك الذي أرسلت. رواه البخاري.

وأخرجه الترمذي بنحو من ذلك. وفيه تقديم وتأخير. وفيه: «فطعن بيده في صدري، ثم قال: ونبيك الذي أرسلت»[1].

وقد احتج بهذا الحديث من منع رواية الحديث بالمعنى.

ويزيد في تأييد معناه حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: جاء أعرابي الى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله علمني عملا يدخلني الجنة

---

(١) الحديث رواه البخاري في باب اذا بات طاهرا. فتح الباري جـ ١١ ص ١٠٩ وباب ما يقول اذا نام جـ ١١ ص ١١٣ وباب النوم على الشق الايمن جـ ١١ ص ١١٥.

ورواه مسلم في باب الدعاء عند النوم جـ ١٧ ص ٣٢ وما بعدها. وانظره في جامع الاصول في أحاديث الرسول جـ ٤ ص ٢٦١. وكذلك في مسند الامام احمد ـ بهامشه منتخب كنز العمال جـ ٤ ص ٢٩٣. وكذلك في الصفحات جـ ٤ ص ٢٩٠ و٢٩٢ و٣٠٢. وان كانت روايات المسند الاخيرة لم تذكر غلط البراء رضي الله عنه عند استذكاره الحديث، وتصحيح الرسول ﷺ له. فقد ذكر ذلك في اكثر الروايات المتقدمة.

فقال : لئن كنت أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة ؛ اعتق النسمة وفك الرقبة . فقلت يا رسول الله أوليستا بواحدة قال : لا ، إن عتق النسمة أن تفرد بعتقها ، وفك الرقبة أن تعين في عتقها . . .(١)

وفي هذا الحديث وما قبله يظهر تفريق النبي ﷺ بين ألفاظ يظهر للكثير انها مترادفة ، ولكن الرسول ﷺ صحح المفاهيم حولها وبين الفرق بينها مما يدعونا الى الاهتمام بمعاني الألفاظ ، وتحري الدقة في تحديد دلالتها ، وفهم معانيها ، خصوصا في النصوص الشرعية التي تستخرج منها الأحكام الفقهية ، وتعرف بها المفاهيم الشرعية ، والنظرة الإسلامية لقضايا الحياة ، وشؤون الاحياء .

ويطرد الحكم كذلك عند نقل النصوص الأدبية التي يكون لجرس الألفاظ واختيار الكلمات ، الأثر الكبير في تقييم النص والحكم له أو عليه والأمانة تقتضي عندئذ نقل النص بألفاظه . فان ابدل بعضها لزم التنويه على أن النقل بالمعنى .

---

(٢) أخرجه : الإمام أحمد بن حنبل في مسنده جـ ٤ ص ٢٩٩ ، وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال . واخرجه الحاكم في مستدركه في كتاب المكاتب جـ ٢ ص ٢١٧ . وصححه . فقال عنه . هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه . واخرجه الطيالسي في مسنده جـ ٣ ص ١٠٠ ط ١ . وابن حبان في صحيحه ــ موارد الظمآن الى زوائد ابن حبان للهيثمي ص ٢٩٢ . واخرجه البيهقي في السنن الكبرى جـ ١٠ ص ٢٧٣ . واخرج محل الشاهد فيه علاء الدين في كنز العمال جـ ١٠ ص ٣١٧ .

أما اذا لم يقم الدليل بلزوم التقيد بالنص، والاحتفاظ بألفاظه، ولم يكن لتبديل الألفاظ بمرادفاتها كبير أثر، فحينئذ ليس هناك ما يمنع من ابدال اللفظ بمرادفه تسهيلا وتيسيرا، وتبقى الأفضلية، والأولوية على أية حال للاحتفاظ بالألفاظ ذواتها، من غير تغيير أو تبديل.

وقد نقل السيد الجرجاني أن الحق في المسألة: أن المجوز ان أراد أنه يصح في القرآن فهو باطل قطعا. وان أراد في الحديث فهذا يرجع الى مسألة النقل بالمعنى. وان أراد في الأذكار والأدعية فهو إما على الخلاف أو المنع رعاية لخصوصية الألفاظ فيها.

وان أراد في غيرها فهو صواب سواء كانت من لغة واحدة أو أكثر[1].

---

(١) شرح العضد على مختصر المنتهى الاصولي - حاشية الجرجاني ص ١٣٨.



الباب الثالث

الترادف والفروق عند علماء التفسير ويشمل ثلاثة فصول: -

الفصل الأول

القــول بالترادف في القرآن الكريم

الفصل الثاني

القــول بالفروق ومنع الترادف في القرآن الكريم

الفصل الثالث

دراســة أمثلة من القرآن الكريم ظاهرها الترادف

الفصــــل الأول

القول بالترادف في القرآن الكريم

ويشتمل على المباحث التالية:

١ ـ الترادف في القرآن الكريم.

٢ ـ القائلون بوجود الترادف في القرآن الكريم:

أ) ابن الأثير.

ب) ابن العربي.

جـ) أبو بكر الحسيني.

د) الدكتور صبحي الصالح.

هـ) الدكتور ابراهيم أنيس.

١ـ الترادف في القرآن الكريم:

يقول بعض العلماء ـ وخصوصا من اللغويين ـ بوجود الترادف في القرآن الكريم كما أنه موجود في اللغة العربية. كيف لا وقد نزل القرآن الكريم بلغة العرب وهو يجري على أساليبها، وطرق التعبير فيها. ومن طرق التعبير في العربية بل من ميزاتها وجود الترادف، وكثرته فيها.

ومن هنا يرفض فريق منهم محاولات بعض المفسرين لذكر الفروق بين بعض الألفاظ التي قيل بترادفها في القرآن الكريم، وأن الترادف واقع بكثرة وظاهر بوضوح في ألفاظ القرآن الكريم، يدل على ذلك آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿**انما أشكو بثى وحزنى الى الله**﴾[1] وقوله تعالى: ﴿**تالله لقد آثرك الله علينا**﴾[2] مع قوله ﴿**وأني فضلتكم على العالمين**﴾[3]. فالبث والحزن؛ لفظان مترادفان، وآثر وفضل كذلك.

ونحو قوله تعالى: ﴿**لا تبقى ولا تذر**﴾[4]. والسر والنجوى في نحو قوله تعالى: ﴿**أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم**﴾[5]. الى غير ذلك من الآيات.

---

(١) سورة يوسف آية ٨٦.
(٢) سورة يوسف آية ٩١.
(٣) سورة البقرة آية ٤٧، ١٢٢.
(٤) سورة المدثر آية ٢٨.
(٥) سورة الزخرف آية ٨٠.

٢ ـ القائلون بوجود الترادف في القرآن الكريم:

هناك فريق من العلماء يقول بـوجود الترادف في القرآن الكريم[١] . وغالبا ما يكـون هؤلاء العلماء من اللغـويين، وبعضهم من الأدبـاء أو الأصوليين. ومن النادر أن يكونوا من المهتمين بالدراسات القرآنية. من هذا الفريق:

أ) ابن الأثير[٢] :

يرى ابن الاثير ـ صـاحب المثل السائر ـ القول بـالترادف. وأنه قد ورد في القرآن الكـريم، كما استعمل في فصيح الكلام. بل يـرى أن وروده في القرآن كثير.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿**والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم**﴾[٣] . فالرجز هو العذاب، أريد به المبالغة والتأكيد على معنى أنه عذاب مضاعف من عذاب.

ويرى في قـوله تعـالى: ﴿**وان تعفـوا وتصفحوا وتغفـــروا فان الله غفـور رحيم**﴾[٤] . أن العفو والصفـح والمغفرة، جميع هـذه الثلاثة بمعنـى واحد. وأنها كررت للزيادة في تحسين عفو الوالد عن ولده. والزوج عن زوجته.

---

(١) القائلون بالترادف في القرآن الكريم. يعدون من القائلين بالترادف في العربية من باب أولى وأفردوا هنا لتصريحهم بوجوده في القرآن الكريم.

(٢) هو أبـو الفتح، ضياء الـدين نصر الله بن محمد بـن محمد بن عبـد الكريم، المعروف بـابن الأثير الكاتب، ولي الـوزارة، له عـدة مؤلفات منهـا: المثل السائر في أدب الكـاتب والشاعـر، والمعاني المخترعة، والوشي المرقـوم في حل المنظوم، وديوان رسائل، والبرهان في علم البيـان، وغيرها. توفي سنة ٦٣٧ هـ ببغداد. انظر: الاعلام للزركلي جـ٨ ص ٣٥٤.

(٣) سورة سبأ آية ٥.

(٤) سورة التغابن آية ١٤.

ومثل ذلك ورد في القرآن كثيرا ـ كما يقول ـ كقوله تعالى : ﴿**قال انما أشكو بثى وحزنى الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون**﴾[1] . فهو يرى أن البث والحزن بمعنى واحد . كررا هنا لشدة الخطب النازل به . وتكاثر سهامه النافذة في قلبه[2] .

ويرى ابن الأثير ان هذا نوع من التكرير يكون المعنى فيه مضافا الى نفسه مع اختلاف اللفظ . وهو ما يأتي في الألفاظ المترادفة . وفائدة هذا التكرير التأكيد للمعنى المقصود ، والمبالغة فيه .

كما يدعو كل من تراءى له أن في القرآن مكررا لا فائدة في تكريره ، أن ينظر الى سوابقه ولواحقه ، لتنكشف له الفائدة من ذلك التكرار[3] .

ب) ابن العربي[4] :

رجح ابن العربي عند تفسير قوله تعالى : ﴿**ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**﴾[5] أن الشح والبخل بمعنى واحد من غير فرق بينهما ، لانه لم يقم دليل على هذا الفرق ، ثم هو يرى أن «كل حرف يفسر على معنيين أو معنى

---

(١) سورة يوسف آية ٨٦ .

(٢) انظر: المثل السائر . لابن الاثير جـ ٢ صفحات ١٦٥ ، ١٧٤ ، ١٧٥ .

(٣) المثل السائر جـ ٢ ص ١٦٠ .

(٤) هو الامام محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله ، أبو بكر بن العربي المعافري الاندلسي . صنف : التفسير، وأحكام القرآن، وشرح الموطأ، وشرح الترمذي وغيرها . ولى القضاء ورحل الى المشرق، توفي سنة ٥٤٣ هـ انظر: طبقات المفسرين للسيوطي ص ٢٠٥ . وطبقات المفسرين للداودي جـ ٢ ص ١٦٢ ـ ١٦٦ .

(٥) سورة الحشر آية ٩ ، واللفظ في التغابن آية ١٦ .

يعبر عنه بحرفين يجوز أن يكون كل واحد يوضع موضع صاحبه جمعا أو فرقا وذلك كثير في اللغة»[1] .

من هذا نفهم أنه يميل الى القول بالترادف، وبخاصة أنه لا يرى فرقا بين الشح والبخل مع اشتهار أن بينهما فرقا .

جـ) رأي أبي بكر الحسيني[2] .

يرى الامام أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب الدين العلوي الحسيني من الأصوليين، صاحب كتاب ـ الترياق النافع بايضاح وتكميل مسائل جمع الجوامع ـ

أن الترادف واقع في الكلام العربي قرآنا وغيره[3] وأن منع وقوعه في القرآن الكريم بحجة عدم الحاجة اليه في النظم والسجع؛ لا تقوم، لان احدى فوائد الترادف هي؛ مناسبة أحد اللفظين المترادفين للفاصلة دون اللفظ الآخر. والفاصلة معتبرة في كلام الشارع، بل قد تكون من مقتضيات البلاغة[4] .

---

(١) انظر تفسير ابن العربي جـ ٤ ص ١٧٦٦ .

(٢) هو : أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمد بن شهاب الدين، باعلوي الحسيني، من آل السقاف، فقيه، أصولي، له علم بالفنون. من أهل حضرموت رحل الى الهند واستقر بحيدر أباد الدكن، واتسعت شهرته في الشرق الاقصى له نحو: ٣٠ كتابا في الاصول والفقه والمنطق والكيمياء وغيرها منها: الترياق النافع، وذريعة الناهض، الى غير ذلك. توفي سنة ١٣٤١ هـ. وكان ميلاده سنة ١٢٦٢ هـ. انظر: الاعلام للزركلي جـ ٢ ص ٤٠ .

(٣) انظر: الترياق النافع بايضاح وتكميل مسائل جمع الجوامع ص ٨٦ ط ١ .

(٤) المصدر السابق ص ٨٧ .

والحكم بوجـود الترادف في القرآن الكريم لمجـرد مراعاة الفـاصلة، حكم متساهل وغير صحيح، فلم تكن مـراعاة الفاصلة قـائمة حين يتطلب المقام لفظـة لا تتفق والفـاصلـة، ولم تكن الصنـاعـة اللفظيـة واردة في الأسلـوب القرآني، وتناسب الفواصل لم يكن ابدا على حساب المعنى في القرآن الكريم، وهذا أحد وجوه إعجازه.

د) الدكتور. صبحي الصالح[1]:

يـرى الدكتـور صبحي الصالـح خطورة نفي الترادف في اللغـة العربيـة، وانكار وقوعه، إذ لا سبيل معه الى القول بانفراد العربية بكثرة المفردات وسعة التعبير.

وبما أن القرآن الكـريم نزل بلغة قريـش المثالية، وهو يجري على أسـاليبها وطرق تعبيرها وقـد أتيح لهذه اللغة الاحتكاك باللهجات العربيـة الأخرى مما أدى الى اقتباسها بعض المفردات التي قد تملك نظائر لها في لهجتها الأصلية، وقد لا تملك شيئا.

وهـذا الاقتبـاس أدى الى انصهـار هذه الألفـاظ في لهجـة القبيلـة بحيث أصبحت بمرور الزمن جزءا من محصولها اللغـوي، وتنوسيت الفروق الدقيقة التي تميز لهجة عن لهجة أخرى.

فلما نزل القرآن الكريم وكان الامر ــ كما تقدم ـ لم يكن هناك غضاضة من استعمالـه الألفاظ الجديـدة في اللهجـة القـرشية التي اقتبستهـا وانتقتهـا من

---

(١) استاذ الاسـلاميات، وفقه اللغة في كليـة الآداب بالجامعة اللبنـانية. له كتاب: دراسـات في فقه اللغة، وكتاب: مباحث في علوم القرآن، وكتاب: علوم الحديث ومصطلحه.

اختلاطها بالقبائل المختلفة في مناسبات متعددة، إضافة الى الألفاظ القرشية الأصيلة ومن هنا، يقر صبحي الصالـح، بوجود الترادف في القرآن الكريم، وبـه يفسر ترادف كلمات عـدد من الأيـات نحو: تـرادف أقسم، وحلف في قوله تعالى: ﴿**وأقسموا بالله جهد أيمانهم**﴾[1] وقوله ﴿**يحلفون بالله ما قالوا، ولقد قالوا كلمة الكفر**﴾[2]. . [3].

ومثله تـرادف بعث وأرسل في نحـو قولـه تعالى: ﴿**وما كنـا معذبين حتى نبعث رسولا**﴾[4] وقوله سبحانه: ﴿**وما أرسلناك الا رحمة للعالمين**﴾[5] وكذلك تـرادف فضّل وآثـر في قــولـه تعـالى: ﴿**تلك الــرسل فضلنـــا بعضهم على بعض**﴾[6] وقوله: ﴿**تا الله لقد آثرك الله علينا**﴾[7].

فقريش كـانت تستعمل أحد اللفظين ـ من الأمثلـة الثلاثة المتقدمـة ـ ولا يؤثـر على هذا الأصل أي الألفاظ يكون لفظهـا الاصلي بينما اللفظ الآخر من القبائل الأخرى.

ويتلخص رأي الـدكتـور صبحي الصـالح بأنـه «لا منـاص من التسليم بـوجود الترادف كما أنـه لا مفر من الاعتراف بـالفروق بين المترادفـات غير أن

---

(١) سورة النور آية ٥٣، واللفظ في فاطر آية ٤٢.

(٢) سورة التوبة آية ٧٤.

(٣) انظر: دراسات في فقه اللغة. صبحي الصالح ط ٦ ص ٣٠٠.

(٤) سورة الاسراء آية ١٥.

(٥) سورة الأنبياء آية ١٠٧.

(٦) سورة البقرة آية ٢٥٣.

(٧) سورة يوسف آية ٩١.

هـذه الفروق تنـوسيت فيما بعد وأصبح من حق اللغـة التي ضمتها اليهـا أن تعتبرها ملكا لها ، ودليلا على ثرائها وكثرة مترادفاتها»[1] .

فكأن الفــروق لا وجـود لها الآن ، وانما كـانت في الماضي ، فعفـى عليهـا الزمان .

هـ) الدكتور. ابراهيم أنيس[2] :

يرى إبراهيم أنيس ـ وهو أحد اللغويين المتأخرين ـ أن الترادف واقع بكثرة في ألفاظ القرآن الكريم ، وأن هذا الترادف ظاهر بوضوح . رغم محاولة بعض المفسرين التماس فروق خيـالية لا وجود لها الا في أذهـانهم للتفريق بين تلك الألفاظ القرآنية المترادفة .

وهذا يعود الى رأيه القائل بأن الترادف لا يكـاد يوجد في اللهجات العربية القديمـة ، غير أنه يمكن التماسـه في اللغة النمـوذجية الأدبيـة وبما أن القرآن الكـريم نموذج فـذ ، فقد طفق يلتمس الترادف في كلماتـه ويرى أنـه ظاهـر بوضوح في كثير من آياته ، وأنه لا معنى لمغالاة بعض المفسرين حين يحرصون على أن يلتمسوا في كل لفظة من ألفـاظه شيئا لا يرونـه في نظائره من الألفاظ الأخرى[3] وساق بعض الآيـات للتدليل على وقـوع الترادف في كلمات القرآن الكريم وآياته[4] كما في قوله تعالى :

---

(١) دراسات في فقه اللغة د . صبحي الصالح . ط ٦ ص ٣٠٠ .

(٢) احد اللغويين المحدثين ، لـه عدد من المؤلفات والدراسات اللغوية منهـا : في اللهجات العربية ، دلالة الألفاظ ، اللغة بين القومية والعالمية ، محاضرات عن مستقبل اللغة العربية المشتركة .

(٣) تقول بنـت الشاطئ أنـه يبدو أن الـدكتور أنيس عـدل عن مذهبـه هذا . لانـه في مناقشـة بلجنة الأصول في المجمع اللغوي ، وقف مع من أنكر الترادف . انظر : الاعجاز البياني للقرآن ص ١٩٨ . الحاشية . لكن رأيه في كتابيه : في اللهجات العربية ، ودلالة الألفاظ . يقول أنه ينبغي البحث عن الترادف في اللهجة الواحدة ، وانه موجود في القرآن لانه اللغة النموذجية .

(٤) انظر : في اللهجات العربية . ابراهيم أنيس ص ١٨١ .

١ ـ تا الله لقد آثرك الله علينا[١] . وقوله : وأني فضلتكم على العالمين[٢] .

٢ ـ حتى اذا حضر أحدهم الموت[٣] . وقوله : حتى اذا جاء أحدكم الموت[٤] .

٣ ـ إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم[٥]. وقوله : فأرسلنا فيهم رسولا منهم[٦] أن اعبدوا الله .

٤ ـ ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين[٧] . وقوله : فان الجحيم هي المأوى[٨] .

٥ ـ فلا تأس على القوم الكافرين[٩] . وقوله : ولا تحزن عليهم[١٠] .

٦ ـ وأقسموا بالله جهد أيمانهم[١١] . وقوله : ثم جاؤك يحلفون بالله[١٢] .

---

(١) سورة يوسف آية ٩١ .

(٢) سورة البقرة آية ٤٧ . واللفظ في آية ١٢٢ .

(٣) سورة النساء آية ١٨ .

(٤) سورة الأنعام آية ٦١ .

(٥) سورة آل عمران آية ١٦٤ .

(٦) سورة المؤمنون آية ٣٢ .

(٧) سورة آل عمران آية ١٥١ .

(٨) سورة النازعات آية ٣٩ .

(٩) سورة المائدة آية ٦٨ .

(١٠) سورة الحجر آية ٨٨ . واللفظ في النحل آية ١٢٧ ، والنمل آية ٧٠ .

(١١) سورة الانعام آية ١٠٩ .

(١٢) سورة النساء آية ٦٢ .

٧ ـ فتوبوا الى بارئكم[١] . وقوله : قل الله خالق كل شيئ[٢] .

كما أنـه لم يلمح فـرقـا بين الصمم ، وفي أذنيـه وقـر . فهما سـواء في القـوة والضعف !

وهو يرجع السر في انكار الترادف . الى منهج الاشتقاقيين المسرف في إرجاع كلمات اللغة الى الأصول التي اشتقت منها .

«والى الأدباء النقاد الذين يستشفون في الكلمات أمورا سحرية ، ويتخيلون في معانيهـا أشياء لا يراها غيرهم ، فهم قـوم شديدو الاعتزاز بألفـاظ اللغة ، يتبنون الكلمات ويرعونها رعايـة كبيرة . ينقبون عما وراء المدلولات سابحين في عالم من الخيال يصور لهم من دقائق المعـاني وظلالها ، ما لا يدركه الاهم ، ولا يقف عليـه إلا أمثالهم . وفي كل هـذا من المبالغـة والمغالاة مـا يأباه اللغـوي الحديث في بحث الترادف»[٣] .

والقـول بـالترادف في القـرآن الكـريم ؛ مـذهب بعـض المعـاصرين من الدارسين للقرآن الكريم ففـي قوله تعالى : ﴿**وما أدراك مـا سقر، لا تبقى ولا تذر**﴾[٤] . هناك من يرى أن الترادف ظـاهر بين ـ لفظ ـ لا تذر ــ ولفظة ـ لا تبقى ، وانما جـاء العطف هنا ، بقصـد التأكيد ، ولمنـاسبة الفـاصلة لا غير . ويرفض أية محاولة لتوضيح الفرق بينهما[٥] .

---

(١) سورة البقرة آية ٥٤ .
(٢) سورة الرعد آية ١٦ .
(٣) في اللهجات العربية . إبراهيم أنيس ص ١٨١ .
(٤) سورة المدثر آية ٢٧ ، ٢٨ .
(٥) انظر: بحوث في تفسير القرآن ـ سورة المدثر ـ جمال الدين عياد ص ١٠٧ .

ويرى أحدهم أن التوسع في تكرار المعنى بلفظين مختلفين يهدف الى إشباع المعنى وتكثير الألفاظ والاتساع بها[1].

فـالنجوى هـو السر في قـوله تعـالى: ﴿**أم يحسبـون انـا لا نسمع سرهم ونجواهم**﴾[2].

ولعل القائلين بـوجود الترادف في القرآن الكريم، لا يلتفتـون إلا الى القدر المشترك من المعنى العـام بين الكلمات، من غير مـلاحظـة الفروق الـدقيقـة بينهـا، والتي تظهـر في تتبع دوران هـذه الكلمة في اسلـوب القـرآن الكـريم ومعرفة متى يستعملها، وفي أي سياق يكون ذلك الاستعمال.

إذ الكلمة القـرآنية منتقـاة بدقة متنـاهية، ومـوضوعـة في سبك رائع قوي يظهر معه استواء كل كلمة في محلهـا اللائق بها. بما لا يجعل أي كلمة أخرى من الألفاظ المقاربة لها في المعنى، تقوم مقامها، وتؤدي كامل معناها بِصُوَرِه وظلاله، وبروعته وجماله.

ونحن حين نفسر المفـردات القرآنية. بكلمات أخـرى، لا نقوم بأكثـر من تقريب المعنى، ليكـون في متناول فهم من نـدّت عنه معـاني هذه الكلمات، لسبب أو لآخر. فالتفسير انما هو من باب التقريب لا التحديد الدقيق.

بل إن حـركات الكلمات لها ايحاءاتها ومـدلولاتها الخاصـة بها مما لا تـؤديه ذات الكلمة حين تتغير حركـاتها وسكناتها. فالنظر الى لفظة ـ يـذبّحون ـ في

(١) انظر: المعاني الثانية في الاسلوب القرآني د. فتحي أحمد عامر ص ٤٣٧.
(٢) سورة الزخرف آية ٨٠.

قوله تعالى : ﴿واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبّحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾[1].

يوحي بأكثر من معنى فهي تصور ما حدث أولا، وتوحي بكثرته ثانيا وتدل على نوعه ثالثا[2]. إضافة الى ما تشير اليه من استسلام الذبيح، وانقياده من غير أن يملك حولا، أو يكون له طول يدفع به هذا العذاب عنه، وفي هذا تصوير لحالة اليهود السيئة، ووضعهم الذليل بين يدي فرعون، ومن ثم يفهم كم كانت نعمة الله عليهم ببعث موسى إليهم لإنقاذهم من سوء العذاب، وربقة الذل.

وبعض هذه المعاني لا تدل عليه هذه اللفظة ـ من غير تشديد ـ يذبّحون ـ فضلا أن تؤديها أو تسدّ مسدّها كلمة أخرى كيقتلون.

---

(١) سورة البقرة آية ٤٩.

(٢) انظر: التعبير الفني في القرآن، بكري الشيخ أمين ص ١٨٤، واعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق، د. حفني محمد شرف ص ٢٢٣، وفكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، د. فتحي احمد عامر ص ١٣٤.

الفصل الثـــاني

القول بالفروق ومنع الترادف في القرآن الكريم

المباحث:

١ ـ منع الترادف في القرآن الكريم.

٢ ـ آراء العلماء في منع الترادف في القرآن الكريم:

(١) رأي ابن تيمية:

(أ) ترادف الذات وتباين الصفات.

ب) التفسير على وجه التقريب.

جـ) الايمان والتصديق.

(٢) رأي الراغب الاصفهاني.

(٣) رأي ابن جرير الطبري.

(٤) رأي ابن عطية.

(٥) رأي الزمخشري.

(٦) رأي ابن كثير.

(٧) رأي القرطبي.

(٨) رأي الخطابي.

(٩) رأي الزركشي. والزملكاني.

(١٠) رأي السيوطي.

(١١) رأي الدكتورة بنت الشاطئ.

المبحث الأول
منع الترادف في القرآن الكريم

يذهب جمهور العلماء الى نفي الترادف في القرآن الكريم، حتى وإن قال بعضهم بوجوده في اللغة العربية. نظرا لبلوغ القرآن الكريم أعلى درجات الفصاحة، وتسنمه ذروة البلاغة فليس فيه لفظة نابية عن مكانها، أو نافرة في سياقها، فقد استوت كل كلمة فيه في مكانها الأشكل بها، المناسب لها، بما لا مجال معه لإبدال حرف مكان آخر فضلا ان تقوم لفظة مكان اخرى في تأدية كامل المعنى.

وما تقوم به اللفظة المفسِّرة ليس أكثر من تقريب المعنى، اذ التفسير انما هو على وجه التقريب، وليس على وجه التحديد الدقيق.

وخير دليل على اهتمام القرآن الكريم باستعمال الألفاظ في أماكنها الخاصة بها والتقيد بالدقة المتناهية في ذلك؛ ما نبه له من التفريق بين لفظتي الإيمان والإسلام في دعوى الأعراب في ذلك، فلم يرض دعواهم الايمان، وإن سلم لهم بالإسلام. قال تعالى:

﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم﴾(١).

وكما فرق بين ـ راعنا ـ وانظرنا ـ حيث نهى عن قول الأولى. دون الاخرى. سواء أكان السبب ما يفهمه اليهود من هذه الكلمة، ويعنونه، أو كان غير

---

(١) سورة الحجرات آية ١٤.

ذلك فلم يرتضها القرآن الكريم للمسلمين، قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم**﴾[1].

ففي هذا الاستعمال القرآني للالفاظ ووضعها في محلها اللائق بها توجيه رباني ودعوة واضحة وصريحة للاقتداء بهذا الهدى، وتنبيه الى أهمية استعمال الألفاظ في مواضعها وعدم رصفها جزافا.

واذا كانت هذه درجة من الفصاحة والبلاغة، ليس من السهولة بلوغها بالنسبة للكثير من الناس، فلا أقل من الاهتمام بألفاظ القرآن الكريم الذي تربع على عرش البلاغة، وتسنم ذروة الفصاحة. فنتنبه الى الفروق القائمة بين كثير من المفردات القرآنية. التي قد يبدو لأول نظرة ترادفها وتساويها في الدلالة على معنى الخطاب.

والطريق إلى ذلك إنما هو في تتبع الكلمة القرآنية، ودورانها في الاسلوب البياني المعجز، لمعرفة السياق الذي ترد فيه، والألفاظ التي يغلب اقترانها بها، وهذا يهدينا الى إدراك ما تختص به من معنى.

والاهتمام بتحري الدقة في استعمال المفردات كان هدى النبي ﷺ. أخرج البخاري في صحيحه عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن سعد ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ أعطى رهطا ـ وسعد جالس ـ فترك رسول الله ـ ﷺ ـ رجلا هو أعجبهم اليّ. فقلت: يا رسول الله ما لك عن فلان؟ فو الله إني لأراه مؤمنا. فقال: أو مسلما فسكت قليلا ثم غلبني ما أعلم منه فعدت لمقالتي فقلت: مالك عن فلان؟ فو الله إني لأراه مؤمنا فقال، أو مسلما. ثم

---

(١) سورة البقرة آية ١٠٤.

غلبني ما أعلم منه فعدت لمقالتي وعاد رسول الله ـ ﷺ ـ، ثم قال: يا سعد، اني لاعطي الرجل وغيره أحب الي منه ـ خشية أن يكبه الله في النار[1].

فالحديث صريح في التفريق بين مدلول لفظتي؛ مؤمن، ومسلم، وأن بينهما فرقا وهو ما نبه عليه القرآن الكريم في قوله تعالى: **﴿قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم﴾**[2].

وفي حديث آخر عن البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ فرق رسول الله ـ ﷺ ـ بين، فك الرقبة، وعتق النسمة: وبين أن بينهما فرقا فليستا مترادفتين. فعن البراء بن عازب قال: جاء أعرابي الى رسول الله ـ ﷺ ـ فقال يا رسول الله علمني عملا يدخلني الجنة فقال: لئن كنت أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة أعتق النسمة، وفك الرقبة، فقال يا رسول الله أوليستا بواحدة؟ قال: لا. إن عتق النسمة أن تفرد بعتقها وفك الرقبة أن تعين في عتقها. . . الحديث[3].

ففي قول الاعرابي في هذا الحديث: أوليستا بواحدة ـ وهو العربي الفصيح ـ ومثله توسع سعد بن أبي وقاص في الحديث السابق في اطلاق الإيمان ـ دليل على دقة الفروق وامكانية فواتها على كثير من الناس، بسبب تقارب معانيها، ولان الاكتفاء بالقدر المشترك بينها في المعنى يؤدي الى التساهل في استعمالها وهو ما تضيع معه الفروق.

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري. انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري جـ١ ص ٧٩. وطرفه في حديث رقم (١٤٧٨) جـ٣ ص ٣٤٠. وانظر صحيح مسلم بشرح النووي جـ ٢ ص ١٨٠.

(٢) سورة الحجرات آية ١٤.

(٣) أخرجه أحمد في المسند جـ ٤ ص ٢٩٩ والحاكم في المستدرك جـ ٢ ص ٢٠٧ وانظر كامل تخريجه ص ١٤.

يقول الخطابي معلقا على حديث البراء بن عازب :

«فتأمل كيف رتب الكلامين ، واقتضى من كل واحدة منهما أخص البيانين فيما وضع له من المعنى وضمنه من المراد»[1] .

وحين نفهم أن فك الرقبة هو الاعانة في ثمنها ، والمشاركة في عتقها نفهم معنى قوله تعالى : ﴿**فك رقبة أو اطعام في يوم ذي مسغبة**﴾[2] وندرك الأجر العظيم والخير العميم في عتق النسمة كاملة . فالفرق واضح وكبير بين مجرد المشاركة في العتق وبين الانفراد فيه .

ومثل هذا أيضا تفريق الرسول ﷺ بين لفظتي النبي ـ والرسول . في حديث الدعاء الذي علمه للبراء بن عازب رضي الله عنه وفيه :

« . . آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت . . الحديث» فلما أخذ البراء يستذكره قال : آمن بكتابك الذي أنزلت وبرسولك الذي أرسلت ، فقال له النبي ﷺ : لا ، وبنبيك الذي أرسلت[3] .

فهذا الهدى منه ﷺ ، يدل على أهمية تحري الدقة في الكلام ، والحرص على استعمال الألفاظ في مواضعها الخاصة بها . فنحن مطالبون بتفهم أسباب اختيار الألفاظ وانتقائها في الحديث الشريف ، والقرآن الكريم ، لما تتضمنه هذه الألفاظ من فقه ، ولما تحمله من أحكام . وما تختص به من معاني .

---

(١) انظر : ثلاث رسائل في إعجاز القرآن . ط ٣ ص ٣٣ ، ٣٤ .

(٢) سورة البلد آية ١٣ ، ١٤ .

(٣) أخرجه البخاري ، فتح الباري جـ ١١ ص ١٠٩ ، وأخرجه مسلم جـ ١٧ ص ٣٢ بشرح النووي .

المبحث الثاني
مانعو الترادف في القرآن الكريم

الحق أنني لم أجد نصوصا صريحة توضح آراء بعض المفسرين في وجود الترادف في القرآن الكريم أو في نفيه عنه، مما جعلني ألجأ للتعرف على آرائهم الى استقراء تفسيرهم لبعض الألفاظ المقول بترادفها في نظر بعض الناس للوقوف على رأيهم في ذلك، وهل ينظرون الى هذه الألفاظ على أنها مترادفة، أم أن بينها فروقا دقيقة يحرصون على بيانها وابرازها، ولعل هذا بليغ الدلالة على ما نحن بصدده، فوجود الفروق في تفسير هذه الألفاظ يعتبر تطبيقا عمليا للقول بالفروق نظريا، فدلالته على ذلك أبلغ.

وسيقتصر الحديث هنا على آراء المفسرين والمهتمين بالدراسات القرآنية بصفة خاصة، وهم الذين تناولوا الترادف والفروق في ألفاظ القرآن الكريم، مع أن ما نعي وجود الترادف في اللغة العربية، يعتبرون من ما نعي وجوده في القرآن الكريم من باب أولى، غير أنه قد تقدم الحديث عنهم في الباب الأول فيكتفى بـه.

(١) رأي ابن تيمية[1]:

يـذهب شيخ الاسلام ابن تيمية الى أن الترادف في اللغة قليل، وأما في ألفاظ القرآن فإما نادر وإما معدوم، وَقَلّ أن يعبّر عن لفظ واحد بلفظ واحد يؤدي جميع معناه، بل يكون فيه تقريب لمعناه.

---

(١) هو شيخ الاسلام الامام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية. ولد بحران سنة ٦٦١ هـ، وتوفي بقلعة دمشق سنة ٧٢٨ هـ. له الكثير من المؤلفات الكبيرة، =

وهذا أحد أسباب إعجاز القرآن الكريم(١).

التعاطف دليل التغاير:

يرى ابن تيمية أن عطف الشيئ على الشيئ في القرآن وسائر الكلام يقتضي مغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه وان اشتركا في الحكم الذي ذكر لهما ـ وهذا قول المبرد ـ(٢) وهذه المغايرة على مراتب مختلفة أعلاها التباين بين المتعاطفين.

ومن هذه المراتب ما هو دون ذلك كعطف الشيئ على الشيئ لاختلاف الصفتين(٣) كقوله تعالى:

﴿سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي أخرج المرعى﴾.(٤)

وقوله: **﴿الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون. والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون﴾**(٥).

= الشهيرة مثل: الفتاوى، واقتضاء الصراط المستقيم، والتوسل والوسيلة، ورفع الملام عن الائمة الاعلام، وغيرها. وله الكثير من الرسائل المختلفة. انظر ترجمته في طبقات المفسرين للداودي جـ ١ ص ٤٥ ـ ٤٩. والاعلام للزركلي جـ ١ ص ١٤٠، والفتح المبين في طبقات الأصوليين للمراغي جـ ٢ ص ١٣٠ ـ ١٣٣، وطبقات الحفاظ للسيوطي، وانظر: ابن تيمية بطل الاصلاح الديني، محمود مهدي الاستانبولي، وحياة شيخ الاسلام ابن تيمية، محمد بهجة البيطار، والحافظ ابن تيمية، لابي الحسن الندوي.

(١) مقدمة في أصول التفسير. لابن تيمية. تحقيق د. عدنان زرزور ص ٥١ الطبعة الثانية.

(٢) راجع ص ٥٧، ٥٨.

(٣) انظر كتاب: الايمان. لابن تيمية ص ١٦٣. الطبعة الثانية.

(٤) سورة الأعلى آية ١ ـ ٤.

(٥) سورة البقرة آية ٣ ـ ٤.

ومن هنـا غلّط ابن تيمية رحمه الله من قـال ان لفظتي ـ شرعـة ومنهاجـا ـ معناهما واحد في قـوله تعالى : ﴿**لكل جعلنا منكم شرعـة ومنهاجا**﴾[1] وانهما جاءا متعاطفين لمجرد اختلاف اللفظ فقط . يقول : « . . هذا غلط ، مثل هذا لا يجيئ في القـرآن، ولا في كـلام فصيح ، وغـايـة مـا يـذكـر اختـلاف معنى اللفظ »[2] .

وقد أُحتج بأن الشرعـة والمنهاج بمعنى واحد . بـورود مثل ذلك في الشعر العربي كتعاطف ـ النأي والبعد ـ وهما بمعنى واحد . كما في بيت الحطيئة .

الا حبذا هند وأرض بها هند وهند أتى من دونها النأي والبعد[3]

حيث جاز ذلك لاختلاف اللفظ .

وقـد أجيب عن ذلك بأن النأي أعم من البعـد ، اذ هـو بمعنى المفـارقـة فيشمل ما قل بعده وما كثر.

بينما البعد يستعمل فيما كثرت مسافة مفارقته ، وطالت .

وقد قال تعالى : ﴿**وهم ينهون عنه وينأون**﴾[4] فهم مذمومون على مجانبة الحق . ومؤاخذون عليه ، سواء كانوا قريبين منه أو بعيدين عنه ماداموا مجانبين له . وليس كلهم كان بعيدا عنه . خصوصـا عند من يقول : ان الآية نزلت في أبي طالب[5] .

ثم إن النأي نقيض الاقبال وهو يأتي بمعنى الاعـراض والصد والاشاحة . قال تعالى : ﴿**وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه**﴾[6] .

---

(١) سورة المائدة آية ٤٨ .

(٢) انظر كتاب : الايمان . لابن تيمية ص ١٦٩ .

(٣) ديوان الحطيئة ص ٣٩ .

(٤) سورة الانعام آية ٢٦ .

(٥) انظر كتاب : الايمان . لابن تيمية ص ١٦٩ .

(٦) سورة الإسراء آية ٨٣ .

أما البعد فقد جاء في الاستعمال القرآني له بمعنى البعد المكاني والزماني، المادي منهما والمعنوي فهو نقيض القرب[1] فالعطف بالواو دليل على المغايرة لان الشيئ لا يعطف على نفسه ولو لم يكن هناك فرق وان دقّ. لما جاز هذا العطف ولما كان له فائدة.

أ) ترادف الذات وتباين الصفات:

ويرى شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله، أن أحد صنفي اختلاف التنوع الذي يرجع اليه غالب اختلاف السلف في التفسير؛ هو أن يعبّر كل واحد منهما عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر. مع اتحاد المسمى؛ بمنزلة الاسماء المتكافئة التي بين المترادفة والمتباينة. كما قيل في اسم السيف: الصارم، والمهند وذلك مثل أسماء الله الحسنى، وأسماء رسوله ﷺ. وأسماء القرآن[2].

فكل اسم من اسمائه سبحانه وتعالى يدل على الذات المسماة وعلى الصفة التي تضمنها ذلك الاسم؛ فالعليم يدل على الذات وعلى صفة العلم، والقدير يدل على الذات والقدرة، والرحيم يدل على الذات والرحمة. وهكذا بقية أسمائه. إذ أن كل اسم من أسمائه يدل على ذاته سبحانه وعلى ما في الاسم من صفاته ويدل أيضا على الصفة التي في الاسم الآخر بطريق اللزوم.

ولما كانت أسماء الله سبحانه وتعالى تدل على مسمى واحد، لم يكن دعاؤه باسم من أسمائه الحسنى مضادا لدعائه باسم آخر؛ بل الأمر كما قال

---

(١) انظر: الاعجاز البياني للقرآن/ بنت الشاطئ ص ٢٠٢ـ٢٠٣.

(٢) انظر: مقدمة في اصول التفسير لابن تيمية ص ٣٨.

سبحانه : ﴿**قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيًّا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى**[1]﴾ . . .[2].

ومن هنا كان السلف كثيرا ما يعبرون عن المسمى الواحد بعبارة تدل على عينه وان كان فيها من الصفة ما ليس في الاسم الآخر. كمن يقول : أحمد هو الحاشر والماحي، والعاقب.

والقدوس : هو الغفور الرحيم، أي أن المسمى واحد، لا أن هذه الصفة هي هذه[3]. فليست مترادفة باعتبار دلالتها على ذات واحدة.

ب) التفسير على وجه التقريب:

تفسير لفظة بلفظة أخرى لا يعني أكثر من تقريب المعنى وتوضيحه بكلمة أخرى لمن لا يفهم معنى الأولى لسبب أو لآخر فالتفسير تقريب للمعنى لا تحديد دقيق له.

فاذا قال القائل في تفسير قوله تعالى : ﴿**يوم تمور السماء مورا**﴾[4] أن المور هو الحركة. كان هذا تقريبا لمعناه إذ المور حركة خفية سريعة. كما يقول ابن تيمية[5].

وحين نرجع في تفسير (المور) الى كتب اللغة نجدها تفسره بالموج، والاضطراب، والجريان على وجه الارض. والتحرك، وأن التمّور: المجيئ والذهاب[6]. كما تفسره، بالتحرك السريع[7].

(١) سورة الاسراء آية ١١٠.
(٢) مقدمة في أصول التفسير ص ٣٨ ـ ٣٩.
(٣) مقدمة في اصول التفسير ص ٤١.
(٤) سورة الطور آية ٩.
(٥) انظر: مقدمة في اصول التفسير لابن تيمية ص ٥١.
(٦) القاموس المحيط للفيروزابادي جـ ٢ ص ١٣٦.
(٧) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير جـ ٢ ص ٧١٤.

فهناك إذاً أكثـر من تفسير له . يظهر منهـا أنه نـوع معين من الحركة وليس كل حركة .

وقد فسر الامام الطبري المور: بالدوران والتكفي . ونقل عن السلف نقولا لا تخرج بالتفسير عن الحركة، أو الدوران، أو التشقق[1].

وخص النيسابوري المور بالتحرك في تموّج كحركة الزئبق .

وقال : تمور. تضطـرب وتجيئ وتذهب[2]. وجعل النسفي المور؛ الـدوران مع الاضطراب يقول : تدور كالرحى مضطربة[3].

ويرى الراغب الأصفهاني أن المور: الجريان السريع[4].

مما تقدم يظهر أن تفسير المور بالحركة : تفسير صادق في جملته، لكنه يبقى ناقصـا عن تحديـد المعنى الدقيق للكلمـة . لان تحديد صفـة هذه الحركـة له أهميتـه البالغـة في فهم معنى الآيـة فهما صحيحـا دقيقا . حيـث إن للحركـة أحـوالا مختلفة من انتظـام واضطراب . ومن سرعـة وبطء، ودوران، وزلزلـة ونحوذلك . ويصدق على كل منها أنها حـركة . ولكن الاختلاف كبير بينها . فإذا نُفيت الحركــة المضطـربــة، ومُنِعَت لا يـدخل تحت ذلك منـع الحركـة المنتظمة ــ مثلا ـ. ومن هنـا يتضح أهمية تحديد المعنى الـدقيق لكل كلمة . وبه يظهر أثر الفروق بين الألفاظ .

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري م/ ٩ جـ ٢٧ ص ١٣ . دار الفكر.

(٢) غرائب القـرآن ورغـائب الفرقان . للنيسابوري ـ طبـع في حاشيـة تفسير الطبــري م/ ٩ جـ ٢٧ ص ٢١ .

(٣) تفسير النسفي جـ ٤ ص ١٩٠ .

(٤) المفردات في غريب القرآن . للراغب الاصفهاني ص ٧٢٥ . وجاء مثل الاقوال المتقدمة في : تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٢٤٠ ، وفتح القدير للشوكاني جـ ٥ ص ٩٥ .

فتفسير المور بالحركة. تفسير قاصر عن تحديد المعنى بدقة. وهو تقريب للمعنى لا تحديد دقيق له.

وهنا يصدق قول شيخ الإسلام ابن تيمية من أنه: «قل أن يعبر عن لفظ واحد بلفظ واحد يؤدي جميع معناه بل يكون فيه تقريب لمعناه»[١].

وفي مثل هذا المقام يجمل بالمفسر ان يبسط معنى اللفظة بعبارة توضح بوفاء المعنى المراد. كما فعل ابن تيمية بقوله: ان المور حركة خفيفة سريعة. أو كما فعل غيره من المفسرين الذين سبقت الاشارة الى أقوالهم. ومثل ذلك اذا قال القائل: الوحي: هو الاعلام.

فإن هذا تقريب للمعنى، وتوضيح له، لمن لا يفهم مدلول الكلمة الخاص، ونوعية هذا الاعلام المعينة. وليس تحقيقا دقيقا لمعنى الكلمة. لان الأذان اعلام أيضا. وفرق بين الوحي والأذان. «اذ الوحي اعلام سريع خفي»[٢] فهو نوع خاص من أنواع الإعلام.

وكذلك اذا فسر نحو قوله تعالى ﴿ذلك الكتاب﴾[٣] هذا القرآن.

فان هذا التفسير تقريب للمعنى. فان المشار اليه وان اتحدت ذاته الا أن الاشارة بجهة الحضور والقرب غير الاشارة بجهة البعد والغيبة. اذ لكل منهما معنى خاصا معينا، تفيده، وتستقل به.

ولفظة ـ الكتاب ـ تتضمن معنى كونه مكتوبا، مضمونا بعضه الى بعض ما لا يتضمنه لفظ ـ القرآن ـ من كونه مقروءا باديا مظهرا[٤].

فان اللفظتين وان اتحدتا في الدلالة على ذات واحدة، غير أنهما تختلفان باعتبار ما تتضمنانه من معاني وصفات تختص بها كل لفظة دون الأخرى.

(١) مقدمة في اصول التفسير لابن تيمية ص ٥١.
(٢) المصدر السابق ص ٥١.
(٣) سورة البقرة آية (٢).
(٤) أنظر: مقدمة في اصول التفسير لابن تيمية ص ٥٣.

جـ) الإيمان والتصديق:

الفرق بين الايمان والاسلام واضح مشهور، قال تعالى: ﴿**قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم**﴾[1] وكفى بهذا الآية دليلا على ذلك ــ وقد تقدمت الاشارة الى بعض الأحاديث المؤيدة لهذه الآية.

لكن ماذا عن تفسير لفظة الإيمان بالتصديق وهل يعني ذلك ترادفهما ترادفا تاما؟

يمنع شيخ الاسلام ابن تيمية أن يكون لفظ الايمان مرادفا للفظ التصديق كما يقول بذلك بعضهم. وهذا لا يعني أن تفسير الايمان بالتصديق ليس صحيحا في جملته لكنه ليس مرادفا للايمان، وانما هو من باب التقريب، والا فهو ناقص وقاصر عن تحديد معنى الإيمان بدقة.

فأنت ـ مثلا ـ إذا فسرت قوله تعالى ﴿**أقيموا الصلاة**﴾[2] بأتموا الصلاة، لازموا الصلاة، التزموا الصلاة، افعلوا الصلاة. ونحو هذا؛ كان المعنى صحيحا، لكنه لا يدل على معنى لفظة ـ أقيموا ـ[3].

فالاقتصار على تفسير الايمان بالتصديق فقط، والاعتقاد بأنهما لفظان مترادفان فيه نقص، ومدعاة لمزلة خطيرة. وعدم ترادف اللفظتين يثبت من أكثر من وجه:

---

(١) سورة الحجرات آية ١٤.

(٢) يوجد هذا اللفظ في القرآن الكريم في نحو «١٦» موضعًا، سورة البقرة ٤٣.

(٣) الايمان. لشيخ الاسلام ابن تيمية ص ٢٧٥ ط ٢. المكتب الاسلامي.

١ ـ أن لفظ «آمن» يتعدى باللام نحو ﴿**فآمن له لوط**﴾[1] وقوله تعالى: ﴿**فما آمن لموسى الا ذرية من قومه**﴾[2] وقال عن فرعون ﴿**آمنتم له قبل أن آذن لكم**﴾[3] الى غير ذلك من الآيات. فلا يقال: آمنه، أو آمنته وانما تعدى باللام دائما. بينما التصديق يقال: صدقه. فيتعدى بنفسه، ولا يتعدى باللام. فلا يقال صدق له. ويقال: آمنت له. كما يقال: أقررت له. فتفسير الايمان بالإقرار ــ مع ما بينهما من فرق ـ أقرب من تفسيره بلفظ التصديق[4].

٢ ـ ومما ينفي الترادف بين التصديق والايمان اختصاص لفظة الايمان باستعمالها في خبر يؤتمن عليه المخبر فقط، كالأمر الغائب. ولهذا لم يوجد قط في القرآن الكريم وغيره لفظ ـ آمن له ـ الا في الاخبار عن المغيبات، فهو مشتق من الأمن. والاخبار عن المغيبات تحتاج في قبولها الى بلوغ أعلى درجات الثقة في المخبر، والأمن منه، والاطمئنان له، وعلى ما يأتي به وقبول كل ما يقوله[5]. وهذا بخلاف التصديق فلا يعني شيئا من ذلك، قال تعالى حكاية عن اخوة يوسف ﴿**وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين**﴾[6]. فلم تكن الثقة بهم تبلغ درجة الايمان لهم بما يقولون.

٣ ـ أن الاشياء تتميز باضدادها، فضد التصديق؛ التكذيب. والإيمان ضده الكفر. والكفر لا يختص بالتكذيب. بل هو أعم منه وأشمل. فلو قال

(١) سورة العنكبوت آية ٢٦.
(٢) سورة يونس آية ٨٣.
(٣) سورة الشعراء آية ٤٩.
(٤) الايمان: لابن تيمية ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦.
(٥) انظر: الايمان لابن تيمية ص ٢٧٦.
(٦) سورة يوسف آية ١٧.

قـائل أنا أصـدق بما قلت ، ولكن لا أؤمن بك ، ولا أتبعك ، ولا أطيعك بل أعاديك وأبغضك لكان كفره أعظم .

فإذاً الكفر ليس هـو التكذيب فقط ، وكذلك الإيمان ليس هـو التصديق فقط اذ الكفر يكون تكذيبا ، ويكون مخالفة ومعاداة وامتناعا بلا تكذيب .

فلابد إذاً أن يكـون الايمان تصديقا مع موافقة وانقيـاد وموالاة . فلا يكفي مجرد التصديق اذ التصـديق ما هـو الا جزء الايمان[١]. والاكتفاء بجزء الشئ انما هو تقصير، واهمال ، واخلال بالواجب . ويزداد الأمر خطورة إذا ما تعلق ذلك بالعقيدة . والتشريع الإسلامي . وفهم روح الدين وأهدافه .

(٢) رأي الراغب الأصفهاني[٢]:

اهتم الراغب الأصفهاني بالعلاقـة بين الألفاظ ، وقدّر أهمية تحديد المعنى الدقيق للألفاظ . فنفى القول بالترادف وخاصة بين مفردات القرآن الكريم ، إذ يرى أن الأصل في الألفاظ أن تكون مختلفة بحسب اختلاف المعاني . ولكن لما كانت الألفاظ بتراكيبها المختلفة متناهية ، والمعاني بلا نهاية ، وغير المتناهي لا يحويـه المتنـاهي ؛ جـاء تخلف هـذا الأصل في بعض الحالات كما في الاشتراك[٣].

---

(١) انظر: الايمان لابن تيمية ص ٢٧٦ .

(٢) هو الامـام الحسين بن محمد أبو القاسم المعـروف بالراغب الاصفهاني ، سكن بغـداد واشتهر بها . توفي سنـة ٥٠٢ هـ من كتبه . المفردات في غـريب القرآن ، ومحاضرات الادباء والذريعـة الى مكارم الشريعة والاخلاق ، ويسمى : أخلاق الراغب . وجامـع التفاسير، طبعت مقدمته ملحقة بكتاب تنزيه القـرآن عن المطاعن لابن عبد الجبار ـ المطبعة الجمالية ـ وغير ذلك . انظـر: الأعـلام للزركلي جـ ٢ ص ٢٧٩ .

(٣) انظر : مقـدمة تفسير الـراغب الأصفهاني ص ٣٩٥ طبعت ملحقـة بكتاب : تنزيـه القرآن عن المطاعن . ط ١ سنة ١٣٢٩ هـ . مطبعة الجمالية ، بمصر.

ويرى الأصفهاني أن المعنى الواحد يمكن أن يقرّب من الافهام بعبارات مختلفة وذلك لاغراض متفاوتة، فالمعنى الواحد قد يُدل عليه بأشياء كثيرة منها:

أن يدل عليه باسمه نحو إنسان، أو نسبه نحو آدمي وولد حواء، أو بأحد خصائصه اللازمة له نحو المنتصب القامة ـ أو الماشي برجليه.

وكما يبين الشيئ بأوصاف كثيرة كذلك قد يبين بأسماء كثيرة متضمنة لأوصاف مختلفة. كقولهم في الجرم العلوي: السماء، لما اعتبروا ارتفاعها بالإضافة الى الأرض. والجرباء باعتبار نجومها وأنها كالجرب في الجلد. والخلفاء والملساء باعتبار حالها عند فقدان نجومها. وكقولهم الخضراء لما اعتبروا لونها. وهكذا.

ومثل ذلك قولهم في المرأة: الزوج لما اعتبرت بازدواجها بالرجل، والظعينة لما اعتبر ظعنها معه، والقعيدة لما اعتبرت بقعودها في البيت. ونحو ذلك[١].

وهذا يعني تعدد الاسماء بتعدد الاعتبارات، ومراعاة مختلف التركيبات والأحوال. وانطلاقا من تقديره لاهمية تحديد المعنى الدقيق للألفاظ اجتهد في كتابه «المفردات في غريب القرآن» في تحري الدقة في شرح الألفاظ، وتفسير معاني الكلمات في مواضعها من الآيات، واجتهد في الكشف عن العلاقة القائمة بين مادة الكلمة الواحدة في وجوه استعمالاتها المختلفة. ومواقعها المتعددة في النص القرآني، فلمّ شمل متناثراتها، وجمع متفرقاتها[٢].

---

(١) انظر: مقدمة تفسير الراغب الاصفهاني ص ٤٠٥.

(٢) انظر: دراسات في القرآن. د/ السيد أحمد خليل ص ١٣٢. دار المعارف بمصر.

وبذلك الاستقصاء، وبنظرته العميقة الدقيقة للمعاني؛ قدم خدمة كبرى للمفسرين، وأعانهم كثيرا على فهم النصوص، وإدراك الفروق بين معاني كثير من الألفاظ، إذ غالبا ما يذكر قيدا زائدا على أهل اللغة في تحديد مدلول اللفظ وتفسيره، وذلك اقتناصا من السياق الذي ترد فيه اللفظة.

وقد أظهر في مفرداته كثيرا من الفروق بين بعض الألفاظ التي قيل بترادفها. مع أنه لم يقصد بتأليفه ذكر هذه الفروق، وانما نتج ذلك من تحريه الدقة في تحديد معاني الألفاظ، ودقة فهمه لمدلول الكلمات. حتى أمكن عد كتابه من الكتب التي هي مظان الفروق بين الألفاظ. وهو يرى أن العلوم اللفظية ومنها تحقيق معاني المفردات من أول ما يحتاج اليه من يريد ادراك - معاني القرآن الكريم. إدراكا صحيحًا سليماً.

كما يرى أن تفسير ألفاظ القرآن الكريم بألفاظ أخرى لا يكفي في توفية المعنى حقه كمن يعتقد أنه اذا فسر: «الحمد لله» بقوله: «الشكر لله»؛ أو «لاريب فيه» بلا شك فيه، أنه قد فسر القرآن، ووفاه البيان. بينما هو في حقيقة الامر لم يفعل أكثر من تقريب المعنى، وتوضيحه.

وقد أشار في مقدمة مفرداته الى اهتمامه بقضية الترادف والفروق وعزمه على تأليف كتاب يوضح فيه حقيقة الفروق بين الألفاظ التي تبدو للنظرة الأولى أنها مترادفة، بينما هي ليست كذلك.

يقول في هذا: «وأتبع هذا الكتاب إن شاء الله ونسأ في الاجل بكتاب[1] ينبئ عن تحقيق الألفاظ المترادفة دون غيره من أخواته نحو ذكره القلب مرة، والفؤاد مرة، والصدر مرة، ونحو ذكره تعالى في عقب قصة: ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون وفي أخرى لقوم يتفكرون - وفي أخرى لقوم يعلمون - وفي

(١) لم يعرف شيء عن هذا الكتاب بعد، ويبدو أنه بقي وعدا.

أخرى لقوم يفقهون ـ وفي أخـرى لأولى الأبصار، وفي أخرى لذي حجر، وفي أخرى لأولى النهى. ونحو ذلك مما يعـده من لا يحق الحق ويبطل الباطل أنه من باب واحد فيقـدر أنه إذا فسر ـ الحمد لله ـ بقولـه ـ الشكر لله، ولا ريب فيه بلا شك فيه فقد فسر القرآن ووفاه البيان»[1].

ويـوافقه الـرأي في هذا ابن تيميـة ـــ كما تقدم ـــ فليس من الحق، ولا من الدقـة الاعتقاد بأن تفسير اللفظة القـرآنية بأخرى فيه تـوفية لمعناهـا. بل فيه تقـريب لـذلك المعنى. وليس ختم الآيـات القرآنيـة من قصص، وأحكـام وغيرهما. بنحو قوله تعالى: ﴿إن في ذلـك لآيات لقوم يعلمون، أو نحو والله غفـور رحيم، أو عزيـز حكيم، يأتي من غير هدف معين، ومعنى مقصـود تهدي اليه، وتدل عليه. وان خفي على بعضهـم إدراك ذلك، خصوصا بعد أن فسد الذوق الأدبي وتخلف الحس اللغوي.

ولعل في قصة الاعـرابي الذي سمع قارئا يقرأ قـوله تعالى ﴿**فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله**﴾[2]. والله غفور رحيم. فقال: ما هذا؟

فقيل له: قـرآن: فقال: ما هذا بقـرآن، فتنبه القارئ فقال: «والله عـزيز حكيم» فقال الاعرابي: عز فحكم فقطع[3]. لعل في هذه القصة خير دليل على مدى أثر رهافة الحس، وارتفاع الذوق، في ادراك التناسب بين الكلمات إذ ليس من المناسب ختم أية حد وجزاء، بمغفرة ورحمة.

---

(١) المفردات في غريب القرآن. للراغب الاصفهاني. المقدمة ص هـ.

(٢) سورة المائدة آية ٣٨.

(٣) انظـــر: زاد المسيـــر في علم التفسير لابن الجـــوزي جـــ ٢ ص ٣٥٤، وتفسير الرازي جـ ١١ ص ٢٢٩.

ولعل حس الأصفهاني المرهف، وجهده الكبير في تحري الدقة في فهم معاني الألفاظ؛ حدت به الى أن يرمى بالاعتزال. فهو معتزلي عند بعضهم، شيعي عند فريق. سني عند آخرين. يقول السيوطي في بغية الوعاة[1]:

وقد كان في ظني أن الراغب معتزلي، حتى رأيت بخط الشيخ بدر الدين الزركشي على ظهر نسخة من القواعد الصغرى لابن عبد السلام ما نصه: «ذكر الامام فخر الدين الرازي في تأسيس التقديس في الأصول أن أبا القاسم الراغب من أئمة السنة، وقرنه بالغزالي. قال وهي فائدة حسنة. فان كثيرا من الناس يظنون أنه معتزلي.

وقد رجح الدكتور محمد أحمد خلف الله الذي أشرف على طبع مفرداته؛ بأنه شيعي وذلك لما يبدو من احترامه الشديد للإمام علي كرم الله وجهه. ولما ذكره حسين بن علي الطبري في كتابه أسرار الامامة. من أنه كان من حكماء الشيعة الامامية[2].

غير أن احترامه للإمام علي رضي الله عنه لا يكفي في عده شيعيا، فجميع المسلمين يحترمون عليًّا. كما أن ترجمة الشيعة له قد يكون من باب كسب الشخصيات العلمية الكبيرة الى جانبهم، وعدهم من علمائهم.

---

(١) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي جـ ٢ ص ٢٩٧.

(٢) مفردات الراغب. ص ك.

(٣) رأي ابن جرير الطبري[١]:

يمكن أن نفهم عن الإمـام المفسر ابـن جـريـر الطبري أنـه يميل الى نفي الترادف في القـرآن الكريـم ، يظهـر ذلك من تفسيره لبعض الآيات المتضمنـة لمفردات قيل بترادفها عند بعضهم .

فقد فرق بين السر والنجوى في قـوله تعالى ﴿**ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله عـلام الغيوب**﴾[٢] بأن السر هـو ما يسرونـه في أنفسهم من الكفـر بالله ورسـوله . والنجـوى ما يتنـاجون بـه بينهم من الطعن بالإسـلام وعيبهم لأهله[٣] . وهـذا خلاف مـا يقـول به بعضهم من أن السر والنجـوى لفظان مترادفان بمعنى واحد .

كما فسر لفظتي ـ لا تبقى ، ولا تذر ـ في قوله تعالى ﴿**وما أدراك ما سقر لا تبقى ولا تذر**﴾[٤] بما يوحي أن بينهما شيئا من الفرق ، خلافا لمن قال بترادفهما قال : «ثم بين تعالى ذكره ما سقر فقال هي نار لا تبقى من فيها حيا ، ولا تذر من فيها ميتا ، لكنها تحرقهم كلما جدد خلقهم»[٥] .

---

(١) هو الإمـــام المؤرخ المفسر محمـــد بن جرير بـن يزيد الطبري أبـو جعفـــر ولـد في آمل طبرستان سنـــة ٢٢٤ هـ واستوطن بغـداد وبها توفي سنة ٣١٠ هـ من مصنفـاته : تفسيره المشهور ـ جامع البيان في تفسير القـرآن ، وكذلك ـ تاريخ الامم والملـوك ـ المعروف بتاريخ الطبري . ولـه اختلاف الفقهاء ، وغيرها .

انظر: طبقات المفسرين للداودي جـ ٢ ص ١٠٦ ـ ١١٤ ، وطبقات المفسرين للسيوطي ص ٩٥ ـ ٩٦ ، والاعلام للزركلي جـ ٦ ص ٢٩٤ .

(٢) سورة التوبة آيـة ٧٨ .

(٣) انظـر: تفسيـــر الطبري م ٦ جـ ١٠ ص ١٣٤ . طبعـــة دار الفكـر. بيروت سنة ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م .

(٤) سورة المدثر آية ٢٧ ـ ٢٨ .

(٥) تفسير الطبري م ١٠ جـ ٢٩ ص ٩٩ . دار الفكر.

ويـرى أن الشرعـة والمنهـاج في قـولـه تعـالى ﴿**لكل جعلنـا منكم شرعـة ومنهاجا**﴾[1] تعني أن لكل قوم منكـم جعلنا طريقـا الى الحق يؤمـه، وسبيلا واضحا يعمل به[2]. فهناك حق، وهناك وضـوح، فلا التباس ولا غموض ولا ضلال.

ويؤيـد هذا الفهم رأيه في تعدد أسماء القـرآن الكريم، من فرقـان، وذكر وكتـاب، وقرآن. وأن هـذا لا يعني أنها بمعنى واحـد من غير فـرق. بل إن «لكل اسم من أسمائه الأربعة ـ هذه ــ في كلام العرب معنى ووجه غير معنى الآخر ووجهه»[3].

وبهذه الأقـوال، ومثلها، ممـا تناثـر في تفسيره يمكن أن نفهم أنه لا يـرى الترادف في القرآن الكريم، وان لم يكن فيها تصريح صريح بذلك.

٤ ـ رأي ابن عطية[4]**:**

يعيد ابن عطيـة ـ في مقدمة تفسيره ــ إعجاز القرآن الكريم وبلـوغه أعلى درجات الفصاحـة الى جودة سبكة، واستواء كلماته في أمـاكنها الخاصة بها. بحيث لو بحث عن كلمة تحل محل كلمة تنزع منـه، لم يوجد في لسان العرب لفظة أحسن منها. أو تقوم مقامها. وتؤدي كامل معناها.

---

(١) سورة المائدة آية ٤٨.

(٢) تفسير الطبري م ٤ جـ٦ ص ١٧٤. دار الفكر.

(٣) تفسير الطبري جـ١ ص ٩٤. تحقيق: محمود شاكر.

(٤) هو الامام عبـد الحق بن غالب بن عبد الملك بن غـالب بن تمام بن عطية ابو محمد الغـرناطي. له تفسير مشهور. يسمى (المحـرر الوجيـز في تفسير الكتاب العـزيز) صـدر الجزء الاول منه بتحقيق الأستاذ أحمـد صادق الملاح سنة ١٣٩٤ هــ. وقد تم نشره في المغـرب وقطر. كان مولـده سنة ٤٨١ هـ، وتوفي سنة ٥٤١ هـ.

انظر: طبقات المفسرين للداودي جـ١ ص ٢٦٠، وطبقات المفسرين للسيوطي ص٦٠.

بينما نرى البليغ من الخطباء ينقح خطبته حولا كاملا، ثم هو لا يزال كلما نظر فيها وجد ما يغيره. ويستبدله بما يتراءى له أنه أحسن وأنسب وهلم جرا.

ومثله الفصيح من الشعراء. ينظم قصيدته وينقح فيها مدة قد تطول أو تقصر وهو لا يعدم في كل نظرة يلقيها عليها أن يجد ما يغيره ويحوره وهكذا. مع أنه ابتداء قد استفرغ فيها جهده.

يقول ابن عطية: «وكتاب الله لو نزعت منه لفظة، ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد، ونحن تتبين لنا البراعة في أكثره ـ ويخفى علينا وجهها في مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق، وجودة القريحة وميز الكلام»[1] فهو يميل الى أنه لا ترادف بين مفردات القرآن الكريم.

وقد فرق بين الحمد والشكر. ولم ير أنهما بمعنى واحد، كما يقول ذلك بعضهم[2].

كما رجح أن هناك فرقا بين الأبكم والأخرس عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿صم بكم عمى فهم لا يرجعون﴾[3] حيث قال: «الأصم الذي لا يسمع، والأبكم الذي لا ينطق ولا يفهم فاذا فهم فهو الأخرس وقيل [بصيغة التضعيف] الأبكم والأخرس واحد»[4].

---

(١) مقدمتان في تفسير القرآن ص ٢٧٨، الاتقان للسيوطي جـ ٢ ص ١١٩.
(٢) تفسير ابن عطية جـ ١ ص ١٠١ ـ ١٠٢.
(٣) سورة البقرة آية ١٨.
(٤) تفسير ابن عطية جـ ١ ص ١٨١.

وفرق بين الشهيد وغيره، وأن الفرق بينهما انما هو في الرزق[1]. ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾[2]

من هذا نرى ميله الى استقلالية معاني مفردات القرآن الكريم، وتميز كل كلمة بميزة لا تتوفر في الأخرى مما ينفي عنها الترادف التام في الدلالة على المعنى الواحد.

(٥) رأي الزمخشري[3]:

يتميز تفسير الزمخشري بميزات منها ما فيه من قدرة كلامية، ومقدرة بيانية، وغوص على المعاني البديعية. الى غير ذلك.

وحين نبحث عن رأيه في مسألة الترادف في القرآن من خلال تفسيره نجده يميل الى عدم القول بالترادف بين مفردات القرآن الكريم. وحجة هذا تفريقه بين معاني بعض الألفاظ التي قيل بترادفها. كما فعل في تفسير لفظتي البث والحزن في قوله تعالى: ﴿انما أشكو بثى وحزنى الى الله﴾[4] حيث فرق بينهما بجعل البث يختص بأصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه، فيبثه الى الناس وينشره بينهم، ليخفف عن نفسه بعض ما يجد[5].

---

(١) تفسير ابن عطية جـ١ ص ٤٥٦.

(٢) سورة آل عمران آية ١٦٩.

(٣) هو الامام المفسر محمود بن عمر بن محمد، جار الله الزمخشري، أبو القاسم، ولد في زمخشر ـ من قرى خوارزم ـ سنة ٤٦٧ هـ وسافر الى مكة، وجاور بها مدة. ومنها لقب، جار الله، له كثير من المصنفات المشهورة، منها: الكشاف، وأساس البلاغة، والمفصل، والمقامات، والجبال والأمكنة والمياه، والفائق، في غريب الحديث، وغيرها. توفي في ـ الجرجانية سنة ٥٣٨ هـ. انظر: الاعلام للزركلي جـ٨ ص ٥٥، وطبقات المفسرين للداودي جـ٢ ص ٦١٤.

(٤) سورة يوسف آية ٨٦.

(٥) انظر: تفسير الزمخشري جـ٢ ص ٣٣٩. طبعة دار المعرفة.

ومثل ذلك تفسيره للسر والنجوى في قوله تعالى: ﴿**ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله علام الغيوب**﴾(١) بما بيّنه من أن المراد «ما أسروه من النفاق والعزم على اخلاف ما وعدوه ـ وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها»(٢).

وكما فرق بين العوج والأمت في قوله تعالى: ﴿**لا ترى فيها عوجا ولا أمتا**﴾(٣) من أن الأمت يختص بالنتوء اليسير حيث يقال مدّ حبله حتى ما فيه أمت(٤). بينما العوج يعني النتوءات والتعريجات الكبيرة.

وقد فرق بين الحمد والشكر ونفى أن يكونا مترادفين(٥). كما يقول بذلك بعضهم. ففي تفريقه بين هذه المفردات ـ وغيرها ـ التي تعتبر عند فريق من الأمثلة على وجود الترادف في القرآن الكريم، تجعلنا نفهم أنه لا يرى الترادف في ألفاظ القرآن الكريم.

(٦) رأي ابن كثير(٦):

من خلال تتبع تفسير الحافظ ابن كثير لبعض الآيات التي قيل إنها مشتملة على ألفاظ مترادفة نجده يفرق بين بعضها، مما يوحي بأنه يميل الى

---

(٦) سورة التوبة آية ٧٨.

(٢) تفسير الزمخشري جـ ٢ ص ٢٠٤.

(٣) سورة طه آية ١٠٧.

(٤) تفسير الزمخشري جـ ٢ ص ٥٥٣.

(٥) انظر تفسير الزمخشري جـ ١ ص ٤٦ ـ ٤٧.

(٦) هو الحافظ عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير، مؤرخ، مفسر حافظ، له الكثير من الكتب المشهورة منها: تفسير القرآن العظيم، البداية والنهاية، والباعث الحثيث الى معرفة علوم الحديث. وغيرها كانت ولادته سنة ٧٠١ هـ، وتوفي سنة ٧٧٤ هـ.
انظر: طبقات المفسرين للداودي جـ ١ ص ١١٠، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص ٥٢٩، والاعلام للزركلي جـ ١ ص ٣١٧.

القول بعـدم الترادف في القرآن الكريم فقـد فرق بين الشرعة والمنهاج في قـوله تعالى: ﴿**لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا**﴾[١]. ورجح أن الشرعة والمنهاج بمعنى السبيل والسنة. وأنها أظهر في المناسبـة من العكس ـ السنة والسبيل ـ لان في الشرعة معنى الابتداء، والمنهاج الطريق الواضح السهل[٢].

كما يبدو أنه يرى فرقـا بين السر والنجوى في قوله تعالى ﴿**ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم**﴾[٣] وان كـان لم يصرح بذلك الفـرق، نجد أن سيـاق حديثه يدل على ذلك المنحى حيث عرض لبعض المتقابلات وجعل من بينها السر والنجـوى. يقـول: «يخبر تعـالى أنـه يعلم السر وأخفى وأنـه أعلم بضمائرهم، وإن أظهروا أنهم إن حصل لهم أموال تصدقوا منها وشكروا عليها فـان الله أعلم بهم من أنفسهم لانـه تعالى عـلام الغيـوب أي يعلم كل غيب وشهادة، وكل سر ونجـوى، ويعلم ما ظهـر وما بطن»[٤] فمن هذا السياق يظهـر أنـه يفهم تقـابـل السر والنجـوى كما هي الحال في الغيب والشهـادة والظاهر والباطن.

ثم هو يـرجح التفريق بين لفظتي الحمـد والشكر، مخالفا بـذلك من قال بترادفهما[٥] فمن مثل هـذا المنحى نفهـم أنـه يميل الى عدم وجـود الترادف في ألفاظ القرآن الكريم.

---

(١) سورة المائدة آية ٤٨.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٦٦.

(٣) سورة التوبة آية ٧٨.

(٤) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٣٧٤.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٢٢.

(٧) رأي القرطبي[(١)]:

فرق القرطبي بين السر والنجوى بأن السر هو ما يسر في النفس، والنجوى ما يتناجى به بين الناس[(٢)].

وكذلك فرق بين العوج والأمت في قوله تعالى ﴿**لا ترى فيها عوجا ولا أمتا**﴾[(٣)] بأن العوج خاص في الفجاج، والأمت النباك وهي التلال[(٤)].

وفرق بين البأساء والضراء. كما في قوله تعالى ﴿**ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء**[(٥)]﴾. أو نحو قوله تعالى ﴿**وما أرسلنا في قرية من نبي الا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون**﴾[(٦)].

حيث فسر البأساء بأنها المصائب في الأموال. والضراء في الأبدان. وأن هذا هو قول الأكثر، وإن كان قد قال بأنه قد يوضع كل واحد منها موضع الأخر[(٧)].

لكن تفسيره يظهر أن الاصل اختصاص كل واحدة من اللفظتين بحالة معينة. ثم هو يرى أن معنى اليأس والقنوط متقارب[(٨)]، ولم يقل بانه مترادف مما يدل على أنه لا يرى الترادف في ألفاظ القرآن الكريم. اذ هذه الألفاظ من أشهر ما يستدل به من يقول بالترادف في القرآن الكريم. بينما نرى القرطبي قد فرق بينها.

---

(١) هو الامام المفسر أبو عبد الله القرطبي محمد بن أحمد، مؤلف التفسير المشهور، جامع أحكام القرآن، توفي سنة ٦٧١ هـ. انظر: طبقات المفسرين للداودي جـ ٢ ص ٦٥، وطبقات المفسرين للسيوطي ص ٩٢.

(٢) انظر تفسير القرطبي جـ ١٦ ص ١١٨.

(٣) سورة طه آية ١٠٧.

(٤) تفسير القرطبي جـ ١١ ص ٤٤٦.

(٥) سورة الانعام آية ٤٢.

(٦) سورة الأعراف آية ٩٤.

(٧) انظر: تفسير القرطبي جـ ٦ ص ٤٢٤.

(٨) انظر تفسير القرطبي جـ ١٥ ص ٣٧٢.

(٨) رأي الخطابي[١]:

يرى الخطابي أن وجود ألفـاظ متقاربة في المعنى ؛ حمل كثيرا من الناس على تناسي الفروق الدقيقة القائمة بين الألفاظ ، والتساهل في استعمالها واعتبارها متساوية في بيان مراد الخطاب . كـالعلم والمعرفة ، والحمد والشكر، والبخل والشح ، وكـالنعت والصفـة ، وكقـولـه اقعـد واجلس ، وبلى ونعم ، وذلك وذاك ، ومن وعن ، ونحوها .

مع أن بين هذه الألفاظ فروقا دقيقة . ينبغي الانتباه لها ، والاهتمام بها . لان أغلب الألفاظ وأكثـرها تحتفظ بخاصيـة تتميز بها عن صـاحبتها في بعض معانيها ودلالتها ، وان كان قد يحصل اشتراك في بعضها .

ولهذا ينبغي أن توضع كل لفظة في مـوضعها الأخص الأ شكل بها ، وهذا هو عمـود البلاغة الذي امتـاز به القرآن الكـريم ، ولان وضع اللفظة في غير موضعها الخاص بها يؤدي إما الى تبدل المعنى الذي يكون معه فساد الكلام ، وإما الى ذهاب رونق الكـلام الذي يكون معه سقوط البـلاغة وكل واحد من هذين الأمرين غير مرغوب فيه[٢].

فهو لا يرى الترادف بين الألفـاظ ، ويدعو الى العناية بـالفروق بينها ، وأن إدراك الفروق ينتهي بنـا الى وضع كل لفظة في مـوضعها الأخص الأشكل بها وان هذا هو عمود البلاغة .

---

(١) هو أبو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم الخطابي البستي ولـد سنة ٣١٩ هـ، وتوفي سنة ٣٨٨ هـ، لـه : معالم السنن ــ في شرح سنن ابي داود، وبيـان إعجـاز القرآن، وغـريب الحديث، واصـلاح أغلاط المحدثين، وشرح البخاري ـ وغير ذلك .

انظر: طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٤٠٣ ، والإعلام للزركلي جـ ٢ ص ٣٠٤ .

(٢) انظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن . للـرماني . والخطابي، والجرجاني ص ٢٩ تحقيق محمد خلف الله أحمد ود . محمد زغلول سلام .

(٩) رأي الزركشي[١]:

يرى الزركشي في كتابه ـ البرهان في علوم القرآن ـ أن من بواعث معرفة الاعجاز اختلاف المقامات، وأن يذكر في كل موضع ما يلائمه، ويليق به من الألفاظ، وان كانت مترادفة، بحيث يؤدي ابدال حرف بآخر الى ذهاب ما على الكلام من طلاوة، وما فيه من حلاوة[٢].

كما يرى أن أحد أساليب القرآن الكريم وفنونه البليغة عطف أحد المترادفين على الآخر أو ما هو قريب منه في المعنى، وذلك بقصد التأكيد، نحو شرعه ومنهاج. في قوله تعالى: ﴿**لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا**﴾[٣]. والبث والحزن في قوله تعالى: ﴿**انما أشكو بثى وحزنى الى الله**﴾[٤]. وقوله ﴿**لا تبقى ولا تذر**﴾[٥]. وقوله: ﴿**لا ترى فيها عوجا ولا أمتا**﴾[٦] الى غير ذلك من الآيات[٧]. غير أنه مع ذلك لا يرى أنها تؤدي بمجموعها معنى واحدا فتوهم بذلك التكرار، فهذا الوهم يندفع بالاعتقاد بأن مجموع المترادفين يحصل بهما معنى لا يوجد بانفراد أحدهما. إذ التركيب يحدث معنى زائد لا

---

(١) هو الامام أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن بهادر بدر الدين الزركشي صنف الكثير من الكتب منها: البرهان في علوم القرآن، وتفسير القرآن العظيم ـ وصل فيه الى سورة مريم، والنكت على ابن الصلاح. وغيرها توفي سنة ٧٩٤ هـ.
انظر: طبقات المفسرين للداودي جـ ٢ ص ١٥٧ ـ ١٥٨.

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن بدر الدين الزركشي جـ ٢ ص ١١٨ ط ٢.

(٣) سورة المائدة آية ٤٨.

(٤) سورة يوسف آية ٨٦.

(٥) سورة المدثر آية ٢٨.

(٦) سورة طه آية ١٠٧.

(٧) انظر: البرهان في علوم القرآن. للزركشي جـ ٢ ص ٤٧٢.

يفهم بانفراد أحد اللفظين، فاذا كانت كثرة الحروف تفيد زيادة المعنى. فكذلك كثرة الألفاظ بل هي من باب أولى[1].

وهذا يعني أن الزركشي يمنع الترادف التام بين الألفاظ، وأن تعاطف المفردات دليل على تغاير معناها ولو بعض الشئ، بحيث يؤدي اجتماعهما الى زيادة في المعنى تزول بزوال هذا الاجتماع، وهذا جار على أن الأصل في المتعاطفين المغايرة، يؤيد هذا أنه يرى أن على المفسر مراعاة الاستعمالات لان المفردات في القرآن الكريم وزعت بحسب المقامات. فلا يقوم مرادفها فيما استعمل فيه مقام الآخر، وأن على المفسر القطع بعدم الترادف ما أمكن[2].

ويشاركه الرأي في هذا الزملكاني[3] في كتابه ــ البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن ــ يقول: إن هناك ألفاظا يتوهم أنها في معنى غيرها مع أنها متقاصرة عنها، وأنه ينبغي مراعاة مجاري الاستعمال والقطع بعدم الترادف ما أمكن[4].

وقد أورد الزركشي في البرهان عددا من الألفاظ التي يظن بها الترادف وليست منه ولهذا وزعت في القرآن الكريم بحيث لا يقوم بعضها مقام الآخر.

وهذه الألفاظ هي: الخوف والخشية، الشح والبخل، الغبطة والمنافسة، الحسد والحقد، السبيل والطريق، جاء وأتى، الخطف والتخطف، مد

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن. للزركشي جـ ٢ ص ٤٧٧.

(٢) المصدر السابق جـ ٤ ص ٧٨.

(٣) هو عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني، أبو المكارم، أديب من القضاة، ولى قضاء صرخد، ودرّس في بعلبك توفي بدمشق سنة ٦٥١ هـ.
انظر: الاعلام للزركلي جـ ٤ ص ٣٢٥.

(٤) البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن. كمال الدين الزملكاني. تحقيق د. خديجة الحديثي والدكتور. أحمد مطلوب. ط ١ ص ٩٠.

وأمـــد ، سقى وأسقى ، عمل وفعل ، القعـــود والجلـــوس ، التمام والكمال ، الاعطاء والايتاء[١] .

فقد بين ما بينهـا من فروق ، مستشهدا على ذلك ببعض الآيـات القرآنية . وعنه نقلها الامام السيوطي في الاتقان[٢] وفي معترك الاقران[٣] .

ومما تقدم يمكن أن نفهم رأيه في الترادف وانـه ان لم يكن يمنعه مطلقا فهو يضيق دائرته ، ويقلل من كثرته ، ويقطع بعدم وجوده ما أمكن ، خصوصا في القرآن الكريم .

(١٠) رأي السيوطي[٤]:

يرى السيوطي عطف أحد المترادفين على الآخـر، بقصد التأكيد ، وأن هذا جاء في القرآن . وجعل من ذلك قوله تعالى :

١ ـ إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله[٥] .

٢ ـ فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا[٦] .

---

(١) البرهان في علوم القرآن . للزركشي جـ ٤ ص ٧٨ ـ ٨٧ .

(٢) انظر: الاتقان. للسيوطي جـ ١ ص ١٩٤ .

(٣) انظر: معترك الاقران للسيوطي جـ ٣ ص ٦٠٢ ـ ٦٠٧ .

(٤) هو الامام المشهور: عبد الرحمن بن أبي بكـر السيوطي ، جلال الدين ، صاحب المصنفات الكثيرة والشهيرة له نحو ستمائة مصنف بين كتاب ورسالـة عاش يتيما . واعتزل الناس لما بلغ الاربعين سنة وانقطع للتأليف ، من كتبه الاتقـان في علوم القرآن ، وبغيـة الوعاة في طبقات اللغـويين والنحاة ، وطبقـات المفسرين ، وطبقات الحفـاظ ، ومعترك الاقـران ، وتفسير الجلالين ـ نصفـه من تأليفـه ، والأشباه والنظائر وغيرها كثير، تـرجم لنفسه في كتابه حسن المحاضرة ـ كـانت ولادته سنة ٨٤٩ هـ وتوفي سنـة ٩١١ هـ انظـر: الاعلام للزركلي جـــ ٤ ص ٧١ . وانظر مقدمـة محقق كتابـه : طبقات الحفاظ ، على محمد عمر. ص ١٠ .

(٥) سورة يوسف آية ٨٦ .

(٦) سورة آل عمران آية ١٤٦ .

٣ ـ لا تخاف دركا ولا تخشى[١] .

٤ ـ أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم[٢] .

٥ ـ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا[٣] .

٦ ـ لا تبقى ولا تذر[٤] .

الى غير ذلك من الآيات[٥] .

ومن هذا يظهر أنه يقول بالترادف كما يراه في القرآن ، لكنه في موضع آخر يرى أن هناك ألفاظا يظن أنها من المترادف . وليست منه ، ومثّل لذلك : بالخوف والخشية ، والشح والبخل ، والسبيل والطريق ، والقعود والجلوس ، وغيرها[٦] ومع انه فرق بين الخوف والخشية . وجعلها من الألفاظ التي يظن بها الترادف وليست منه . نجده جعلها ـ فيما سبق ـ من المترادفين المتعاطفين . بقصد التأكيد حيث مثل لهما بقوله تعالى ﴿**لا تخاف دركا ولا تخشى**﴾[٧] .

فهل يعني هذا أن الفرق بين الخوف والخشية انما هو في الغالب . وليس مطردا دائما وأن آية ـ لا تخاف دركا ولا تخشى[٧] ـ من المواضع التي تساوت فيها اللفظتان؟ السياق لا يدل على هذا حيث جعل الخوف والخشية ليستا من الألفاظ المترادفة . وان ظن بها ذلك .

---

(١) سورة طه آية ٧٧ .

(٢) سورة الزخرف آية ٨٠ .

(٣) سورة المائدة آية ٤٨ .

(٤) سورة المدثر آية ٢٨ .

(٥) انظر : معترك الأقران للسيوطي جـ ١ ص ٣٥٧ .

(٦) انظر : معترك الأقران للسيوطي جـ ٣ ص ٦٠٢ ـ ٦٠٧ . وكذلك الاتقان في علوم القرآن ، له ـ ايضا ـ جـ ١ ص ١٩٤ .

(٧) سورة طه آية ٧٧ .

ولعل مرجع هـذا الاختلاف ؛ ان السيـوطي هنا جامع لـلاقوال اكثـر منه دارسا لها . لهذا نجده ينقـل ما يشير الى القول بالترادف ، وكذلـك الى ما يدل على منعـه من غير أن يتضح رأيـه في ذلك . . ويبدو أنـه ينقل عن الـزركشي سواء الألفاظ التي قـال انها مترادفة . أو التي يظن بها أنها كذلك وليست من المترادف . بيـد أن رأي الـزركشي أوضح ، حيث يمنع الترادف مـا أمكن في القرآن الكريم[1] .

واذا كان التساؤل المتقـدم حول الخوف والخشية يرد على مـا أورده الزركشي الا أن عنوانـه للمسألة كان أشمل وأدق حيث جعل العنـوان : «عطف أحد المترادفين على الآخر أو ما هـو قريب منه في المعنى ، والقصد منـه التأكيد»[2] فجعل في العنوان ـــ ما هو قريب في المعنى من اللفظ الآخـر . مما يمكن حمل الخوف والخشية عليه .

وقـد نقل السيوطي أن عطف احـد المترادفين لا يعني اتحادهما في المعنى . وذلك بأن يعتقـد أن مجموع المترادفين يحصّل معنى لا يـوجد عنـد انفرادهما ، فإن التركيب يحدث معنى زائدا واذا كـانت كثـرة الحروف تفيـد زيـادة المعنى فكذلك كثرة الألفاظ[3] . وهذا هو رأي الزركشي ، وفيه ترجيح لميل السيوطي الى انكار الترادف في القرآن الكريم .

(١١) رأي الدكتورة/ عائشة عبد الرحمن = بنت الشاطئ[4] :

تأتي بنت الشـاطئ في طليعة العلماء المعـاصرين المهتمين باللغـة العربيـة وآدابها مع اهتمامها بصفة خاصة بـالإعجاز القرآني ، وتفسير القرآن الكريم .

---

(١) راجع رأي الزركشي ص ١٨٤ ـ ١٨٦ .

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي جـ ٢ ص ٤٧٢ .

(٣) انظر : معترك الأقران للسيوطي جـ ١ ص ٣٥٧ .

(٤) هي الدكتورة/ عائشة عبد الرحمن ، اشتهرت ببنت الشاطئ منذ عام ١٩٣٣ هـ حتى اليـوم =

تفسيرا بيانيا، يحاول الكشف عن سر اعجازه، وما تمتاز به مفردات القرآن الكريم من ميزة خاصة تنفرد بها عن غيرها من الألفاظ.

وترى بنت الشاطئ أن مسألة الترادف أصبحت قضية تلتمس حلاً وأن تقدم الدراسات اللغوية في هذا العصر قد جاوز بنا مرحلة المفاضلة الساذجة بين العربية وغيرها من اللغات، وان تقدم الدراسات اللغوية يوجهنا الى البحث في خصائص العربية منتفعين بتلك الدراسات(١).

ومجمل رأيها في قضية الترادف هو إنكار وجود الترادف في لغة القبيلة الواحدة، وأن ما جاء منه محمول على كونه من لغة قبيلتين.

وان ما يشغل الذهن في مسألة الترادف هو القول بتعدد الألفاظ للمعنى الواحد دون أن يرجع ذلك الى تعدد اللغات، أو أن يكون بسبب القرابة الصوتية(٢). وتطالب الدكتورة بنت الشاطئ بوجوب أن يكون للقرآن الكريم - وهو كتاب العربية الأكبر - القول الفصل في هذه القضية وحسم الخلاف فيها، وذلك بما يهدي اليه البيان القرآني من سر الكلمة حيث لا تقوم مقامها كلمة أخرى من الألفاظ المقول بترادفها وهذا ما يعني نفي الترادف.

= تعمل استاذة الدراسات القرآنية بدار الحديث، وكلية الشريعة. بجامعة القرويين بالمغرب العربي، ذات اهتمام بالدراسات الادبية، والدراسات القرآنية البيانية، شاركت في بعض المؤتمرات، وألقت العديد من المحاضرات. لها كتب ودراسات كثيرة، منها: التفسير البياني للقرآن الكريم، والاعجاز البياني للقرآن، ومسائل ابن الازرق، وأبو العلاء المعري، وأم النبي وبنات النبي، وتراثنا بين ماضي وحاضر، وعلوم الحديث لابن الصلاح توثيق وتحقيق. وغيرها.

انظر: شخصيات اسلامية معاصرة تأليف: ابراهيم البعثي جـ١ ص ٦١ - ١٠١.

(١) انظر: الاعجاز البياني للقرآن الكريم، ومسائل ابن الأزرق د. عائشة عبد الرحمن ص ١٩٤.

(٢) انظر: الإعجاز البياني للقرآن الكريم، ومسائل ابن الأزرق د. عائشة عبد الرحمن ص ١٩٤.

ورأي بنت الشاطئ في نفي الترادف في القرآن الكريم . يعتبر من أصرح، وأوضح الآراء في ذلك حيث اللفظ لا يقوم مقامه سواه، والحرف لا يؤدي معناه حرف آخر. بل الحركة والنبرة تأخذ مكانها الخاص في النظم المعجز.

وهي حين تقول بدلالة خاصة متميزة للكلمة القرآنية، لا يعني ذلك بحال تخطئة سائر الدلالات المعجمية، كما أن تفضيل القرآن لصيغة بعينها وايثاره لها، لا يعني تخطئة سواها من الصيغ الأخرى في العربية الفصحى، بل ذلك يعني تفرد القرآن الكريم بمعجمه الخاص وبيانه المعجز، ويكفي أن يقال ان هذه الصيغة أو الدلالة قرآنية، ثم لا يعترض بعد ذلك بأن العربية تعرف صيغا ودلالات أخرى للكلمة(١).

وقد خرجت بنت الشاطئ من دراستها لمسائل ابن الازرق، بأن الكلمة القرآنية مهما روعيت الدقة في تفسيرها تبقى فوق ذلك، منفردة بجلالها وجمالها واعجازها.

وأنه لا يغض من قدر المفسرين، سواء أكانوا من الصحابة أو التابعين، أو من الأئمة المتأخرين ألا تكون الكلمة القرآنية مرادفة لما يذكرونه في تفسيرها، بل يفرض الاعجاز البياني للقرآن الكريم أن يعيى أيّ مفسر عن الاتيان بمثل الكلمة القرآنية في مقامها؛ اذ أن ما يأتي به انما هو من قبيل الشرح والتقريب ولا يعني ذلك بحال أنها والكلمة القرآنية سواء.

بل انه لا توجد كلمة قرآنية بديلة لأخرى من كلماته في غير موضعها منه، وسياقها فيه(٢).

---

(١) انظر: التفسير البياني للقرآن الكريم ـ بنت الشاطئ ـ جـ ٢ ص ٨.

(٢) انظر: الاعجاز البياني للقرآن الكريم ص ٥٠٨.

وتقـول بنت الشاطئ بأن هـذه النتيجة التي انتهت اليهـا كانت حصيلـة سنين طـويلـة من الـدراسـة والبحث والتتبع وفق منهج صـارم. يقـوم على التناول الموضـوعي فيتفرغ لـدراسة الموضوع الـواحد فيجمع كل مـا في القرآن الكريم منه ويدور مع الكلمة أو الموضوع القرآني حيثما دار في القرآن الكريم، ويتتبع وجوه استعماله وكيفية تناول القرآن الكريم له(١).

واذا كان لبنت الشاطئ، واستاذها ــ أمين الخولي ـ فضل ابراز هذا النهج والتوسع في تطبيقه. فـان للإمام ابن تيمية فضل السبق فيـه. اذ كان منهجه في تناوله للموضوعات في مختلف كتبه نحو كلامه على معنى لفظ ـ العبد ـ في القرآن الكريم(٢). ومعنى التولي(٣) وما يقصد بالسلطان في القرآن(٤) وبيان ما يـراد بالاختـلاف في القـرآن(٥). ولفظ السنـة في القـرآن(٦). وكـذا لفظ الاعتبار(٧). وتفسير الازواج حيثما وردت في القرآن(٨) وغير ذلك.

على أن هنـاك من تخوف من هـذا المنهج في التفسير، لانـه يغفل جـوانب القرآن المتعـددة من أسرار الإعجاز في معانيـه وتشريعاته، وأحكامـه ومبادئه

---

(١) انظر: تفاصيل هـذا المنهج في كتاب: مناهج تجديد. للاستاذ ــ امين الخولي ـ وكذا ملخصه في: التفسير البياني: لبنت الشاطئ جـ١ ص ١٠.

(٢) انظر الفتاوى. لابن تيمية جـ١ ص ٤٠ ـ ٤٥.

(٣) المصدر السابق جـ٧ ص ١٤٢، ١٧٩ ـ ١٨٥.

(٤) المصدر السابق جـ١٣ ص ١٢.

(٥) المصدر السابق جـ١٣ ص ١٩.

(٦) المصدر السابق جـ١٣ ص ١٩ ــ ٢٤. وجامع الرسائل ـ لابن تيمية. المجمـوعة الاولى ـ تحقيق محمد رشاد سالم. وفيها رسالة في لفظ السنة في القرآن ورسالة في القنوت.

(٧) انظر: الفتاوى لابن تيمية جـ١٣ ص ٢٠.

(٨) انظر: كتاب الايمان ص ٦٠.

للحياة الانسانية الفاضلة، ويتخذ من النص القرآني مادة للدراسة الادبية كالنص الشعري أو النثري لأن دراسة النصوص الأدبية تعتمد على الذوق اللغوي الذي يتفاوت من شخص لآخر. بتفاوت ثقافته[1]. غير أنه لا خوف من هذا النهج لانه ليس بديلا لهذه الجوانب والاهتمامات، وانما هو مكمل لها، ويسير بجنبها.

ولان الاهتمام به جاء للشعور بالتقصير في تناوله، والاهتمام به، ثم ان الدراسة البيانية والاهتمام بادراك الفروق اللغوية. في القرآن الكريم يعين على بلوغ المقاصد المختلفة من دراسة القرآن الكريم من استخراج الأحكام الفقهية، أو معرفة هدى القرآن الكريم في القضايا الاجتماعية، او الاستدلال به في القضايا اللغوية والبلاغية، الى غير ذلك. كل هذا يحتاج الى فقه أسلوبه الفذ والاهتداء الى أسراره البيانية. لما يتيحه ذلك من الادراك الوافي والدقيق لمعاني القرآن الكريم ودلالاته.

ومن الحق الاعتراف بالقصور عن لمح فروق الدلالة في بعض الألفاظ القرآنية التي تبدو مترادفة. وهذا ما فعلته بنت الشاطئ [2]متمثلة بكلمة ابن الاعرابي: «كل حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد، في كل منهما معنى ليس في صاحبه، ربما عرفناه فأخبرنا به، وربما غمض علينا فلم نلزم العرب جهله»[3].

---

(١) انظر: هامش رقم (١) ص ٣٧٥ من كتاب: مباحث في علوم القرآن. مناع القطان ط ٤.

(٢) انظر: الاعجاز البياني ص ٢٢٠.

(٣) المزهر للسيوطي جـ ١ ص ٣٩٩.

الفصل الثالث

دراسة أمثلة من القرآن الكريم ظاهرها الترادف

الأمثلة:

١ ـ الحمد والشكر.
٢ ـ الريب والشك.
٣ ـ الحلف والقسم.
٤ ـ الشرعة والمنهاج.
٥ ـ الخضوع والخشوع.
٦ ـ الشح والبخل.
٧ ـ الكمال والتمام.
٨ ـ السبيل والطريق.
٩ ـ الخوف والخشية.
١٠ ـ اليأس والقنوط.
١١ ـ التلاوة والقراءة.
١٢ ـ هرب، أبق، فرّ.
١٣ ـ القعود والجلوس.
١٤ ـ نعم وبلى.

في هـذا الفصل نحتكم الى القـرآن الكريم للـوصـول الى الحقيقة في هـذه القضية ويتحقق ذلك بـاستقراء القرآن الكريم في بيانـه، واستعمالاته لبعض الألفاظ التي تبدو مترادفة في نظر بعض الناس، لنرى كيف يستعملها القرآن الكـريم، وفي أي سياق يضعهـا، وهل يستعملهـا في بيـانه على أنها ألفـاظ مترادفة تقوم كل لفظة من هذه الألفاظ مقام الأخرى في تأدية كامل المعنى؟

أم أنه يستعمل اللفظ بدلالة معينة لا يمكن أن يؤديها لفظ آخر غيره؟

وهذا الاحتكام الى القرآن الكريم نابع من أنه كتاب العربية الاكبر، ومَثَلُها الفذ الفريد ومن الحق بل من الواجب الا يـؤخذ في هذه القضية برأي الا بعد أن تعـرض عليه. كيف لا وهـو تاج العـربية ومعجـزتها البيانيـة! وكيف لا والحكم في هذه القضيـة يؤثر في تفسير آيـاته وفهـم نصوصـه!. ثم إن القرآن الكـريم نص مقـدّس مـوثّق من أصيل الفصحى وصحيحهـا، لا تـدخلـه الضرورة، ولا يروى بالمعنى، فلمفـرداته قدسيتها مما ينبغي معه تقـدير إيثاره للفظة ما في موضع على أخرى في موضع آخر.

وتقديرا لما تقدم وتطبيقا لـه نأتي في هذا الفصل على دراسة بعض الأمثلة، سعيا وراء محاولة إدراك الفروق بين الألفاظ، وتعـرّفا على أسرار البيان القرآني الكريم في ذلك.

ومن مثل هذه الأمثلة تتضح بجلاء عـلاقة القرآن الكريم بهذه القضية بل بـالـدراســات اللغـويـة التي لم تقم في الأصل الا لخدمـة القــرآن الكـريم وللاستعانة بها في إدراك بيانه، وفهم آياته، والوقوف على سر إعجـازه.

(١) الحمد والشكر

الحمد والشكر، لفظان متقاربان في المعنى، أدى تقاربهما الى اعتقاد بعض العلماء بترادفهما، ترادفا تاما، مع ما بينهما من فرق.

فذهب أبو جعفر الطبري، وأبو العباس المبرد؛ الى أن الحمد والشكر بمعنى واحد وهذا مذهب جعفر الصادق، وابن عطاء من الصوفية[١]، وغيرهم. واستدل الطبري على أنهما بمعنى واحد بصحة قول القائل: الحمد لله شكرا. وأنه لا تمانع بين أهل المعرفة بلغات العرب من الحكم بصحة ذلك؛ لان الحمد ينطق به في موضع الشكر، والشكر يوضع موضع الحمد، ولو لم يصح هذا التصرف لما جاز أن يقال: الحمد لله شكرا. لانه حينئذ يكون من الخطأ أن يصدّر من الحمد غير معناه وغير لفظه[٢].

وقد رجح الشيخ محمود شاكر رأي الطبري وقوّى حجته بقوله: والذي قاله الطبري أقوى حجة، واعرق عربية من الذين ناقضوه[٣].

وقد تعقب فريق من العلماء، ما ذهب اليه الطبري من أن معناهما واحد كابن عطية[٤]، والقرطبي[٥]، وابن كثير[٦]، وأبو هلال العسكري[٧]. وان

---

(١) انظر: تفسير الطبري جـ ١ ص ١٣٨، تفسير القرطبي جـ ١ ص ١٣٣، تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٢٢.

(٢) انظر: تفسير الطبري جـ ١ ص ١٣٨.

(٣) المصدر السابق ـ الحاشية ـ.

(٤) انظر: تفسير ابن عطية «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» جـ ١ ص ١٠٢. تحقيق وتعليق أحمد صادق الملاح.

(٥) انظر: تفسير القرطبي جـ ١ ص ١٣٣.

(٦) انظر: تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٢٢.

(٧) انظر: الفروق في اللغة لابي هلال العسكري ص ٣٩ ـ ٤٠.

مـا ذهب اليه غير مـرضي. وما استـدل به الطبري على أنهما بمعنى واحـد؛ بصحة قـولك: الحمد لله شكرا، هـو في الحقيقة دليل على خـلاف ما ذهب إليه؛ لأن قولك شكرا إنما خصصت به الحمد، وأنه على نعمة من النعم[1].

وهو بهذا لا يخرج عن كونه من باب قتلته صبرا، وأتيته سعيا، والقتل غير الصبر، والإتيان غير السعي.

فالصبر ضرب من ضروب القتل، وكـذا السعي، نوع من أنـواع الإتيان. والشكر حمد ظاهر. واعتراف واضح بجلال المحمود وانعامه.

ولهذا اعتبر ـ الحمد لله شكرا ـ أبلغ من قـولك ـ الحمد لله حمدا ـ لان الثاني تـوكيد، والأول فيـه زيادة معنى. كأنك قلت: أحمده في حـال إظهار نعمـه عليّ[2].

ولعله مـن هنا جاء الجمـع بين الحمد والشكر في أكثـر من حديـث وأثر، وهـذا يعتبر من الأدلـة على وجـود الفـرق بينهما، جـريـا على أن الاصل في العطف المغايرة، والا لما كان للجمع بينهما معنى، ولا فائدة.

فعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبـي ﷺ قال: عرض على ربي عز وجل ليجعل لي بطحاء مكة ذهبـا فقلت لا يا رب ولكن أشبع يوما وأجـوع يوما أو نحـو ذلـك. فـاذا جعت تضرعـت اليك وذكـرتـك واذا شبعت حمدتك وشكرتك.

وفي رواية الترمذي: . . واذا شبعت شكرتك وحمدتك[3].

وفي الحديث الآخـر: . . أن الله عـز وجل يقول يـا عيسى إني بـاعث من

---

(١) تفسير ابن عطية جـ ١ ص ١٠٢. وانظر تفسير القرطبي جـ ١ ص ١٣٣.

(٢) انظر: الفروق في اللغة لابي هلال العسكري ص ٣٩، ٤٠.

(٣) أخـرجه الترمـذي في سننه ــ كتاب الـزهد، بـاب ما جـاء في الكفاف والصبر عليـه الحديث رقم (٢٣٤٨) جـ ٧ ص ٩٤ ـ ٩٥ ط ١. وأخرجه الإمـام أحمـد في مسنده جـ ٥ ص ٢٥٤.

بعـدك أمة إن أصـابهم ما يحبـون حمدوا وشكـروا، وإن أصابهم مـا يكرهـون احتسبوا وصبروا.[1]

وفي الحديث الآخر: . . فكبرت الله وحمدت وشكرت[2].

وعن عمر بن سعد رضي الله عنه عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ عجبت من قضاء الله عـز وجل للمؤمن ان أصابـه خير حمد ربه وشكر، وان اصـابته مصيبة حمد ربـه وصبر، المؤمن يؤجر في كل شئ حتى في اللقمة يـرفعها الى في امرأته[3].

وقـد فسر الامـام الطبري: الحمـد لله: بأنـه الشكـر خـالصـا لله جل ثناؤه. . .[4]

وأن الحمد ثناء أثنى بـه على نفسه تعالى، وفي ضمنه أمر عبـاده أن يثنوا به عليه فكأنه قال: قولوا: الحمد لله[5].

وحكي عن بعض الناس: أن قول القـائل: الحمد لله ثناء على الله بأسمائه وصفاته الحسنى. وقوله: الشكر لله ثناء عليه بنعمه وأياديه[6]. وهذا ما أيده ابن عطية وانه أصح معنى من أنهما بمعنى واحد[7].

وقد جاء القرآن الكريم بذكر الحمد بتصاريفه المختلفة؛ ثمان وستين مرة. وورد الشكر بمختلف صوره خمسا وسبعين مرة[8].

---

(١) أخرجه الامام أحمد في مسنده جـ ٦ ص ٤٥٠.
(٢) أخرجه الامام أحمد في المسند جـ ١ ص ٣١١.
(٣) أخرجه الامام أحمد في المسند جـ ١ ص ١٧٣، وانظر: جـ ١ ص ١٧٧، ١٨٢.
(٤) انظر: تفسير الطبري جـ ١ ص ١٣٥.
(٥) المصدر السابق جـ ١ ص ١٣٩.
(٦) المصدر السابق جـ ١ ص ١٣٧.
(٧) انظر: تفسير ابن عطية جـ ١ ص ١٠٢، وانظر القرطبي جـ ١ ص ١٣٣.
(٨) راجع الاحصاء في: ١ ـ معجم ألفاظ القرآن الكريم/ وضع مجمع اللغة جـ ١ ص ٢٩٧، ٦٤٣.
٢ ـ معجم الألفاظ والاعلام القرآنية/ محمد اسماعيل إبراهيم جـ ١ ص١٤٥، ٣٠٣.

والحمد: هو الثناء الكامل بالجميل بقصد التعظيم والتبجيل للمحمود، وسواء أكان ذلك ابتداءا، أم مقابل نعمة ـ والألف واللام فيه لاستغراق جنس المحامد[1]. والشكر: عبارة عن معروف يقابل النعمة، سواء أكان بالقول أم الفعل أم الاعتقاد[2].

وقيل: الثنا على المحسن بذكر إحسانه[3].

ويؤيد هذا حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: من أعطى عطاء فليجز به إن وجد، وإن لم يجد فليثن به، فإن من أثنى به فقد شكره، ومن كتمه فقد كفره، ومن تحلى بما لم يعط، كان كلابس ثوبى زور[4].

وفي الحديث الآخر: قال النبي ﷺ: من أُبْلَى فذكره فقد شكره، وان كتمه فقد كفره[5].

---

(١) انظر في معنى التعريف: ١ ـ التعريفات للجرجاني ص ٤٦.
٢ ـ فروق اللغات للجزائري ص ٨٩.
٣ ـ شروح التلخيص للتفتازاني، والمغربي، وبهاء الدين السبكي جـ ١ ص ٣٣ ط ٢.
٤ ـ مفردات الراغب الاصفهاني ص ١٨٦.
٥ ـ تفسير الطبري جـ ١ ص ١٣٨، والقرطبي جـ ١ ص ١٣٣، وابن عطية جـ ١ ص ١٠١.
٦ ـ مجمع البحرين للطريحي جـ ٣ ص ٣٩.

(٢) راجع: ١ ـ التعريفات للجرجاني ص ٦٨.
٢ ـ شروح التلخيص ـ شرح عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ـ لبهاء الدين السبكي جـ ١ ص ٣٣ ط ٢.

(٣) انظر: التعريفات للجرجاني ص ٦٨.

(٤) اخرجه ابن الأثير في جامع الأصول في أحاديث الرسول جـ ٢ ص ٥٥٨.

(٥) جامع الأصول جـ ٢ ص ٥٥٨. والإبلاء: الإنعام.

وعرف الراغب الأصفهاني الشكر: بأنه تصور النعمة واظهارها[١] ويؤيد هذا أصل مادة الكلمة واشتقاقها في اللغة، فقد قيل إن الشكر مقلوب عن الكشر، وهو الكشف. وضده الكفر. وهو نسيان النعمة وسترها[٢].

وفي أساس البلاغة للزمخشري: كاشرته وشاكرته: أريته أني شاكر له[٣].

والشكر في اللغة مأخوذ من شَكَرَت الابل تشكر: اذا أصابت مرعى فسمنت عليه. وظهر عليها أثر ذلك.

ومنه يقال: دابة شكور: مظهرة بسمنها اسداء صاحبها إليها. حيث يكفيها قليل العلف وتسمن عليه[٤].

فمدار الشكر إذاً على الظهور مع القناعة بالقليل، والاكتفاء باليسير.

وللمزيد في جلاء الفرق بين الحمد والشكر النظر الى ما يأتي:

أولا: اعتبار كل منهما بضده، فبضدها تتميز الاشياء. وتتضح الفروق فالحمد ضده الذم، وضد الشكر الكفر[٥].

حجة هذا. مقابلة الشكر بالكفر في اكثر من آية.

قال تعالى ﴿. . **قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر. ومن شكر فإنما يشكر لنفسه. ومن كفر فإن ربي غني كريم**﴾[٦].

---

(١) مفردات الراغب الاصفهاني ص ٣٨٩.

(٢) مفردات الراغب الاصفهاني ص ٣٨٩.

(٣) اساس البلاغة للزمخشري ص ٥٠٠.

(٤) انظر: ١ ـ القاموس المحيط جـ ٢ ص ٦٣.
٢ ـ اساس البلاغة ص ٥٠٠.
٣ ـ مفردات الراغب الأصفهاني ص ٣٨٩.

(٥) انظر: ثلاث رسائل في اعجاز القرآن/ للخطابي، والرماني، والجرجاني ص ٣٠ ط ٣.

(٦) سورة النمل آية ٤٠.

وقال سبحانه ﴿واذ تأذّن ربكم لئن شكرتم لأزيدنّكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد﴾[1].

وقال في الأية الأخرى ﴿فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون[2]﴾ وكما جاء في الأحاديث المتقدمة آنفا (فان من أثنى به فقد شكره، ومن كتمه فقد كفره) وحديث (من أُبْلِيَ فذكره فقد شكره، ومن كتمه فقد كفره).

ثانيا: أن الحمد يكون على المحبوب، والمكروه. ولا يحمد على المكروه سوى الله. فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا أتاه الامر يسره قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وإذا أتاه الأمر يكرهه قال الحمد لله على كل حال[3].

وفي الحديث الآخر قال: قال رسول الله ﷺ عجبت للمؤمن إذا أصابه خير حمد الله وشكر. وإن أصابته مصيبة حمد ربه وصبر فالمؤمن يؤجر في كل أمره حتى يؤجر في اللقمة يرفعها إلى في امرأته[4].

بخلاف الشكر إذ لا يكون إلا على المحبوب؛ لأنه مقابل المعروف والنعم. وهي أشياء محبوبة مرغوبة.

ثالثا: إن الحمد أعم من أن يكون مقابل نعمة فقط. بل يكون الحمد ابتداء بمعنى الثناء، فانت تقول حمدت فلانا إذا أثنيت عليه في أخلاقه. وخصاله، ومذاهبه وصفاته، وإن لم يسبق إليك منه معروف.

---

(١) سورة ابراهيم آية ٧.

(٢) سورة البقرة آية ١٥٢.

(٣) اخرجه الحاكم في مستدركه وصححه جـ ١ ص ٤٩٩.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده جـ ١ ص ١٧٣ وانظر: جـ ١ ص ١٧٧، ١٨٢.

أما الشكر فـلا يكون الا مقابل نعمة، ومعـروف، فهو يجري مجرى قضاء الدين، اذ هو رد للجميل، واعتراف به، ونشر له، ولهذا قيل الشكر على ما توجبه النعمة والحمد على ما توجبه الحكمة[1] فالحمد أعم من الشكر وأمدح.

وقد جاءت مقابلة النعم بالشكر في أكثر من آية.

قال تعالى: ﴿. . **وقـال رب أوزعني أن أشكـــر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والـــدي وأن أعمل صـــالحا تـرضـــاه، وادخلني بـــرحمتك في عبـــادك الصالحين**﴾[2].

وقال تعالى: ﴿**قـال رب أوزعني أن أشكـر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والـدي وأن أعمل صالحا تـرضـاه وأصلح لي في ذريتي اني تبت اليك واني من المسلمين**﴾[3].

وقال في سورة لقمان ﴿**ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد**﴾[4] واكرم بالحكمة من نعمه.

ونبه سبحانه على كثـرة افضاله لعباده، وقلة شاكـريه منهم بقوله ﴿**ان الله لذو فضل على الناس، ولكن أكثرهم لا يشكرون**﴾[5].

وقال عن إبراهيم ﴿**شاكرا لأنعمـه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم**﴾[6].

والآيات في هذا المعنى كثيرة جدا.

---

(١) انظر: ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ص ٣٠، الفروق في اللغة لابي هلال العسكري ص ٤٠، زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي جـ ١ ص ١١.

(٢) سورة النمل آية ١٩.

(٣) سورة الاحقاف آية ١٥.

(٤) سورة لقمان آية ١٢.

(٥) سورة يونس آية ٦٠.

(٦) سورة النحل آية ١٢١.

ومن أدلة الفرق بينهما ما جاء من تعاطفهما في النصوص المتقدم ذكرها[1].

أيهما أعم:

قيل إن الشكر أعم من الحمد؛ لأنه باللسان، والجوارح والقلب. والحمد انما يكون باللسان خاصة[2].

ولهذا كان الشكر ثلاثة أضرب: شكر القلب وهو: تصور النعمة. وشكر اللسان، وهو: الثناء على المنعم. وشكر سائر الجوارح، وهو: مكافأة النعمة بقدر استحقاقه[3].

قال تعالى: ﴿اعملوا آل داود شكرا﴾[4] وفي الحديث: كان النبي - ﷺ - ليقوم او ليصلي ــ حتى ترم قدماه ــ أو ساقاه ــ فيقال له، فيقول أفلا أكون عبدا شكورا[5]. فالشكر إذًا يكون بالفعل[6].

وقيل الحمد أعم من الشكر لان فيه معناه، ومعنى المدح، ولأن الحمد يوضع موضع الشكر، ولا يوضع الشكر موضع الحمد، إذ الشكر مقابل نعمة. بخلاف الحمد فهو أعم من أن يكون كذلك[7].

---

(١) انظر: ص٢١٦.

(٢) انظر: تفسير ابن عطية جـ١ ص ١٠١ ـ ١٠٢، والقرطبي جـ١ ص ١٣٤.

(٣) مفردات الراغب الاصفهاني ص ٣٨٩.

(٤) سورة سبأ آية ١٣.

(٥) أخرجه البخاري، انظر: فتح الباري جـ٣ ص ١٤، جـ٨ ص ٥٨٤، جـ١١ ص ٣٠٣.

(٦) انظر: مقدمة تفسير الراغب الأصفهاني. معها جزء من تفسيره ص ٦٦ ــ تحقيق أحمد حسن فرحات، طبعت أخيراً.

(٧) انظر: تفسير ابن عطية جـ١ ص ١٠١ ـ ١٠٢، والقرطبي جـ١ ص ١٣٤ وأدب الكاتب لابن قتيبة ص ٣١ ط ٣.

يقول الراغب الأصفهاني : الحمد : هو الثناء بالفضيلة . والشكر مقابلة النعمة قولا وعملا ، ولما كانت النعمة لا تخرج من كونها فضيلة صار الحمد منطويا على معنى الشكر فكل شكر حمد . وليس كل حمد شكرا[1] ويقول مكي بن أبي طالب . الحمد أعم من الشكر وأمدح [2] .

والتحقيق أن الحمد أعم من جهة المتعلق ، وأخص من جهة المورد ، فهو لا يتعلق بمقابلة نعمة فقط ، بل يكون أعم من ذلك . فأنت تحمد الإنسان على صفاته الجميلة ، وعلى معروفة ، ولا تشكره الا على معروفة دون صفاته . فتقول : حمدت الرجل اذا أثنيت عليه بكرم أو حسب ، أو شجاعة ، وأشباه ذلك .

بخلاف الشكر ، فهو أعم من جهة أنواعه وموارده ، وأخص من جهة متعلقاته فالشكر يكون بالقلب خضوعا واستكانة ، وباللسان ثناء واعترافا ، وبالجوارح طاعة وانقيادا .

ومتعلقه النعم دون الأوصاف الذاتية . فلا يقال : شكرت له على شجاعته وبهذا يظهر أن بين الحمد والشكر عموما وخصوصا[3] ، فكل شكر حمد ، وليس كل حمد شكرا . كما أن كل حمد مدح ، وليس كل مدح حمدا[4] .

---

(١) مقدمة تفسير الراغب الأصفهاني ــ ومعها جزء من تفسيره ص ٦٦ تحقيق الاستاذ أحمد حسن فرحات .

(٢) انظر تفسير مكي بن أبي طالب جـ ١ ص ١٥ . تحقيق الأستاذ أحمد حسن فرحات .

(٣) انظر : فروق اللغات لنور الدين الجزائري ص ٨٩ ، التحفة النظامية في الفروق الاصطلاحية/ على اكبر محمود النجفي ص ٦٤ ـ ٦٥ ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز . للفيروز ابادي جـ ٣ ص ٣٤٠ ، والنهاية في غريب الحديث والأثر . لابن الاثير جـ ٢ ص ٤٩٣ ـ ٤٩٤ ، وأدب الكاتب لابن قتيبة ص ٣١ ط ٣ .

(٤) بصائر ذوي التمييز جـ ٢ ص ٤٩٩ .

وكل ما يتعلق بـه الشكر يتعلق به الحمد من غير عكس، وكل مـا يقع به الحمـد يقع بـه الشكـر من غير عكس. اذ الشكـر يقع بـالجوارح. والحمـد باللسان[1]. وهذه الاشياء من أهم الفروق بينهما وأوضحها.

منزلة الشكر:

للشكر منـزلة فوق منـزلة الرضـا، فهو رضـا وزيادة، وهو يعني القنـاعة والرضا بأقل فضل، وأصغر نعمة، مع تصور ذلك واظهاره، والتحدث بهذه النعم وعدم سترها وكفرها.

والشكر قيـد النعم. فقـد كان عمر بـن عبد العزيـز يقول: قيـدوا النعم بشكر الله[2]. وهـو سبب للمزيـد من الفضل، فقـد قضى الله أن لا ينقطع المزيد مـن فضله حتى ينقطع الشكـر من خلقه. مصـداق ذلك قولـه تعالى **﴿واذ تأذّن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ـ ولئن كفرتم ان عذابي لشديد﴾**[3]، فإسبـاغ النعم مع منع الشكر، انما هـو استدراج من الله سبحـانه قـال تعالى **﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾**[4]، وتوفيـة شكر الله صعب يشير الى ذلك قوله تعالى **﴿وقليل من عبادي الشكور﴾**[5].

وقـال **﴿وهـو الـذي أنشـأ لكم السمع والأبصـار والأفئـدة قليـلا مـا تشكرون﴾**[6] ولهذا لم يثن الله بـالشكـر من أوليـائه إلا على اثنين[7] فقال في

---

(١) بصائر ذوي التمييز جـ٣ ص ٣٤٠.

(٢) انظر: كتاب الشكر. لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي بن أبي الدنيا ص ٨، بصائر ذوي التمييز جـ٣ ص ٣٣٧.

(٣) سورة ابراهيم آية ٧.

(٤) سورة الاعراف آية ١٨٢.

(٥) سورة سبأ آية ١٣.

(٦) سورة المؤمنون آية ٧٨.

(٧) مفردات الراغب الأصفهاني ص ٣٨٩.

وصف إبراهيم ﴿**شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم**﴾[1] وقال في نوح عليه السلام ﴿**ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا**﴾[2]. بينما أكثر الناس لا يشكرون نعم الله عليهم، بل يكفرونها. قال تعالى ﴿**إن الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون**﴾[3] وقال سبحانه ﴿**ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون**﴾[4] وقال سبحانه ﴿**ولا تجد أكثرهم شاكرين**﴾[5].

«الحمد لله» كلمة كل شاكر:

الحمد لله، لفظة أثنى الله سبحانه بها على نفسه، وافتتح بها كتابه، وزكى بها ذاته. وهي كما يدل على ذلك القرآن الكريم في أكثر من موضع؛ كلمة كل شاكر فقد قال الله لنوح عليه السلام وقد كان عبدا شكورا: ﴿**فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين**﴾[6].

وقال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿**الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق**﴾[7] وفي قصة داود وسليمان ﴿**وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين**﴾[8] وهي مقولة أهل الجنة ﴿**وقالوا الحمد**

---

(١) سورة النحل آية ١٢١.

(٢) سورة الاسراء آية ٣.

(٣) سورة البقرة آية ٢٤٣. واللفظ في سورة غافر آية ٦١، وانظر سورة يوسف آية ٣٨.

(٤) سورة يونس آية ٦٠. واللفظ في سورة النمل آية ٧٣.

(٥) سورة الأعراف آية ١٧.

(٦) سورة المؤمنون آية ٢٨.

(٧) سورة ابراهيم آية ٣٩.

(٨) سورة النمل آية ١٥،

لله الذي أذهب عنّا الحَزَن﴾[1] وهي آخر دعواهم **﴿وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾**[2].

والآيات في هذا كثيرة، كلها تشير الى أن هذه اللفظة هي كلمة كل شاكر. كما روي عن ابن عباس أنه قال: الحمد لله كلمة كل شاكر[3].

ولهذا كان الحمد رأس الشكر.

---

(١) سورة فاطر آية ٣٤.

(٢) سورة يونس آية ١٠.

(٣) انظر: تفسير القرطبي جـ١ ص ١٣٤ ـ ١٣٥، جامع الرسائل لابن تيمية تحقيق محمد رشاد سالم ص ١٠٣ وما بعدها ـ رسالة في تحقيق الشكر ـ

(٢) الريب والشك

يفسر الريب في القرآن بالشك، حتى قال الزركشي في البرهان: كل شيئ في القرآن من ـ ريب ـ فهو شك، غير حرف واحد، وهو قوله تعالى ﴿**أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون**﴾[١] فانه يعني حوادث الدهر[٢].

وقد جاء تفسير الريب بالشك عن كثير من السلف فروي عن مجاهد، وعطاء والسدي، وعن قتادة، والربيع بن أنس[٣]، ونافع مولى ابن عمر. وأبي العالية وغيرهم. يقول ابن أبي حاتم: لا اعلم في هذا خلافا[٤]. وهو قول ابن عباس واستشهد بمعرفة العرب لذلك بقول ابن الزبعري:

ليس في الحق يا أمامة ريب انما الريب ما يقول الكذوب[٥]

وقد جاء ذكر الريب في القرآن الكريم ستا وثلاثين مرة ـ ٣٦ ـ بتصاريف مختلفة لا تخرج عن التصاريف التالية:

١ ـ ريب: كقوله تعالى ﴿**ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين**﴾[٦] وعلى هذا النحو جاء سبع عشرة مرة[٧].

---

(١) سورة الطور آية ٣٠.

(٢) البرهان في علوم القرآن، للزركشي جـ ١ ص ١٠٧.

(٣) انظر: تفسير ابن جرير الطبري جـ ١ ص ٧٥.

(٤) انظر: تفسير الشوكاني ـ فتح القدير، جـ ١ ص ٣٣، وانظر: تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٣٩.

(٥) انظر: مسائل ابن الازرق؛ في الاتقان للسيوطي جـ ١ ص ١٣٣، والاعجاز البياني للقرآن، ومسائل ابن الازرق، د. عائشة عبد الرحمن ص ٤٩٥.

(٦) سورة البقرة آية ٢.

(٧) جاء في البقرة/ ٢٣، آل عمران/ ٩، ٢٥، والنساء/ ٨٧، والانعام/ ١٢، ويونس/ ٣٧، والاسراء/ ٩٩، والكهف/ ٢١، والحج/ ٥، ٧، والسجدة/ ٢، وغافر/ ٥٩، والشورى/ ٧، والجاثية/ ٢٦، ٣٢، والطور/ ٣٠، اضافة الى البقرة/ ٢.

٢ ـ ريبهم : جاء مرة واحدة في قوله تعالى ﴿**وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون**﴾[١].

٣ ـ ريبة : جاءت مرة واحدة في قوله ﴿**لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم**﴾[٢]. أي سبب شك ونفاق.

٤ ـ مريب : قال تعالى ﴿**واننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب**﴾[٣] أي موقع في قلق النفس واضطرابها. وقد جاء بمثل هذا سبع مرات[٤].

٥ ـ ارتاب : قال تعالى ﴿**إذاً لا رتاب المبطلون**﴾[٥] جاء مرة واحدة.

٦ ـ ارتابت : جاء مرة واحدة في قوله تعالى ﴿**وارتابت قلوبهم**﴾[٦].

٧ ـ ارتابوا : في قوله تعالى ﴿**أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا**﴾[٧] وذلك مرة واحدة.

٨ ـ ارتبتم : جاء ثلاث مرات، كما في قوله تعالى ﴿**فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى**﴾[٨].

٩ ـ ترتابوا : في قوله تعالى ﴿**وأدنى ألا ترتابوا**﴾[٩].

١٠ ـ يرتاب : في قوله تعالى ﴿**ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون**﴾[١٠].

---

(١) سورة التوبة آية ٤٥.

(٢) سورة التوبة آية ١١٠.

(٣) سورة هود آية ٦٢.

(٤) جاء في سورة هود آية ١١٠، وابراهيم/ ٩، سبأ/ ٥٤، وفصلت/ ٤٥، والشورى/ ١٤، ق/ ٢٥. اضافة الى هود/ ٦٢.

(٥) سورة العنكبوت آية ٤٨.

(٦) سورة التوبة آية ٤٥.

(٧) سورة النور آية ٥٠.

(٨) سورة المائدة آية ١٠٦. اضافة الى الحديد/ ٢٤، والطلاق/ ٤.

(٩) سورة البقرة آية ٢٨٢.

(١٠) سورة المدثر آية ٣١.

١١ ـ يرتابوا : في قوله تعالى ﴿انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾[١].

١٢ ـ مرتاب : في قوله تعالى ﴿كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب﴾[٢].

فهذه اثنا عشر تصريفا ـ للريب ـ جاءت في ست وثلاثين آية .

وتفسير الريب بالشك صحيح لكنه لا يلزم منه اعتقاد ترادفهما ترادفا تاما ، لأن ذلك التفسير إنما هو تقريب للمعنى لا تحقيق دقيق له ، من أوضح الشواهد على ذلك مجي الريب وصفا للشك في ست آيات هي قوله تعالى :

١ ـ ﴿قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا واننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب﴾[٣]

٢ ـ ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وإنهم لفي شك منه مريب﴾[٤].

٣ ـ قوله سبحانه ﴿ألم يأتكم نبؤ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جائتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا انا كفرنا بما أُرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب﴾[٥]

٤ ـ ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل إنهم كانوا في شك مريب﴾[٦].

---

(١) سورة الحجرات آية ١٥ .

(٢) سورة غافر آية ٣٤ .

(٣) سورة هود آية ٦٢ .

(٤) سورة هود آية ١١٠ .

(٥) سورة ابراهيم آية ٩ .

(٦) سورة سبأ آية ٥٤ .

٥ ـ ﴿ولقد آتينـا موسى الكتـاب فاختلف فيـه ولولا كلمـة سبقت من ربك لقضى بينهم وانهم لفي شك منه مريب﴾(١).

٦ ـ ﴿ وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب﴾(٢).

فمجيئ الـريب وصفـا للشك في هــذه الآيـات الست، من غير عكس ـ حيث لم يجئ الشك وصفـا للـريب ـ؛ دليل على مـا بين اللفظين من فـرق، وانهما غير مترادفين ترادفاً تاما كما هو ظن فريق من الناس. فلم يتبادلا في كل سياق. ولأن الشيئ لا يوصف بنفسه.

وهذا يعني أن الشك انما هو تقـريب لمعنى الريب. لكن يبقى لكل لفظة دلالتها المتميزة التي تختص بها دون الأخرى.

فلفظة ـ الريب ـ يبدو انطـواؤها على معانٍ شعورية، تعود الى قلق النفس واضطرابها.

والشك ليس هو التفسير الـوحيد للريب والـريبة. وانما تأتي بمعنى القلق والتهمة، والحاجة، والظن.

ففي حديث المســور بن مخرمة في غيرة النبي ﷺ على ابنته فـاطمة رضي الله عنها أنه قال: فانما ابنتي بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها(٣). أي يزعجني ويسـوءني ما يزعجها ويسـوءها. يقال رابني هـذا الأمر، وأرابني اذا رأيت منه ما تكره(٤).

---

(١) سورة فصلت آية ٤٥.

(٢) سورة الشورى آية ١٤.

(٣) أخرجه البخـاري ومسلم. انظر: فتح الباري جـ ٩ ص ٣٣٧، وصحيـــح مسلم بشرح النووي جـ ١٦ ص ٢ ـ واللفظ له ـ.
وأخرجه الترمذي جـ ٩ ص ٣٨٦، وأحمد في المسند جـ ٤ ص ٣٢٨.

(٤) النهاية في غريب الحديث والاثر. لابن الاثير جـ ٢ ص ٢٨٧.

ومثله حديث الظبي الحاقف[1] الذي مر عليه النبي ﷺ وأصحابه وهم محرمون: فأمر رسول الله ﷺ رجلا أن يقف عنده لا يريبه أحد من الناس حتى يجاوزوه[2] أي لا يتعرض له ويزعجه[3].

ويستعمل ــ الريب ــ بمعنى الحاجة. كما في قول كعب بن مالك الأنصاري[4].

قضينا من تهامة كل ريب وخيبر ثم أجممنا[5] السيوفا

ويأتي بمعنى التهمة كما في قول جميل بثينة[6]:

بثينة قالت يا جميل أربتني فقلت: كلانا يا بثين مريب

وأريبنا من لا يؤدي أمانة ولا يحفظ الاسرار حين يغيب

والارتياب قريب أن يكون خليط من الشك والتهمة. أو من الشك والخوف[7]. يقول ابن الأثير: الريب: هو بمعنى الشك: وقيل هو الشك مع التهمة يقال رابني الشئ وأرابني بمعنى شككني وقيل أرابني في كذا أي شككني وأوهمني الريبة فيه. فإذا استيقنته قلت رابني بغير ألف[8].

---

(١) حاقف: أي نائم قد انحنى في نومه، النهاية في غريب الحديث والأثر جـ١ ص ٤١٣.

(٢) أخرجه النسائي جـ ٥ ص ١٨٣، ومالك في الموطأ جـ ١ ص ٣٥١. وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه جـ ٤ ص ٤٣١، وفيه سمي الرجل وأنه أبو بكر.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر. لابن الأثير جـ ٢ ص ٢٨٧.

(٤) ديوان كعب بن مالك الانصاري. دراسة وتحقيق سامي مكي العاني ص ٢٣٤.

(٥) اجممنا: أرحنا.

(٦) ديوان جميل ص ١٩.

(٧) معجم مقاييس اللغة لابن فارس جـ ٢ ص ٤٦٣.

(٨) النهاية في غريب الحديث والأثر. لابن الأثير جـ ٢ ص ٢٨٦.

وفرق أبو هلال العسكري بين الشك والارتياب بأن الارتياب شك مع تهمة والشاهد أنك تقول إني شاك اليوم في المطر. ولا يجوز أن تقول اني مرتاب بفلان(الا)[1] اذا شككت في أمره واتهمته.

ولهذا يعرف الريبة بأنها الخصلة من المكروه تظن بالإنسان فيشك معها في صلاحه[2].

ويؤيد نور الدين الجزائري تفسير الريب بأنه الشك مع التهمة مستدلا على ذلك بقوله تعالى ﴿**ذلك الكتاب لا ريب فيه**﴾[3] وأن المشركين مع شكهم في القرآن كانوا يتهمون النبي ﷺ ـ ظلما وزورا ـ بأنه هو الذي افتراه، وأعانه عليه قوم آخرون[4].

كما يتهمونه بأنه كاهن، وشاعر، وساحر.

فالريب: شك وزيادة ظن سوء[5]. والشك المريب: هو الشك الموقع في الحيرة، والاضطراب، والقلق.

وذكر الراغب الأصفهاني في مفرداته أن الريب: أن تتوهم بالشيء امرأً ما فينكشف عما تتوهمه. قال تعالى: ﴿**يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث**﴾[6] وقال ﴿**وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا**﴾[7] تنبيها أن لا ريب فيه[8].

---

(١) لفظة ـ الا ـ لا وجود لها في الكتاب ـ في الطبعة الثانية سنة ١٩٧٧ م، منشورات دار الأفاق الحديثة. بيروت، وهي التي استعنت بها، وكذلك لا توجد في طبعة سنة ١٣٥٣ هـ الذي عنيت بنشره مكتبة القدس بالقاهرة ـ ص ٨٠ ـ غير أن سياق الاستشهاد بالعبارة يقتضيها.

(٢) الفروق في اللغة، لابي هلال العسكري ص ٩٢.

(٣) سورة البقرة آية ٢.

(٤) فروق اللغات/ نور الدين الجزائري/ ١١٠.

(٥) غرائب القرآن ورغائب الفرقان. للنيسابوري جـ ١ ص ١٢٧، طبع بهامش تفسير الطبري.

(٦) سورة الحج آية ٥.

(٧) سورة البقرة آية ٢٣.

(٨) مفردات الراغب الأصفهاني ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩.

وهـذا يعني أن الريب أبلغ مـن الشك، وأشد تمكنـا في النفس. من مجرد التردد بين شيئين. وذلك لما في الارتيـاب من اتهام وميـل الى تـرجيح احـد الطـرفين قد يصل الى أن يعتقـد المرتاب بصـدق حـدسه، وصـواب ارتيابـه وتشككه.

ومن هنا نفهم مجيئ القـرآن الكريم في نفيه الارتياب من البعث، والقيـامة وإتيان الساعة، في نحو من احدى عشرة مرة. مما يشعر أن المشركين المرتابين من البعث بلغ بهم الارتيـاب الى الاعتقـاد بأن الحق والصدق في ارتيـابهم من صحة وقوع البعث. ولهذا أكد القرآن الكـريم على نفي هذا الارتياب في وقوع البعث.

وقوله تعالى ﴿**أم يقولون شاعـر نتربص به ريب المنون**﴾[1] فالمراد حوادث الدهـر، وصروفه المهلكة، والموت في ذاته حقيقـة لا ريب فيها ولا شك، إنما الريب والشك في وقته؛ لانه هو المجهول. لا الموت ذاته[2].

أما الشك فيعرفه الراغب الأصفهاني بأنه: اعتدال النقيضين عند الانسان وتساويهما، وهذا ينتج عن عدم وجود أمارة مرجحة اصلا لأحد الطرفين، أو وجود أمارتين متساويتين[3].

يقال شك في الشيئ: تـردد فيه ولم يصل فيـه الى اليقين، فهو شـاك ويقال هو في شك من كذا أي هو في شك بسببه[4].

---

(١) سورة الطور آية ٣٠.

(٢) مفردات الراغب ص ٢٩٨، ٢٩٩.

(٣) مفردات الراغب الأصفهاني ص ٣٨٨.

(٤) معجم ألفاظ القـرآن الكريم. وضع المجمع اللغوي جـ١ ص ٦٤٥. وكـذلك: معجم الألفاظ والأعلام القرآنية. محمد اسماعيل ابراهيم ص ٣٠٤.

قال تعالى: ﴿فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فسئل الذين يقرأون الكتاب من قبلك﴾[1]. أي إن كنت غير مستيقن. ومعنى التردد من الشك واضح في مثل قول الاعشى[2].

فشك غير قليل ثم قال له إذبح هديك[3] اني مانع جاري

«والشك ضرب من الجهل، وهو أخص منه؛ لأن الجهل قد يكون عدم العلم بالنقيضين رأسا، فكل شك جهل وليس كل جهل شكا»[4].

والشك في أصل معناه، إما أنه من شككت الشيئ اذا خرقته، كما في قول عنترة:

وشككت بالرمح الأصم ثيابه ليس الكرم على القنا بمحرم[5]

وفي هذا معنى الخرق والجمع.

ومثله قول الأعشى[6]:

فشك أوداجه والصدر في مضض عليه منطويا كاللذع بالنار[7]

---

(١) سورة يونس آية ٩٤.

(٢) ديوان الاعشى الكبير. شرح وتعليق د. محمد محمد حسين ص ١٨١. القصيدة رقم «٢٥».

(٣) هديك: اسيرك.

(٤) مفردات الراغب الأصفهاني ص ٣٨٨. طبعة «المطبعة الفنية الحديثة» نشر مكتبة الانجلو المصرية إعداد واشراف د. محمد أحمد خلف الله. والعبارة في هذه الطبعة وهي التي اعتمدت عليها غير مستقيمة في آخرها حيث جاءت العبارة: «فكل جهل شك وليس كل جهل شكا» والصحيح ما اثبت اعلاه. وهو ما يقتضيه السياق، وهو الذي جاء في طبعة سنة ١٣٨١ هـ/ ١٩٦١ م. طباعة الحلبي. تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني ص ٢٦٥.

(٥) ديوان عنترة ص ٢٦.

(٦) ديوان الاعشى ص ١٨١. القصيدة رقم «٢٥».

(٧) وقبل هذا قوله:

فقال تقدمة اذا قام يقتله أشرف سمؤل فانظر للدم الجاري

أأقتل ابنك صبرا أو تجئ بها طوعا فأنكر هذا أي انكار

وقيل يصح أن يكـون الشك مستعـارا من الشك بمعنى لصـوق العضـد بالجنب وذلك أن يتـلاصق النقيضان فـلا مدخل للفهم والـرأي حينئذ[1]. ولهذا يقال شك الأمر اذا التبس وشككت فيه[2].

وقد جـاء الشك في القرآن خمس عشرة مرة. كما في قولـه تعالى ﴿**إن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه**﴾[3] جاء في ست آيات منها موصـوفا بأنه مريب ـ وقد تقدم ذكرها ـ.

مما تقدم يظهر أن الشك يـدل في معانيه على التداخل[4]، وهذا يعني أن اللفظة تحمل معـاني الالتباس والاستغلاق، وهـذا ما يؤدي الى عدم استبـانة الصواب ووضوح الحق، في نظر الشاك، وهذه الحـالة تفضي به إلى القلق والاضطراب فيحـرم الطمأنينـة والارتياح، وهذا هـو الارتياب. فـالشك إذن سبب الارتياب.

---

(١) مفردات الراغب الأصفهاني ص ٣٨٩.

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير جـ ١ ص ٣٧٩.

(٣) سورة النساء آية ١٥٧.

(٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس جـ ٣ ص ١٧٣.

الخلاصة:

مما تقدم يتلخص ؛ أن الريبة ليست هي الشك ، وانما هي نتيجته وحصيلته وأن تفسير الريب بالشك مع التهمة أقرب وأصوب . اذ أن حقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها . والشك تردد يفضي إلى تلك الحالة وبهذا يصبح تفسير الريب بالشك انما هو تقريب للمعنى لا تحقيق دقيق له . وهذا يعني عدم ترادف اللفظتين ترادفا تاما ، وان بينهما شيئا من الفرق يؤيد هذا :

١ ـ مجيئ الشك موصوفا بأنه مريب في ست آيات من القرآن الكريم ، ولم يرد العكس مطلقا . فيقال شك مريب أي تردد موقع في القلق والاضطراب ولا يقال : ريب مشكك . وهذا ما يدل على أن بينهما فرقا ، وأنهما لا يتناوبان في كل سياق وهو ما يقتضيه الترادف التام بين الألفاظ .

٢ ـ ويؤيد ذلك ما روي عن الحسن بن علي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول :

دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة وان الصدق طمأنينة

وهذا يعني أن الريبة غير الشك ، كما أن الطمأنينة غير الصدق . والا لم يكن في الكلام فائدة . فاذا كان الصدق سبب الطمأنينة وأن الطمأنينة نتيجة الصدق وثمرته . فكذلك الشك انما هو سبب الريبة ، والارتياب نتيجة الشك وحصيلته[١] .

يقول صاحب الكليات : «فالشك سبب الريب كأنه شك أولا فأوقعه ذلك الشك في الريب . فالشك مبدأ الريب كما أن العلم مبدأ اليقين»[٢] .

---

(١) راجع : تفسير الزمخشري جـ ١ ص ١١٣ .

(٢) الكليات : لأبي البقاء الحسيني . ص ٣٨٦ .

ومن هنا نفهم مجيئ الشك موصوفا بالريب في القرآن الكريم.

ثم إن الريبة لا يتقصر تفسيرها على الشك فقط. بل تأتي بمعنى التهمة، والحاجة وغير ذلك.

والشك في أصل مادته يدل على التداخل الذي يدعو الى الغموض، وعدم استبانة الأمور. وهذا ما يوقع في التردد المؤدي الى الارتياب.

يقول ابن تيمية: من قال: ـ «لا ريب ـ: لاشك، فهذا تقريب، وإلا فالريب فيه اضطراب وحركة... ولفظ الشك وان قيل انه يستلزم هذا المعنى لكن لفظه لا يدل عليه»[1].

(١) مقدمة في أصول التفسير. لابن تيمية ص ٥٢ ـ ٥٣.

(٣) الحلف والقسم

يرى بعض الناس أن الحلف والقسم لفظان مترادفـان يؤديان معنى واحدا من غير فرق أو تميـز بينهما، وأن كتب المعاجم تفسر أحـدهما بالآخـر ـ وقلما تذكر فرقا بينهما، يشهد بهذا بعض أبيات من الشعر كقول النابغة الذبياني:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب(١)

وكقول الأعشى:

حلفت برب الراقصات الى منى إذا مخرم جـاوزنه بعد مخـرم(٢)

وحين نستقـريء استعمال الكلمتين، واصل اشتقاقهما سعيـا وراء استبانـة معنـاهما، وتعرفـا على الفـرق بينهما نجد أن العـربية تقـول: حلفـة فاجـر، وأحلوفة كاذبة(٣). يقول امرؤ القيس في بيته المشهور:

حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا فما ان من حديث ولا صال(٤)

ولم يرد مثل هذا مع القسم.

ولهذا يقال هذا شيء محلف ومحنث، للذي يختلف فيه فيحتلف عليه(٥). فكأن الحلف مبني على الشـك والتردد، وشيئ من الظن، وهـذا مـا يجعلـه معرضـا للحنث كثيرا، فالعـرب تقول: ناقـة محلفة السنـام: أي مشكوك في سمنه. ويقال: احلف الغلام اذا جاوز رهاق الحلم، فشك في بلوغه(٦).

---

(١) ديوان النابغة الذبياني. تحقيق الطاهر بن عاشور ص ٥٥.

(٢) ديـوان الأعشى الكبير. شرح وتعليق: محمـد محمـد حسين ص ١٢٣ القصيـدة رقم ١٥.
الراقصات: الابل. مخرم: منقطع أنف الجبل.

(٣) أساس البلاغة للزمخشري ص ١٩٢.

(٤) شرح ديوان امرئ القيس ـ ومعه أخبار المراقسة واشعارهم ص ١٦١.

(٥) أساس البلاغة ص ١٩٣.

(٦) المرجع السابق.

كما تسمي العرب نجمي ــ حضار والـوزن ـ محلفـان لأنهما نجمان يطلعان قبل سهيل فيظن الناظر بكـل واحد منهما أنه سهيل ويحلف على ذلك، بينما يحلف آخـر أنـه ليس بسهيل فيقـع الحنث من أحـدهما، ولهذا اعتبر كل مـا يشك فيه فيتحالف عليه أنه محلف(١).

ومنه قيل كميت محلف اذا كـان يشك في كميتته وشقرتـه فيحلف واحد أنه كميت، ويحلف آخر أنه أشقر(٢).

أو يقال انـه كميت غير محلف. اذا كان واضحـا لا يحمل على الاختلاف ومن ثم الحلف.

وفيما تقـدم مـا يـدل على أن الحلف يـدور حـول الاحتمال والشك والتردد وبهذا يكـون الحالف غـالبا معـرضـا للحنث كثيرا؛ لانـه حلف على الظن، وليس عن يقين. وحين نستقـرئ البيـان القـرآني الكـريم في استعمالـه لمادة ـ (ح. ل. ف) نجدها قد دارت في بيانه الكـريم في ثلاثة عشر موضعا. كلها جاءت بغير استثناء في الحنث باليمين.

الأمر الآخر. أنها جاءت في آيات مدنية. وخصـوصا في سورة التوبة. عدا آيـة واحـدة مكيـة هي قـولـه تعـالى في سـورة القلم **﴿ولا تطع كل حـلاف مهين﴾**(٣) ثم إن إسناد الفعل غالبا جاء للمنافقين في أكثر الآيات.

وحين أسنـد الفعل الى المؤمنين في قـولـه تعـالى **﴿ذلك كفـارة أيمانكم اذا حلفتم﴾**(٤) كان ذلك لبيان كفارة الحلف عند الحنث.

---

(١) انظر: ١ ـ القاموس للفيروزآبادي جـ٣ ص ١٢٩، ١٣٠.
٢ ـ أساس البـلاغة للزمخشري ص ١٩٣، وراجع: الإعجاز البيـاني للقرآن. بنت الشاطئ ص ٢٠٤.

(٢) مفردات الراغب الأصفهاني ص ١٨٤.

(٣) سورة القلم آية ١٠.

(٤) سورة المائدة آية ٨٩.

وبـاستعراض آيـات الحلف المسندة للمنـافقين، والتي كشفت حقيقتهم وفضحت زيفهم. يستوقف الفكر فيها، أن اليمين فيها كانت معقودة أصلا وابتداء على خـلاف الحقيقة، والـواقع، في أغلب الآيات. فهـم يحلفون على الكذب وهم يعملون ذلك، وأن الأمر كذب.

قال تعالى: **﴿ألم تر الى الذين تولـوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون﴾**(١).

ويحلفون أنهم ما قالوا. مع أنهم في حقيقة الأمر وواقع الحال قد قالوا كلمة الكفر. وهم يعلمون ذلك حين حلفهم.

قال تعالى **﴿يحلفون بـالله ما قـالوا ولقد قـالوا كلمـة الكفر. وكفـروا بعد إسلامهم﴾**(٢).

ويحلفـون على ارادتهم الحسنى، وهم يكـذبـون، وشهـد الله على كـذبهم وكفى بـه شهيـدا. **﴿وليحلفن إن أردنـا الا الحسنى والله يشهـد إنهم لكاذبون﴾**(٣).

وقال تعالى **﴿واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف اذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا الا احسانا وتـوفيقا. أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا﴾**(٤).

ويحلفـون أنهم لا يستطيعـون الخروج مع المسلمين. التماسا للعـذر وهم يعلمـون من أنفسهم خـلاف ذلك والله يعلم كـذبهم في هـذا الحلف. قـال

(١) سورة المجادلة آية ١٤.

(٢) سورة التوبة آية ٧٤.

(٣) سورة التوبة آية ١٠٧.

(٤) سورة النساء الآيات ٦١ ـ ٦٣.

تعالى: ﴿**وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم انهم لكاذبون**﴾[1].

وقال تعالى ﴿**يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين**﴾[2] ويقول سبحانه ﴿**يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين**﴾[3].

فالحلف يدور في العربية على احتمال الحنث غالبا؛ لانه مبني على الظن وفي البيان القرآني يتضح بجلاء على أن اليمين في الحلف معقودة غالبا على الحنث أصلا. حيث يحلف المنافقون على خلاف الحقيقة التماسا للعذر. دون مبرة في الحلف أو صدق في اليمين.

أما القَسَم فتفسره المعاجم بالحلف دون أن تذكر فرقا بينهما. وحين نعيد النظر في القاموس نجده يقول: والقسم: العطاء والرأي... وأن يقع في قلبك الشيئ فتظنه ثم يقوى ذلك الظن فيصير حقيقة[4]. فكأن القسم في بعص اشتقاقاته اللغوية أقوى في الظن، وأقرب الى الحق، وأبعد عن الاحتمال والشك، كما هي الحال في الحلف.

فالقَسَم إذاً يكون على الشيء الواضح، والحق البين، والأيمان الصادقة. ولهذا جاء القسم في القرآن في الايمان الصادقة، وجاء موصوفا بالعظمة في قوله تعالى ﴿**وإنه لقسم لو تعلمون عظيم**﴾[5].

---

(١) سورة التوبة آية ٤٢.

(٢) سورة التوبة آية ٦٢.

(٣) سورة التوبة آية ٩٦.

(٤) القاموس للفيروزآبادي جـ ٤ ص ١٦٤.

(٥) سورة الواقعة آية ٧٦.

وقد كان أصحاب الجنـة صادقين في قسمهم، وجادين في تنفيذ نيتهم في صرم جنتهـم. ﴿**اذ أقسمـوا ليصرمنّهـا مصبحين ولا يستثنـون**﴾[1] فهم لا يعيشون ترددا، ولا تحيرا.

واستقراء البيان القرآني الكريم في استعمال القسم يدلنا على أنه يعتبر بحال المقْسِم عند عقد اليمين، فيخص القسم بمن كان صـادقا عند عقده لليمين حتى ولو خالف ذلك الحق، وجانـب الصدق في واقع الامر، وانما كان ذلك هو اعتقـاده الجازم، ونظرته المخلصـة الصادقة في نظـر نفسه، أو على الأقل ايهام المقسم له بذلك.

ومن هنا يمكن أن نفهم اشارة القرآن الكريم المتكررة الى الجهد المبذول عند عقـد اليمين من قبل بعض الكفـار والمشركين. مما يـوحي بصـدقهم في قسمهم، واخـلاصهم في اعتقـادهـم وان لم يكن هـو الحق، فقـد ذكـر الله سبحانه وتعالى اقسامهم بالله جهد أيمانهم في خمسة مواضع:

قال تعالى: ﴿**وأقسموا بالله جهد أيمانهم انهم لمعكم**﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿**وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون**﴾[3].

وأوضحوا عقيدتهم في البعث، مؤكدينهـا بالقسم جهد أيمانهم، وأن هذه عقيـدتهم التي لا يحيدون عنهـا، ولا يـؤمنون بغيرهـا، وذلك في قـوله تعـالى ﴿**وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت**﴾[4].

---

(١) سورة القلم آيـة ١٧.

(٢) سورة المائدة آيـة ٥٣.

(٣) سورة الأنعام آيـة ١٠٩.

(٤) سورة النحل آيـة ٣٨.

ويقسمون أغلظ الأيمان بأنهم تحت الطاعة . ومستعدون للخروج عندما يؤمرون ، ويبين الله حالهم بقوله : **﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة إن الله خبير بما تعملون﴾** (١).

﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا﴾(٢).

فلعله لولا غاية اجتهادهم في هذه الايمان لما ارتقت من الحلف الى القسم . لايحاء اجتهادهم غاية الجهد بهذه الأيمان بصدقهم فيها . وإن تبين فيها بعد أن الامر بخلاف ذلك .

ومن هنا يرد القسم عاما ، من الله سبحانه ، وعلى لسان المسلمين ، والمنافقين والكفار(٣) . ويكون في آيات مكية ومدنية . وغالبا ما يكون صادقا بارًّا وإن لم يكن كذلك في واقع الأمر، فعلى الأقل في نظر المقسم وحسب اعتقاده عند عقد اليمين . فللحال عند عقد اليمين اعتبار.

ـ تقول بنت الشاطئ في حديثها عن آيات القسم والحلف انه لا يهون أبدا أن نفسر القسم بالحلف ، وصنع القرآن يلفت الى فرق دقيق بينهما . فإن لم نقل ان القسم لليمين الصادقة ـ حقيقة أو وهما ـ والحلف لليمين الكاذبة ، على إطلاقها . فلا أقل من أن يكون بين دلالتهما الفرق بين العام والخاص : فيكون القسم لمطلق اليمين بعامة ، ويختص الحلف بالحنث في اليمين على ما اطرد استعماله في البيان القرآني(٤) .

وهذا فرق كبير واضح . يكفي لنفي ترادف الكلمتين ترادفا تاما .

---

(١) سورة النور آية ٥٣ .

(٢) سورة فاطر آية ٤٢ .

(٣) انظر: أساليب القسم في اللغة العربية/ كاظم فتحي الراوي ص ٥٠٦ .

(٤) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الازرق . د . بنت الشاطئ ص ٢٠٧ .

(٤) الشرعة والمنهاج

قال تعالى: ﴿**لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم..**﴾[١].

يذهب فريق من الناس الى أن لفظتي؛ الشرعة، والمنهاج كلمتان بمعنى واحد، وأن المراد بهما الدين، وجاء التكرير هنا لمجرد التأكيد.

جاء في تفسير النيسابوري قوله: وهما عبارتان عن معبر واحد هو الدين والتكرير للتأكيد[٢]. ونقل ابن الجوزي أنهما بمعنى واحد، وانما نسق أحدهما على الآخر لاختلاف اللفظين[٣].

ويذهب بعض العلماء الى أن بين اللفظتين فرقا دقيقا، وان اختلفوا في هذا الفرق أي شئ يكون، وقد غلّط ابن تيمية من قال إن شرعة ومنهاجا معناهما واحد وإن مثل هذا لا يجيئ في القرآن ولا في فصيح الكلام[٤].

جاء بطرق كثيرة مختلفة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿**لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا**﴾[٥]. أنه قال سنة وسبيلا[٦].

وروي عنه: سبيلا وسنة ـ واختاره ابن كثير[٧].

---

(١) سورة المائدة آية ٤٨.

(٢) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان. للنيسابوري ـ طبع في حاشية تفسير الطبري ـ م ٤ جـ ٦ ص ١٥٦. وانظر: تفسير الرازي جـ ١٢ ص ١٢.

(٣) زاد المسير في علم التفسير. لابن الجوزي جـ ٢ ص ٣٧٢.

(٤) انظر: الايمان لابن تيمية ص ١٦٩.

(٥) سورة المائدة آية ٤٨.

(٦) انظر: تفسير ابن جرير الطبري م ٤ جـ ٦ ص ١٧٤، ١٧٥.

(٧) انظر: تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٦٦.

وفي مسائل ابن الأزرق، أنه سأل ابن عباس عن قوله تعالى ﴿شرعة ومنهاجا﴾[1] فأجابه: الشرعة الدين، والمنهاج الطريق. واستشهد على ذلك بقول أبي سفيان الحارث بن عبد المطلب:

لقد نطق المأمون بالصدق والهدى ... وبيّن للاسلام دينا ومنهجا[2].

وتعقب بنت الشاطئ على هذا بأن: «تفسير الشرعة بالدين قريب. مع فرق دقيق بينهما تعطيه دلالة الدين أصلا، على الطاعة والانقياد. ودلالة الشرعة على الطريق الواضح، وهي في أصل اللغة من شريعة الماء بما تعطي من ري ونجاة. والمنهاج ليس كذلك، مجرد طريق، ولكنه الطريق المعبّد المأمون[3].

ويرى الرازي أن الشريعة عامة تشمل مطلق الشريعة. والطريقة عن مكارم الشريعة، وهي المراد بالمنهاج. فالشريعة أول، والطريقة آخر[4].

وقال المبرد: الشريعة ابتداء الطريقة، والطريقة المنهاج المستمر[5]. ونقل أبو هلال العسكري رأي المبرد هذا مستدلا به على قول المبرد بالفروق بين الكلمات، ونفي الترادف بينهما، وأنه عطف أحدهما على الآخر؛ لأن الشرعة لأول الشيء، والمنهاج لمعظمه، ومتسعه واستشهد على ذلك بقولهم: شرع فلان في كذا اذا ابتدأه، وأنهج البلى في الثوب اذا اتسع فيه.

قال: ويعطف الشيء على الشيء وان كانا يرجعان الى شيء واحد اذا كان في أحدهما خلاف للآخر، فأما اذا أريد بالثاني ما أريد بالأول فعطف أحدهما

---

(١) سورة المائدة آية ٤٨.

(٢) الاتقان في علوم القرآن. للسيوطي جـ ١ ص ١٢٠.

(٣) الإعجاز البياني القرآني، ومسائل ابن الازرق ص ٢٨٠.

(٤) تفسير الرازي جـ ١٢ ص ١٣.

(٥) المصدر السابق.

على الآخر خطأ[1]. والعطف أحد الأدلة على الفروق، لانه ظاهر في المغايرة، ايثارا للتأسيس على التأكيد[2].

ولهذا قيل: إن العطف هنا باعتبار جمع الأوصاف[3].

وقيل في الفرق بين اللفظتين: ان الشرعة: الطريق الذي ربما كان واضحا، وربما كان غير ذلك. والمنهاج الطريق الذي لا يكون الا واضحا ذكره ابن الانباري[4].

واشتقاق الشرعة إما من شرع بمعنى بيّن وأوضح، من قولهم: شرعت الاهاب اذا شققته وسلخته. أو من شرع في الشيئ اذا دخل فيه[5].

والشرعة في اللغة تطلق على مورد الناس للاستقاء.. سميت بذلك لوضوحها، وظهورها. وهي المشرعة قال الأزهري: لا تسميها العرب مشرعة حتى يكون الماء عدّا لا انقطاع له كماء الأنهار ويكون ظاهرا معينا، ولا يستقي منه برشاء. فان كان من ماء الامطار فهو الكرع[6].

والتشريع: ايراد الابل شريعة لا يحتاج معها الى نزع بالعلق ولا سقي بالحوض ـ ولهذا كان الامر على ما قال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: أهون السقي التشريع.

وتقول اللغة أيضا: الناس في هذا شرع واحد، أي سواء. ومنه سمي الشارع حيث المرور فيه حق مشترك للجميع على حد سواء[7].

(١) انظر: الفروق في اللغة. لابي هلال العسكري ص ١٣.

(٢) انظر: فروق اللغات. لنور الدين الجزائري ص ١٢١.

(٣) تفسير الألوسي جـ٦ ص ١٥٣.

(٤) انظر: زاد المسير في علم التفسير. لابن الجوزي جـ ٢ ص ٣٧٢.

(٥) انظر: القاموس المحيط. للفيروزابادي جـ٣ ص ٤٤. وانظر: تفسير الرازي جـ ١٢ ص ١٣.

(٦) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير جـ١ ص ٣٦٦.

(٧) انظر: ١ ـ القاموس المحيط جـ٣ ص ٤٤.

٢ ـ مجمع البحرين للطريحي جـ ٤ ص ٣٥٢.

وبإعادة النظر فيما تقدم نجد أن المعنى اللغوي للكلمة يدور حول الوضوح والظهور، كما يدور على السهولة واليسر. مع المساواة في إتاحة الأمر للجميع على حد سواء. من غير تفضيل لأحد على آخر.

قال تعالى عن اليهود **﴿إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون﴾**[1].

فكان في ظهور السمك يوم السبت، وكثرته، مع سهولة صيده. ويسره ابتلاءا لليهود لم يصبروا عليه، واختبارا لهم لم يجتازوه.

يقول الراغب الأصفهاني: فالشرع: نهج الطريق الواضح، وهو في أصله مصدر. من قولهم: شرعت له طريقا. ثم جعل اسما للطريق النهج واستعير ذلك للطريقة الألهية[2].

فأصبح يدل هذا اللفظ على ما شرع الله لعباده من أحكام الدين، وسنّه لهم، وافترضه عليهم. وجعلهم في حكمه سواسية، لا فضل لأحدهم على الآخر.

وقوله تعالى **﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك، وما وصّينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾**[3].
إشارة الى وحدة شرائع الله ودياناته الى الأمم في اصولها من معرفة الله وتوحيده، واقامة دينه وما الى ذلك.

وأما النهج فهو: الطريق الواضح. والمنهج، والمنهاج مثله ونهج الطريق ينهج نهوجا وضح واستبان.

---

(١) سورة الأعراف آية ١٦٣.
(٢) مفردات الراغب الأصفهاني ص ٣٧٩.
(٣) سورة الشورى آية ١٣.

قال الراجز[1]:

من يك ذا شك فهذا فلج ماء رواء وطريق نهج[2]

قال ابن جرير الطبري: المنهاج اصله: الطريق البين الواضح ثم يستعمل في كل شيئ كان بينا واضحا سهلا. فمعنى الكلام؛ لكل قوم منكم جعلنا طريقا الى الحق يؤمه، وسبيلا واضحا يعمل به[3].

فلا علينا بعد هذا أن نفهم الفرق الدقيق بين الكلمتين من مدار كل كلمة، وأصل مادتها، واشتقاقها.

فمدار الشريعة على الظهور والسهولة واليسر، من غير صعوبة أو مشقة مع التساوي في اتاحة الفرصة. ومدار المنهاج على الوضوح والاستبانة من غير غموض أو التواء أو ابهام. ومادام في الامكان فهم هذه المعاني من دلالة الألفاظ، ومداراتها فانه لا داعى الى قصر الامر على بعضها. والاكتفاء به.

كما أنه وان دل أحد هذين اللفظين على بعض معاني الآخر، وفهمت منه. فإنه ليس بمثل الوضوح ولا الشمول الذي يفهم من اللفظ نفسه.

والله قد جعل شرائعه ودينه، سهلا ميسرا، وجعله واضحا بينا. ومتاحا للجميع الدخول فيه والارتواء منه والاهتداء بنوره فما على الناس الا أن يشرعوا في سلوك هذا الطريق السوي السهل المروي لأرواحهم والهاد الى نجاتهم والباعث على الطمأنينة والرضا في نفوسهم.

---

(١) لم يسم في أغلب المراجع. ولعله من بني العنبر بن عمرو بن تميم. ـ كما يقول محمود شاكر.
تفسير الطبري جـ ١٠ ص ٣٨٤.

(٢) انظر: ١ ـ القاموس المحيط جـ ١ ص ٢١٠.
٢ ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. للرافعي جـ ٢ ص ٧٦٩.
٣ ـ المجاز لأبي عبيدة جـ ١ ص ١٦٨.
٤ ـ أساس البلاغة للزمخشري ص ٩٩٨.

(٣) تفسير ابن جرير الطبري جـ ١٠ ص ٣٨٤.

(٥) الخضوع والخشوع

الخضوع في اللغـة يدور حول معـاني التطامن، والتـواضع، وعلى الانقياد والطاعـة والسكون. ومظهره الخارجـي، خضوع الاعناق، وتطـامنها. ولهذا نسب الخضوع اليها في قوله تعالى: ﴿**إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهـم لها خاضعين**﴾(١). ولهذا يقـال: اختضع الصقـر: طأمن رأسـه للانقضاض.

وخضعت الابل في سيرها اذا جدت لانها حينئذ تكـون قد طأمنت أعناقها قال جرير:

ولقد ذكرتك والمطي خواضع وكأنهن قطا فلاة مجهل(٢)

كما يـدل الخضـوع على الميل. فيقـال: خضعت الشمس للمغيب؛ اذا مالت إليه(٣). والخضـوع غالبـا مـا يكـون عن ذل أدى الى هـذه الاستكانـة والانقياد.

فأخضعه الفقـر أذله. والـرجل الأخضع: هو الـراضي بالـذل. ويقال: أخضعتني اليك الحاجـة. وأخضع الرجل بـالقول ألان كـلامه للمـرأة. وفي الحديث أنـه ﷺ نهى أن يخضع الـرجل لغير امـرأتـه. اي يلين لها القـول بما يطمعها منه(٤).

(١) سورة الشعراء آية ٤.

(٢) ديوان جرير جـ ٢ ص ٩٣٩.

(٣) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير جـ ١ ص ٢٠٧، القـاموس المحيـط للفيروزآبـادي جـ ٣ ص ١٨، أساس البلاغة للزمخشري ص ٢٣٧، لسان العرب لابن منظور جـ ١ ص ٨٥١، تاج العروس جـ ٥ ص ٣١٩.

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والاثر. لابن الأثير جـ ٢ ص ٤٣.
القاموس المحيط جـ ٣ ص ١٨.
لسان العرب جـ ١ ص ٨٥١.

وقال تعالى: ﴿فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض﴾[1].

ولم يرد الخضوع في القرآن الكريم في غير الآيتين السابقتين. فالخضوع غالبا ما يكون عن ذل من الخاضع سواء أكان بطبعه، أو لخوفه، أو لضعفه.

والخشوع قريب من الخضوع. جاء في القاموس: الخشوع: الخضوع.. أو قريب من الخضوع، أو هو في البدن، والخشوع في الصوت، والبصر، والسكون والتذلل.[2]

وفي اللسان: قيل: الخشوع: قريب من الخضوع الا أن الخضوع في البدن. وهو الاقرار بالاستخذاء والخشوع في البدن، والصوت، والبصر، كقوله تعالى: ﴿خاشعة أبصارهم﴾[3] وقوله: ﴿وخشعت الاصوات للرحمن﴾[4] قال ابن الأثير: والخشوع في الصوت والبصر كالخضوع في البدن[5]. فهذه المصادر ترى أن الخشوع والخضوع لفظان متقاربان لا مترادفان.

يقال خشع في صلاته ودعائه اذا أقبل بقلبه على ذلك، وظهر أثره على جوارحه فغض بصره، وخفت صوته، وسكنت نفسه.

اذ أصل الخشوع في القلب كما قال علي بن ابي طالب: الخشوع في القلب. وقال قتادة: الخشوع في القلب. وهو الخوف وغض البصر في الصلاة.

فالخشوع مصدره القلب لكن تظهر آثاره على الجوارح، وقد كان السلف يحرصون على إخفاء ما يظهر بعدا عن النفاق والرياء. نظر عمر بن الخطاب

---

(١) سورة الأحزاب آية ٣٢.

(٢) القاموس المحيط جـ ٣ ص ١٨.

(٣) سورة المعارج آية ٤٤ واللفظ في سورة القلم آية ٤٣.

(٤) سورة طه آية ١٠٨.

(٥) لسان العرب جـ ١ ص ٨٣٥. وانظر تاج العروس جـ ٥ ص ٣١٨.

الى شاب قد نكس رأسه فقال: يا هذا ارفع رأسك. فان الخشوع لا يزيد على ما في القلب.

ولعل الخشوع مأخوذ من قولهم: خشعت الارض اذا سكنت واطمأنت قال تعالى ﴿ **ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة. فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت** ﴾(١). فاهتزازها وربوها الذي هو ارتفاعها مزيل لخشوعها. ويقولون: حشيشة خاشعة اذا كانت يابسة ساقطة على الأرض(٢).

وفي المصباح: الخضوع قريب من الخشوع. الا ان الخشوع اكثر ما يستعمل في الصوت والخضوع في الاعناق(٣).

مما تقدم يتلخص أن الخشوع: سكون القلب، وتضرعه، بحيث تظهر آثار ذلك على الجوارح الظاهرة. فتخفت الاصوات، وتنكسر الابصار، وقد تذرف الدموع. وان الخضوع جزء من الخشوع لاختصاصه بالبدن. قال تعالى ﴿**ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا**﴾(٤). وقال ﴿**وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا**﴾(٥). وقال سبحانه ﴿**ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله**﴾(٦). وقال تعالى ﴿**خاشعة أبصارهم ترهقهم**

---

(١) سورة فصلت آية ٣٩.

(٢) انظر: أساس البلاغة للزمخشري ص ٢٣٢، تفسير القرطبي جـ ١ ص ٣٧٤، ٣٧٥، الخشوع في الصلاة لابن رجب الحنبلي ص ٣ ـ ٤، مفردات الراغب الأصفهاني ص ٢١٣، التحفة النظامية في الفروق الاصطلاحية على أكبر النجفي ص ٥٢، بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي جـ ٢ ص ٥٢١.

(٣) المصباح المنير جـ ١ ص ٢٠٧.

(٤) سورة الاسراء آية ١٠٩.

(٥) سورة طه آية ١٠٨.

(٦) سورة الحديد آية ١٦.

ذلة﴾[1]. فالخشوع يكون من عظمة المخشي وتعظيم الخاشي له. فمن كان بالله اعرف فهو له أخشع. ومن خشي الله خشع له.

ويلفت النظر في البيان القرآني الكريم. اسناد الخشوع للأبصار في أكثر من آية. ولعل هذا يعود الى كون الابصار المظهر الخارجي الواضح، الذي ينم عن الحالة التي يعيشها الانسان.

ويلفت الفكر أن هذه الأبصار التي اسند اليها الخشوع انما هي أبصار الكفار والمشركين. وأن هذه الحالة، وهذا الخشوع منهم انما هو في اليوم الآخر، يوم البعث الذي كانوا يوعدون، والذي لم يكونوا به يؤمنون.

جاء ذلك بصريح السياق في أربع آيات:

قال تعالى: **﴿قلوب يومئذ واجفة، أبصارها خاشعة﴾**[2].

وقال سبحانه **﴿خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون﴾**[3] وقال **﴿خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون﴾**[4] ويقول سبحانه وتعالى **﴿خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر﴾**[5].

وفي آية واحدة أسند الخشوع فيها في يوم البعث والجزاء الى وجوه الكفار وذلك في قوله تعالى **﴿هل أتاك حديث الغاشية، وجوه يومئذ خاشعة، عاملة ناصبة، تصلى نارا حامية﴾**[6].

---

(١) سورة القلم آية ٤٣.

(٢) سورة النازعات آية ٩.

(٣) سورة المعارج آية ٤٤.

(٤) سورة القلم آية ٤٣.

(٥) سورة القمر آية ٧.

(٦) سورة الغاشية آية ١ ـ ٤.

ونسب خشوع الكفار الى أبصارهم في أربع آيات، وإلى وجوههم في آية. فيه إشارة الى أنه فات قلوبهم أن تخشع في الدنيا.

حيث يكون للخشوع حينئذ معنى، اذ لا يكون يومئذ الا عن صدق ايمان وخشية لله. وهذا ما هو مطلوب منهم.

وانما خشوعهم في ذلك اليوم، خشوع ذلة، كما قال تعالى ﴿**وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل**﴾[1] وكما قال سبحانه ﴿**خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة**﴾[2].

أما ما يأتي في القرآن الكريم من خشوع المؤمنين. فانه بيان لحالهم ووصف لها في هذه الحياة الدنيا. وهذا مطرد من غير تخلف، وقد اختص المشركون بالوصف بالخشوع في الآخرة.

قال تعالى ﴿.. **اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا، ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا**﴾[3].

وقال سبحانه ﴿**قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون**﴾[4]

وقال ﴿.. **خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا**﴾[5].

وفي الآية الأخرى ﴿.. **انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين**﴾[6].

وكلها لبيان حال المؤمنين في هذه الحياة الدنيا.

---

(١) سورة الشورى آية ٤٥.

(٢) سورة القلم آية ٤٣، واللفظ في سورة المعارج آية ٤٤.

(٣) سورة الاسراء آية ١٠٧، ١٠٩.

(٤) سورة المؤمنون آية ١ ـ ٢.

(٥) سورة آل عمران آية ١٩٩.

(٦) سورة الانبياء آية ٩٠ ومعها أكثر من آية: البقرة/ ٤٥، الاحزاب/ ٣٥، الحديد/ ١٦.

وقد التفتت بنت الشاطئ الى هذا الملحظ ، تقول : (ولا أذكر أن أحدا من المفسرين أو البلاغيين قد التفت الى هذا الملحظ في خشوع المؤمنين لله في الدنيا . وخشوع الكفار والمجرمين والظالمين في الآخرة .

وسره البياني ـ فيما أرى ـ هو أن خشوع الكفار لا يكون الا بعد أن يأتي اليوم الذي يوعدون فيخشعوا خوفا ورهبة وذلة ، على حين يخشع المؤمنون في الدنيا ، عن صدق إيمان وتقوى ، وخشية لله)[1] .

---

(١) الإعجاز البياني للقرآن . ومسائل ابن الأزرق د . بنت الشاطئ ص ٢١١ .

(٦) الشح والبخل

هناك من يرى أنهما بمعنى واحد، وانه لا فرق بينهما.

بينما يذهب آخرون إلى وجود فرق بينهما، وان اختلفوا في تحديد مدلول كل كلمة منهما على أقوال كثيرة أهمها:

١ ـ أن الشح أشد البخل، وأنه ابلغ في المنع منه، اذ هو البخل الشديد.

٢ ـ أن الشح: البخل مع الحرص[١].

٣ ـ وجاء عن ابن عيينة[٢] في تفسير قوله تعالى **﴿ومن يوق شح نفسه﴾**[٣] أن الشح: الظلم، وليس الشح أن تبخل بما في يدك لان الله تعالى يقول: **﴿ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه﴾**[٤].

٤ ـ وعن ابن مسعود أن الشح أن تأكل مال أخيك ظلما[٥].

٥ ـ وقيل: من لم يأخذ شيئا نهاه الله عنه ولم يمنع شيئا أمره الله بادائه فقد وقى شح نفسه.

٦ ـ وقال طاووس: البخل أن يبخل الانسان بما في يده. والشح أن يشح بما في أيدي الناس. يحب أن يكون له ما في أيديهم بالحلال والحرام لا يقنع[٦].

---

(١) انظر: ١ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر جـ ٢ ص ٤٤٨.

٢ ـ فروق اللغات/ نور الدين الجزائري ص ٥٣.

٣ ـ فرائد اللغة «الجزء الأول في الفروق» هنريكوس لامنس ص ٢٧. وانظر: في تعريف الشح. شرح النووي على صحيح مسلم جـ ١٦ ص ١٣٤.

(٢) انظر: تفسير غريب القرآن. لابن قتيبة ص ٤٦٩.

(٣) سورة الحشر آية ٩، واللفظ في التغابن آية ١٦.

(٤) سورة محمد آية ٣٨.

(٥) ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ص ٣١.

(٦) تفسير فتح القدير للشوكاني جـ ٥ ص ٢٠١.

٧ ـ ويرى الراغب الأصفهاني : ان الشح : بخل مع حرص . وذلك فيما كان عادة[1] .

٨ ـ وفرق بعض الناس بينهما بأن البخل في أفراد الأمور وآحادها . والشح عام .

٩ ـ وقيل البخل بالمال ، والشح بالمال والمعروف[2] .

مما تقدم نلمس الالتماسات الكثيرة ، للتفريق بين اللفظين .

وكان علينا أن نفزع الى القرآن الكريم ـ نلتمس في بيانه وجه استعماله لكل من اللفظتين . وحين نفعل ذلك الآن نجد ما يلفت النظر ويستوقف الفكر من العلاقة البينة بين الشح والنفس الانسانية بما يدل على أن الشح جبلّة وطبيعة في النفس ، حاضر لها لا يغيب عنها فهو غريزة فيها .

حتى قيل : الشح في نفس الانسان ليس بمذموم لانه طبيعة خلقها الله في النفس كالشهوة ، والحرص ، وذلك من باب الابتلاء ، والاختبار ، انما المذموم أن يستولي سلطانه على القلب ، فيطاع[3] .

فعلى الانسان مجاهدة نفسه لئلا تغلبه هذه الخصلة فتحمله على ما لا يحمد فعله . ولعل دليل ذلك البيّن إضافة الشح الى النفس في ثلاث آيات من القرآن الكريم من بين خمس آيات جاء بها ذكر الشح ، أشحة .

جاء ذلك صريحا في قوله تعالى :

١ ـ ﴿**والصلح خير، وأحضرت الأنفس الشح**﴾[4] .

---

(١) مفردات الراغب الأصفهاني ص ٣٧٥ .

(٢) انظر: ١ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر. لابن الأثير جـ ٢ ص ٣٠ ، ٢ ـ تاج العروس جـ ٢ ص ١٧٠ ، ٣ ـ شرح النووي على صحيح مسلم جـ ١٦ ص ١٣٤ .

(٣) فروق اللغات/ نور الدين الجزائري ص ٥٣ . وانظر: معترك الاقران للسيوطي جـ ٣ ص ٣٢٥ .

(٤) سورة النساء آية ١٢٨ .

٢ ـ وقوله ﴿ . . . ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة . ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾[١] .

٣ ـ وقوله ﴿فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرا لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون﴾[٢] .

ومن صريح الأدلة وأوضحها على الفرق البيّن بين الشح والبخل . وأثر ذلك في النفس ، وأن البخل إنما هو أحد ثمار الشح المرّة ، لأن الشح يأمر بالبخل ؛ ما جاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : الظلم ظلمات ـ إلى أن قال ـ و إياكم والشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم أمرهم بالقطيعة فقطعوا ، وأمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالفجور ففجروا[٣] .

وفي مستدرك الحاكم عن عبد الله بن عمرو قال خطبنا رسول الله ـ ﷺ فقال : إياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة . واياكم والفحش والتفحش ، و إياكم والشح فانما هلك من كان قبلكم بالشح أمرهم بالقطيعة فقطعوا وبالبخل فبخلوا . وبالفجور ففجروا[٤] .

وأخرج مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة . واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم[٥] .

---

(١) سورة الحشر آية ٩ .

(٢) سورة التغابن آية ١٦ .

(٣) أخرجه الامام أحمد في مسنده جـ ٢ ص ١٦٠ ، ١٩٥ . وأخرجه عن أبي هريرة في جـ ٢ ص ١٩١ وجـ ٢ ص ٤٣١ . وعن جابر بن عبد الله في جـ ٣ ص ٣٢٣ ـ وان كان ليس فيهما قوله : وأمرهم بالبخل فبخلوا .

(٤) أخرجه الحاكم في مستدركه جـ ١ ص ١١ وانظره في جـ ١ ص ٤١٥ . وقال عنه : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه . وأخرجه الذهبي في التلخيص جـ ١ ص ١٢ ـ حاشية المستدرك .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه جـ ١٦ ص ١٣٤ ـ بشرح النووي .

فالشح إذًا ليس هو البخل . و إنما البخل ثمرته ، بل أحد ثماره . و إن من فلاح الانسان ، وصلاحه ، ومن فضل الله عليه أن يوق شح نفسه . اذ هو حالة نفسية تنتاب الانسان وتحز في نفسه حين ارادة الانفاق فضلا عن الايثار، يمتن الله على من يقيه شح نفسه من أن تغلبه فتمنعه من البذل والعطاء ، أو تحمله على الاستزادة بالظلم والاعتداء ؛ فالشح مرض نفسي .

أما البخل فلم يضف الى النفس ولم ينسب اليها ، فكأنه صفة مذمة من الممكن الاحتراز منه بسهولة أكبر.

وفي القرآن الكريم بيان عن حال الذين يبخلون ، ولا يكتفون بأن يبخلوا عن أنفسهم ، فيأمروا غيرهم بالبخل . كما قال تعالى ﴿**الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتولى فان الله هو الغني الحميد**﴾[1] .

وقال سبحانه ﴿**الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ، ويكتمون ما آتاهم الله من فضله**﴾[2] .

ويقول سبحانه وتعالى ﴿**فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء**﴾[3] .

وقد عرف الراغب البخل بأنه : إمساك المقتنيات عما لا يحق حبسها عنه ، ويقابله الجود، وهو ضربان : بخل بمقتنيات نفسه ، وبخل بمقتنيات غيره . وهو اكثرهما ذما[4] .

واستدل لهذا بقوله تعالى ﴿**الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل**﴾[5] .

---

(١) سورة الحديد آية ٢٤ .

(٢) سورة النساء آية ٣٧ .

(٣) سورة محمد آية ٣٨ .

(٤) مفردات الراغب الأصفهاني ص ٤٩ . وانظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزابادي جـ ٢ ص ٢٢٧ .

(٥) سورة الحديد آية ٢٤ ، واللفظ في سورة النساء آية ٣٧ .

وقيل إن البخل هو نفس المنع . والشح هو الحالة النفسانية التي تقتضي ذلك المنع . وأنه يتضمن معنى الامساك ، والتعدي اذ هو إمساك عن مستحق بدليل تعدية بخل بعن وبعلى أيضا .

ويرى النيسابوري أن الشح هو: المنع الذاتي الذي تقتضيه الحالة النفسانية ولهذا أضيف الى النفس .

والبخل : المنع مطلقا من غير اعتبار صيرورته غريزة وملكة(١) .

ومن الفرق بين اللفظتين أن الشح أعم فهو يكون بالمال وغيره . ولذلك يقال هو شحيح بمودتك . أي حريص على دوامها وبقائها ، وضنين بها . ولا يقال في ذلك هو بخيل بمودتك ، فالبخل في المال خاصة(٢) .

والشح والبخل خصلتان مذمومتان ، تعوذ منهما رسول الله ﷺ . في أكثر من حديث فعن عمرو بن ميمون قال حدثني أصحاب محمد ﷺ بأن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من الشح والجبن وفتنة الصدر وعذاب القبر(٣) .

وعن ابن مسعود قال كان النبي ﷺ يتعوذ من خمس من البخل والجبن . . . الحديث(٤) .

---

(١) تفسير النيسابوري . طبع بهامش تفسير الطبري م ١٠ جـ٢٨ ص ٤٢ .

(٢) انظر: ١ ـ فروق اللغات/ نور الدين الجزائري .

٢ ـ فرائد اللغة هنريكوس لامنس ص ٢٧ .

(٣) أخرجه النسائي جـ٨ ص ٢٦٧ .

(٤) أخرجه النسائي جـ٨ ص ٥٦ ، وانظر كذلك جـ٨ ص ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ وغيرها .

«سنن النسائي بشرح الحافظ السيوطي ، وحاشية الامام السندي . طبعة دار الاحياء» .

(٧) الكمال والتمام

هناك فرق دقيق بين الكمال والتمام، يدق على بعضهم إدراكه، فيجعلونهما مترادفين ترادفا تاما. مع أن مجاري الاستعمال توحي بأن الاتمام لإزالة نقصان الأصل، والإكمال لازالة نقصان العوارض بعد تمام الاصل.

ولهذا كان قوله تعالى ﴿. . **فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة**﴾[١] أحسن وابلغ من ـ تامة ـ لان التمام في العدد قد علم باضافة الثلاثة الى السبعة. لكن بقي احتمام نقص في الأوصاف. وهو ما نفاه وصفها بالكمال ولهذا يقال: رجل كامل: اذا كان جامعا للمناقب، وخصال الخير. فهو متكامل الأوصاف. بينما يقال رجل تام: اذا كان غير ناقص الطول. فتمّ تشعر بحصول نقص قبل التمام، وكمل لا تشعر بذلك[٢].

ومما يشعر بوجود الفرق بينهما انهما جاءا متعاطفين في قوله تعالى: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا**﴾[٣].

---

(١) سورة البقرة آية ١٩٦.

(٢) انظر: ١ ـ البرهان في علوم القرآن. للزركشي جـ ٤ ص ٨٤ ـ ٨٥.

٢ ـ البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن. للزملكاني ص ٩١ ـ ٩٢.

٣ ـ التحفة النظامية في الفروق الاصطلاحية. على اكبر النجفي ص ٥.

٤ ـ فروق اللغات. نور الدين الجزائري ص ٣٢.

٥ ـ الإتقان في علوم القرآن. للسيوطي جـ ١ ص ١٩٥ ط ٣.

(٣) سورة المائدة آية ٣.

والقاعـدة تقول ان العطف يقتضي المغايرة، تغليبـا للتأسيس على التأكيد يقول أبو هلال العسكري: الكمال اسم لاجتماع أبعاض الموصوف به، والتمام اسم للجـزء الذي يتم بـه الموصوف بـأنه تـام. ولهذا قال أصحـاب النظم: القـافيـة تمام البيت، ولا يقـال كمال البيـت. ويقـولـون: البيت بكمالـه أي باجتماعه.

ويقـــال هـذا تمام حقـك للبعض الـذي يتـم بـه الحق. ولا يقـــال كمال حقك[1]. ويرى الـراغب الأصفهـاني أن تمام الشيئ انتهاؤه الى حـد لا يحتاج معه الى خارج عنه. بخلاف الناقص الذي يحتاج الى ذلك الشيئ.

ويطلق التمام وصفا للمعـدود وغيره، فيقال: عـدد تام. وليل تـام. قال تعـالى: ﴿**وتمت كلمـــة ربك**﴾[2] وقـــال: ﴿**والله متم نـــوره ولـو كـــره الكافرون**﴾[3]. وقال سبحـانه: ﴿**واتممنـاها بعشر فتـم ميقات ربـه أربعين ليلة**﴾[4].

أما الكمال: فهـو حصول مـا فيه الغرض منـه. فقولـه تعالى ﴿**والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين**﴾[5] فيه تنبيـه الى أن تلك المدة هي غايـة ما يتعلق به صلاح الولد.

---

(١) الفروق في اللغة. لابي هلال العسكري ص ٢٥٨.

(٢) سورة الأنعام آية ١١٥. واللفظ في الاعراف آية ١٣٧. وهود آية ١١٩.

(٣) سورة الصف آية ٨.

(٤) سورة الاعراف آية ١٤٢.

(٥) سورة البقرة آية ٢٣٣.

وقوله تعالى ﴿**ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة**﴾[1] تنبيها انه يحصل لهم كمال العقوبة[2].

أما قوله تعالى ﴿**تلك عشرة كاملة**﴾[3] فليس الهدف بيان المجموع فقط. بل ليبين أنه بحصول صيام العشرة كاملة يحصل به كمال الصوم القائم مقام الهدى عند فقده[4].

والظاهر أن التمام لنفي النقص، والكمال لنفي العيب، والنقص منه، فهو أبلغ.

فالتتميم يرد على الناقص فيتممه، والتكميل يرد على التام فيكمله، فهو أمر زائد على التمام[5].

---

(١) سورة النحل آية ٢٥ .

(٢) انظر المفردات في غريب القرآن . للراغب الأصفهاني ص ١٠٠ ، ٦٦٣ .

(٣) سورة البقرة آية ١٩٦ .

(٤) انظر: مفردات الراغب الأصفهاني ص ١٠٠ ، ٦٦٣ .

(٥) فرائد اللغة ـ الجزء الأول في الفروق ، للاب هنريكوس لامنس ص ٣٨ .

(٨) السبيل والطريق

يعتقد بعض النـاس بترادفهما ودلالة أحدهما على كـامل معنى الآخر. غير أن البيان القرآني فضل استعمال لفظة «السبيل» على لفظـة «الطريق» في بيانه المعجز. يتضح ذلك من احصاء استعماله لكل لفظة منهما في بيانه . فقد جاء استعمال لفظة «السبيل» في اسلوب القرآن الكـريم ـ بمختلف تصاريفه ، في نحو مائة وأربعة وسبعين موضعا .

وكان استعمال لفظـة (الطريق) بتصـاريفها في نحو ــ أحد عشر مـوضعا فقط[١].

وحين نلتمس دواعي هـذا التفضيل الذي لم يأت جـزافا أو عبثـا نجد أن مـدار لفظـة السبيل على اليسر والسهـولـة والـوضـوح . اضـافـة الى أن تتبع استعماله يشير الى أنها أغلب وقوعا في الخير.

بينما لا يكاد اسم الطريق يراد به الخير الا مقترنـا بوصف أو اضافة تخلّصه لذلك . وتـدل عليه[٢]. كما في قـولـه تعـالى ﴿**يهدي الى الحق والى طـــريق مستقيم**﴾[٣].

---

(١) راجع في الاحصاء ١ ــ معجم الفاظ القـرآن الكريم/ وضع مجمع اللغـة العربيـة جـ ١ ص ٥٤٦ و٧٣٩.

٢ ـ معجم الألفـاظ والاعلام القرآنية/ محمد اسماعيل ابـراهيم جـ ١ ص ٢٥٦ وجـ٢ ص ٣١ .

(٢) انظر: ١ ـ القاموس المحيط جـ٣ ص ٣٩٢ .

٢ ـ مفردات الراغب الأصفهاني ص ٣٢٦ .

٣ ـ البرهان في علوم القرآن . للزركشي جـ ٤ ص ٨٠ ط ٢ .

(٣) سورة الاحقاف آية ٣٠ .

كما يغلب استعمال الطريق حين يكون الخطاب في مجال العتاب والتهديد للكفار والمنافقين ونحوهم. كما في قوله تعالى ﴿**ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم**﴾[1].

وقال ﴿**والّوا استقاموا على الطريقة لا سقيناهم ماء غدقا**﴾[2].

والطريق يطلق على كل ما يطرقه طارق معتادا كان أو غير معتاد[3]. أخذا من طَرْق أرجل السالكين لـه أي ضربها به. يقال: طرّق طـريقا سهلة حتى طرقه الناس بسيرهم[4].

قال تعالى ﴿**ولقد أوحينـا الى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طـريقا في البحر يبسا**﴾[5]. ولعلها اللفظة الوحيدة في القرآن. لدلالة الطريق على معناه الحسي.

ومنه أطلق الطريق على كل مسلك يسلكه الانسان محمودا كان أو مذموما لأنه يسير عليه.

ويقال في العـربية: هذا دأبك وطريقك أي طـريقتك ومذهبك[6]. قال تعالى ﴿**ويذهبا بطريقتكم المثلى**﴾[7].

---

(١) سورة النساء آية ١٦٨ ـ ١٦٩.

(٢) سورة الجن آية ١٦.

(٣) انظر: ١ ـ الكليات لأبي البقاء الحسيني ص ٤٢٣.
٢ ـ فرائد اللغة «الجزء الأول في الفروق» هنريكوس لامنس جـ١ ص ١١٩.

(٤) انظر: ١ ـ مفردات الراغب الأصفهاني ص ٤٥١.
٢ ـ اساس البلاغة للزمخشري ص ٥٨٣.

(٥) سورة طه آية ٧٧.

(٦) انظر: ١ ـ مفردات الراغب الأصفهاني ص ٢٥١.
٢ ـ معجم ألفاظ القرآن الكريم/ مجمع اللغة العربية ص ٧٣٩.
٣ ـ أساس البلاغة للزمخشري ص ٥٨٤.

(٧) سورة طه آية ٦٣.

أمـا السبيل فـانها تطلق على الطـريق الذي فيـه سهـولـة . فهي في المعنى الحسي أخص من الطـريـق . اذ هي تطلق على مـا هـو معتــاد السلـوك من الطريق .

فـالسابلـة من الطريق هي : المسلـوكة . ويقـال : أسبلت الطريق كثـرت سابلتها[١] .

ولفظة السبيل تقع على أوسع ممـا تقع عليه لفظة الطـريق . فيعبر بالسبيل عن المحجة . قال تعالى ﴿**قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة**﴾[٢] .

ويقال فلان عليه السبيل ، أي عليه التعدي والحجة . ويقال فلان ما عليه من سبيل اي من حجـة ، ولا يقال ما عليـه من طريق . قـال تعالى ﴿**ما على المحسنين من سبيل**﴾[٣] . وقال ﴿**انما السبيل على الـذين يستأذنـونك وهم أغنياء**﴾[٤] . . .[٥] .

فلو كـان ترادفهما كاملا وتـاما ، لصلح تبادلهما في كل سياق . وهـو ما لا يصح فدل ذلك على عدم ترادفها ترادفا تاما .

كما يلاحظ في البيـان القرآني ، اختصاص لفظة السبيل في إضـافتها إلى الله في كثير من الآيـات وهذا خلاف للفظـة الطريق ، فلـم تضف إليه سبحـانه أبدا . ولا يـؤثر هنا أكان المراد بسبيل الله الجهـاد خاصة ، أو مـا هو أعم من

---

(١) انظر : ١ ـ الكليات لأبي البقاء الحسيني ص ٤٢٣ .
٢ ـ مفردات الراغب الأصفهاني ص ٣٢٦ .
٣ ـ القاموس المحيط جـ ٣ ص ٣٩٢ .

(٢) سورة يوسف آية ١٠٨ .

(٣) سورة التوبة آية ٩١ .

(٤) سورة التوبة آية ٩٣ .

(٥) انظر : ١ ـ مفردات الراغب الأصفهاني ص ٣٢٧ .
٢ ـ الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري ص ٢٩٥ .

ذلك. قال تعالى ﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات﴾[1]. وقال: ﴿.. وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله﴾[2]. وقال سبحانه ﴿ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله﴾[3]. وغير ذلك من الآيات.

وورود السبيل في القرآن بمعنى الطريق الحسي، قليل. كما في قوله تعالى ﴿وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وانهارا وسبلا﴾[4].

وقال ﴿ولا جنبا الا عابري سبيل﴾[5] وفي هذا إشارة الى السرعة في المرور. وهو ما يتحقق بسهولة الطريق.

لكن يكثر في القرآن استعمال السبيل بمعناه المعنوي. كما في قوله تعالى ﴿ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل﴾[6]. وقوله ﴿وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾[7]. الى غير ذلك من الآيات.

فدلالة لفظة «السبيل» على اليسر والسهولة والوضوح. وكونها أغلب وقوعا في الخير، وفي الحديث مع المسلمين أو عنهم.

واختلاف اللفظتين في بعض مجالات الاستعمال. بحيث تصلح أحدهما دون الأخرى واختصاص لفظة السبيل بإضافتها الى الله سبحانه. وكثرة استعمالها في القرآن الكريم. دون لفظة الطريق.

كل ذلك. يدل على عدم قيام الترادف التام بين اللفظتين.

---

(١) سورة البقرة آية ١٥٤.

(٢) سورة التوبة آية ٦٠.

(٣) سورة الأعراف آية ٨٦.

(٤) سورة النحل آية ١٥.

(٥) سورة النساء آية ٤٣.

(٦) سورة البقرة آية ١٠٨.

(٧) سورة الأعراف آية ١٤٦.

(٩) الخوف والخشية

لا يكـاد اللغوي يفـرق بين «الخوف» و«الخشية»، فيـوردهما الكثيرون على أنهما لفظـان مترادفـان، يـؤدي كل منهما معنى الآخـر من غير فـرق. مع أن بينهما فرقا دقيقا.

اذ الخشية، أعلى مـرتبة من الخوف. وهي أشد الخوف، فـانها مأخوذة من قول العـرب: شجرة خشيـة إذا كانت يـابسة، وذلك فـوات بالكليـة، فهي ميتة. والخوف مـن قولهم: نـاقة خوفـاء، إذا كانـت مريضـة بها داء، وهذا نقص وضعف وليس بفوات.

والخشية: خوف مشـوب بتعظيم المخشي، صادر عن علم ويقين صادق ومعرفة بعظمته. حتى وإن كان الخاشي قويّا[١].

ولذلـك خص العلماء بالخشيـة في قولـه تعالى ﴿**انما يخشى الله من عبـاده العلماء**﴾[٢] وفي الحديث قـولـه ﷺ: فـوالله لأنا أعلمهم بـالله وأشـدهم لـه خشية[٣].

وخشيـة الله منـزلة رفيعـة، يختص بإدراكهـا فئـة معينـة من النـاس، هم العلماء، وأولوا العقـول والألباب، من المؤمنين والمتبعين للذكـر. ومن الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه.

---

(١) انظر: البرهان في علـوم القـرآن للزركشـي جـ ٤ ص ٧٨ ط ٣، مفـردات الراغـب الأصفهاني ص ٢١٣، البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن للزملكاني ص ٩١، الكليات لابي البقاء الحسيني ص ٣١٧.

(٢) سورة فاطر آية ٢٨.

(٣) اخرجه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها جـ ١٥ ص ١٠٦ ـ صحيح مسلم بشرح النووي ـ وأخرجه الإمام أحمد في مسنده جـ ٦ ص ٤٥، وانظر جـ ٦ ص ١٨١.

كما قال تعالى ﴿انما يخشى الله من عباده العلماء﴾[1].

وقال سبحانه ﴿رضى الله عنهم ورضوا عنه، ذلك لمن خشى ربه﴾[2].

وقال : ﴿انما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب﴾[3].

وهذا يجعلنا ندرك أن الخشية تحتاج الى فطر سليمة، وعقول راجعة تعرف الله حقه، وتشكر له فضله، وتقدره حق قدره. وتدرك عظمته فكأن الخشية خوف خاص، يصدر عن فئة معينة.

ولهذا يلفت النظر في القرآن الكريم الإشادة في أكثر من آية بالذين يخشون ربهم بالغيب. والإشارة إليهم ووعده لهم بالمغفرة، وزفه البشرى لهم بذلك مع الأجر الكبير، والكريم.

وما ذاك الا لحاجة هذا النوع من الخشية. الى الايمان الثابت، واليقين الصادق والى العلم الراسخ. ومصداق ذلك قوله تعالى :

﴿إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم﴾[4].

وقال سبحانه ﴿إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير﴾[5].

وقال عز من قائل ﴿من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب﴾[6].

وقوله ﴿الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون﴾[7].

---

(١) سورة فاطر آية ٢٨.

(٢) سورة البينة آية ٨.

(٣) سورة يس آية ١١.

(٤) سورة يس آية ١١.

(٥) سورة الملك آية ١٢.

(٦) سورة ق آية ٣٣.

(٧) سورة الأنبياء آية ٤٩.

وقال تعالى ﴿انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب﴾[1].

أما الخوف: فانه توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومه.

كما أن الرجاء والطمع توقع محبوب عن أمارة مظنونة أو معلومة. لأنه اذا تيقن النفع لم يكن راجيا له.

وكذلك إذا تيقن الضرر، لم يكن خائفا من وقوعه[2]. وانما يفزع الى الحزن على ما أصابه من مكروه، ولحقه من ضرر. فالخوف علة المتوقع، والحزن علة الواقع[3].

والخوف يكون غالبا من ضعف الخائف، وان كان المخوف امرا يسيرا، وشيئا هينا، كما قد يكون عن تسلط بالقهر والارهاب.

قال تعالى ﴿يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون﴾[4]. قيل أي لا يكون عندك من ضعف نفسك ما تخاف منه من فرعون[5]. وضد الخوف، الأمن. قال تعالى ﴿وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا﴾[6].

أما قوله تعالى ﴿يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾[7].

---

(١) سورة فاطر آية ١٨.

(٢) انظر: مفردات الراغب الأصفهاني ص ٢٢٩، الفروق في اللغة. لابي هلال العسكري ص ٢٣٥، التحفة النظامية في الفروق الاصطلاحية على اكبر النجفي ص ٦٨. وانظر التعريفات للجرجاني ص ٥٤.

(٣) انظر: الكليات لأبي البقاء الحسيني ص ٣١٧.

(٤) سورة النمل آية ١٠.

(٥) انظر: ١ ـ البرهان في علوم القرآن، للزركشي جـ ٤ ص ٧٨ ـ ٧٩.
٢ ـ الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق/ بنت الشاطئ ص ٢٠٩.

(٦) سورة النور آية ٥٥.

(٧) سورة النحل آية ٥٠.

فلعلـه لأن الحديث لما كان عن الملائكـة وهم أقويـاء، أشداء، أراد ذكـر صفتهم بين يديـه. وأنهم عند الله ضعفـاء. فكأن المعتبر هنا ضعف الخائف أكثر من بيان عظمة المخـوف. هذا من حيث اللفظ. لكن المعنى اتبع بذكر فوقيته سبحانه عليهم الدالة على عظمته. ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾[1].

فيكـون اجتمع في الآيـة. عظمة الله سبحـانـه وفوقيتـه، مع ذكـر ضعف الملائكة الأقوياء، لديه[2].

ومما يـدل على الفـرق بين لفظتي «الخشيـة» و «الخوف» أنهمـا جـاءا متعاطفين. والأصل أن العطف يقتضي المغايرة.

قال تعالى ﴿**والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء العذاب**﴾[3] وقال سبحانه ﴿**فاضرب لهم طريقـا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى**﴾[4].

وجاء قوله تعالى ﴿**وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذريـة ضعافا خافوا عليهم**﴾[5].

ومما يلاحظ في البيان القرآني المعجز النهي عن الخوف والحزن معا، والنفي لهما جميعا في سبعـة عشر موضعا من القرآن الكـريم. وهو ما لم يـرد ذكره مع الخشية مما يوحي باختلاف الخشية عن الخوف، وقيام فروق دقيقة بينهما يشير اليها الاستعمال القرآني الكريم لهما.

---

(١) سورة النحل آية ٥٠.
(٢) انظر: البرهان جـ ٤ ص ٩٧.
(٣) سورة الرعد آية ٢١.
(٤) سورة طه آية ٧٧.
(٥) سورة النساء آية ٩.

فكأن الخوف قـريـن الحزن، وان مشـاعـرهما تختلط في أغلـب الأحيـان . فكأنك لم تخف الا حين رأيت بوادر مـا تكره وقـوعه . وتخاف ضرره، وتحزنك آثاره. فكأن الخوف لا يدفع الضرر.

أما إذا خشيت فـإنك غالبا تتقـي مصير ما تخشى ﴿**ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون**﴾[1] .

فكأن الخشية غـالبا مـا تكون ادراك عقلي مبكر لـلأشياء، وتقـدير سليم للأمور فهي تكـون من المستقبل غالبا . وهذا يـدفع الى اتقاء المخشي مبكرًا . والحذر من الوقوع فيما خشي منه .

مما يشير الى أن الخشيـة غالبـا ما تكون مـرغوبـة ، فهي صادرة عن معـرفة وادراك . فتكون في محلها ـ أو هكذا ينبغي ـ بخلاف الخوف . فقد جاء النهي عنه في القرآن الكريم كثيرا . مما يشير الى أن الخوف خصلـة ليست مرغوبة في الغالب . اذ لا يكون الخوف في محله غالبا . لانه ليس صادرا عن معرفة .

وانما يحدث بعد فوات الأوان، فلا ينفع اتقاء الضرر، فالخوف شعور معين في مواجهة واقع مريـر أو حدث خطير وشيك الوقوع غالبا مـا يكون قد فات وقت اتقائه .

والآيـات التي يقترن بها النهي عن الخوف والحزن، أو النفي لهما معـا كثيرة جدا في القرآن الكريم تلفت الفكر، وتستوقف النظر.

كما في قوله تعالى : ﴿**تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا**﴾[2] .

وقوله سبحانه ﴿**فإذا خفت عليه فألقيـه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنّا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين**﴾[3] .

---

(١) سورة النور آية ٥٢ .

(٢) سورة فصلت آية ٣٠ .

(٣) سورة القصص آية ٧ .

ويقول سبحانه ﴿**فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾[١].

وقال ﴿**قالوا لا تخف ولا تحزن إنـا منجوك وأهلك إلا امرأتك**﴾[٢]. ومعها آيـات كثيرة في البقـرة ٦٢، ١١٢، ٢٦٢، ٢٧٤، ٢٧٧. وآل عمـران، ١٧٠، المائدة، ٦٩، الأنعـام، ٤٨. الأعراف، ٣٥، ٤٩. ويـونس ٦٢، والزخرف ٦٨، والاحقاف، ١٣.

والخشية في القرآن الكـريم تكون في الحياة الدنيا، دون الآخـرة، لان الدنيا هي مكـان الابتلاء والاختبـار، وفيها تنفع معـرفة الله وتعظيمـه، وخشيته[٣] والخشية حين تتعلق بذات، فانها لا تقر ـ في القرآن الكريم ـ الا اذا كانت لله وحده قال تعالى ﴿**فلا تخشوا الناس واخشون**﴾[٤]. وقال ﴿**وتخشى الناس والله أحق أن تخشـاه**﴾[٥] وقال ﴿**انما تنـذر من اتبع الـذكـر وخشى الـرحمن بالغيب**﴾[٦].

أما اذا تعلقت الخشية في القرآن بأمر فـانه لابد أن يكون ذلك الأمر كبيرا اذ هو الغيب أو السـاعة، أو اليوم الآخـر، ونحو ذلك مما هـو صريح في آيات القرآن الكريم[٧].

---

(١) سورة البقرة آية ٣٨.

(٢) سورة العنكبوت آية ٣٣.

(٣) انظر: الاعجاز البياني للقرآن، ومسائل ابن الأزرق. بنت الشاطئ ص ٢٠٩.

(٤) سورة المائدة آية ٤٤.

(٥) سورة الأحزاب آية ٣٧.

(٦) سورة يس آية ١١.

(٧) الإعجاز البياني للقرآن، ومسائل ابن الأزرق/ بنت الشاطئ ص ٢٠٩.

(١٠) اليأس والقنوط

اليأس قيل هو القنوط . وهو ضد الرجاء[1].

وقيل هو: انتفاء الطمع ، وانقطاع الرجاء من الشيء [2].

واليأس قد يكون قبل الأمل ، وقد يكون بعده . قال تعالى ﴿**حتى اذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين**﴾[3].

وقال سبحانه مبينا حالة أُخوة يوسف حين انقطع بهم الأمل في محاولتهم العودة بأخيهم الى أبيهم قال تعالى ﴿ **قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين . قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون . فلما استيئسوا منه خلصوا نجيّا قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين**﴾[4].

ومما يلفت النظر في استعمال القرآن الكريم إسناده اليأس الى الكفار في أكثر من آية ورد بها ذكر اليأس .

---

(١) انظر: لسان العرب جـ ٣ ص ١٠٠٢ ، القاموس المحيط جـ ٢ ص ٢٦٠ .

(٢) انظر: مفردات الراغب الأصفهاني ص ٨٥٠، الكليات لأبي البقاء الحسيني ص ٧١٣، فرائد اللغة جـ ١ ص ٢٩٧ .

(٣) سورة يوسف آية ١١٠ .

(٤) سورة يوسف آية ٧٨، ٨٠ .

قال تعالى ﴿**اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون**﴾[١].

وقال تعالى ﴿**يا أيها الذين آمنو لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور**﴾[٢].

وقال سبحانه ﴿**ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون**[٣]﴾ ويقول سبحانه ﴿**ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليئوس كفور**﴾[٤] فاليأس قرين الكفر.

أما قوله تعالى ﴿ . . **أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا** . . . ﴾[٥] فقد فسرت بمعنى العلم.

قال صاحب الكليات: كل يأس في القرآن فهو قنوط الا التي في الرعد فانها بمعنى العلم[٦]. قيل: يأس بمعنى علم في لغة النخع[٧]. وقيل على لغة هوازن[٨]. وعن ابن عباس: أفلم ييأس معناها: أفلم يعلم بلغة بني مالك واستشهدوا على هذا بقول سحيم:

أقول لهم بالشّعب اذ ييسرونني ... ألم تيأسوا أني ابن فارس زهدم[٩]

---

(١) سورة المائدة آية ٣.

(٢) سورة الممتحنة آية ١٣.

(٣) سورة يوسف آية ٨٧.

(٤) سورة هود آية ٩.

(٥) سورة الرعد آية ٣١.

(٦) الكليات لأبي البقاء الحسيني ص ٧٠٦.

(٧) انظر: ١ ـ المصباح المنير جـ ٢ ص ٨٥٥.
٢ ـ بصائر ذوي التمييز جـ ٥ ص ٣٧٥.

(٨) انظر: لسان العرب جـ ٣ ص ١٠٠٢.

(٩) انظر: الاتقان في علوم القرآن للسيوطي جـ ١ ص ١٢١.

وكذلك قول مالك بن عوف :

لقد يئس الأقوام أني أنا ابنه　　　وان كنت عن أرض العشيرة نائيا[١].

ويقول الراغب الأصفهاني ﴿**أفلم ييأس الذين آمنوا**﴾[٢] قيل : معناه : أفلم يعلموا . ثم قال : ولم يرد في كلامهم أن اليأس موضوع للعلم ، وانما قصد أن يأس الذين آمنوا من ذلك يقتضي أن يحصل بعد العلم بانتفاء ذلك[٣].

وترى بنت الشاطئ أنه لا بعد في فهم هذه الكلمة هنا بالمعنى الذي جاء به استعمال القرآن الكريم لهذه المادة في غير هذه الآية . وأن يفهم من هذه الآية أنها حث للمؤمنين للقنوط من الكفار . وعدم التعلق بحمل الناس جميعا على الايمان[٤].

فيمكن أن نفهم تفسير ييأس ـ هنا ـ بمعنى يعلم ، مرورا بمعنى القنوط كأن المراد أن اليأس ــ هنا ينبغي أن يتمكن لدرجة أن يتحول الى حقيقة قائمة . ينبغي العلم بها ، بل يتعين .

فإن مشيئة الله اقتضت كونا وقدرا ألا يكون الناس أمة واحدة لان في هذا حكما واهدافا كثيرة وكبيرة . تفوت بكون الناس أمة واحدة . فشاء الله واقعا خلاف هذا .

وهذا هو واقع الحال . فهي حقيقة صارخة ، وعلامة بارزة ينبغي أن تعلم حق العلم . فهي إحدى نواميس هذا الكون .

---

(١) استشهد به ابن عباس ضمن مسائل ابن الأزرق . انظر: الاتقان جـ ١ ص ١٢١ . وأورده الزمخشري في أساس البلاغة ص ١٠٧٢ على هذا النحو من غير نسبة الى قائل :

ألم تيأس الأقوام أني أنا ابنه　　　وان كنت عن عرض العشيرة نائيا

(٢) سورة الرعد آية ٣١ .

(٣) مفردات الراغب الأصفهاني ص ٨٥١ .

(٤) انظر: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق/ د. عائشة عبد الرحمن «بنت الشاطئ» ص ٢٨٨ .

فليست المسألة خيال انسان يجنح ويأمل وحدة الناس جميعا. وانتهاء الصراع في هذه الحياة. فلله الأمر جميعا، ولله الامر من قبل ومن بعد. مصداق هذا في اكثر من آية قال تعالى **﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾**[1]. وقال تعالى **﴿ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين﴾**[2]. وقال سبحانه **﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم﴾**[3]. والأيات في هذا المعنى كثيرة.

وأما القنوط. فقيل هو اليأس[4].

وقيل انه أشد اليأس[5]. وعرفه الراغب بأنه: اليأس من الخير[6]. فهو إذاً أخص من مطلق اليأس.

وعرفه صاحب المصباح المنير بأنه الإياس من رحمة الله تعالى[7]. وتخصيص القنوط بالإياس من الرحمة. يشهد له أكثر من آية جاء بها ذكر القنوط.

قال تعالى **﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم﴾**[8].

---

(١) سورة يونس آية ٩٩.

(٢) سورة الانعام آية ٣٥.

(٣) سورة المائدة آية ٤٨.

(٤) انظر: لسان العرب جـ ٣ ص ١٣٢ وتاج العروس جـ ٥ ص ٢١٣.

(٥) المصدرين السابقين، وفرائد اللغة هنريكوس لامنس جـ ١ ص ٢٩٧، والفروق في اللغة لأبي هلال العسكري ص ٢٤٠.

(٦) مفردات الراغب الأصفهاني ص ٦٢٤.

(٧) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي جـ ٢ ص ٦٢٥.

(٨) سورة الزمر آية ٥٣.

وقال سبحانه ﴿**قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين. قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون**﴾(١).

ويقول سبحانه ﴿**وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته**﴾(٢) وهذه نسبة كبيرة اذا علمنا أن القنوط ورد في القرآن الكريم في ست آيات.

فالقنوط أخص من اليأس. سواء أكان تعريفه أنه أشد اليأس وأبلغه. أو أنه اليأس من الخير. أو اليأس من رحمة الله وهي جزء من الخير. أما قوله تعالى ﴿**لا يسئم الانسان من دعاء الخير وان مسه الشر فيؤس قنوط**﴾(٣)

فمن البعيد أن المراد باجتماع اللفظتين مجرد المبالغة والتأكيد؛ لأن ذلك متحقق بالبناء على فعول ـ يؤس، قنوط ـ لكن اضافة الى تأكيد المعنى فيه إيضاح لحالة الإنسان المترددة بين الالحاح بطلب الخير والحرص عليه والطمع فيه ثم الانتكاس الى اشد اليأس وانقطاع الامل حين يمسه الشر، مع القنوط وانتفاء الرجاء من مجيئ رحمة الله.

وقيل إن اليأس من صفة القلب، والقنوط ظهور آثار هذا اليأس على الوجه والأحوال الظاهرة فيتضاءل وينكسر، وينقطع رجاؤه من فضل الله ورحمته(٤). قال تعالى ﴿**يابني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون**﴾(٥).

---

(١) سورة الحجر آية ٥٥ ـ ٥٦.

(٢) سورة الشورى آية ٢٨.

(٣) سورة فصلت آية ٤٩.

(٤) انظر: تفسير الكشاف للزمخشري جـ ٣ ص ٤٥٧، وتفسير الرازي جـ ٢٧ ص ١٣٧.

(٥) سورة يوسف آية ٨٧.

ونخلص الى أن سياق الآيات، وتخصيص إسناد اليأس الى الكفار يوحي بأن اليأس أعم من القنوط. قال تعالى **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور﴾**[1].

فيأس الكفار من أصحاب القبور تحول الى مَثَلٍ ـ هنا ـ وهذا يشير الى مقدار ما بلغ من نفوسهم انكار البعث، كما يوحي بأن اليأس أشد من القنوط لتحوله مثلا. وسياق آيات القنوط يشير الى تخصيصه بالإياس من الرحمة. فالقنوط أخص من اليأس، وحينئذ قد لا يكون أقل منه شدة. قال تعالى **﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾**[2] وقال **﴿قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون﴾**[3].

---

(١) سورة الممتحنة آية ١٣.

(٢) سورة الزمر آية ٥٣.

(٣) سورة الحجر آية ٥٦.

(١١) التلاوة والقراءة

التـلاوة والقراءة. لفظـان متقاربـان في المعنى، بينهما فـروق دقيقة فليسـا مترادفين ترادفا تاما.

وذلك أن التـلاوة غـالبـا مـا تستعمل في مـواقف الاجـلال والاحترام، والتعظيم إضـافـة الى أنها أحيـانـا تعني القـراءة بتنغيم معين، ولهذا يغلب استعمالها عند الاشـارة الى قراءة القـرآن الكريم[1]. بل خص بها ــ صـاحب الكليات ــ قراءة القـرآن الكريـم بقوله: التـلاوة، هي قـراءة القرآن متتـابعة كالدراسـة، والأوراد الموظفة[2] ويـرى التهانـوي ان هـذا التعريف انما هـو تعريف القراء[3].

ثم ان أصل التلاوة في اللغـة مأخوذ من اتباع الشيئ الشئ، يقـال تلاه اذا تبعـه. ومن ثم تكـون التـلاوة في الكلمات الكثيرة حيث يتبع بعضهـا بعضـا وبذلك يتحقق معنى التلو. وهذا لا يكون في الكلمة الواحدة. فتقول قرأت الكلمـة، ولا تقـول تلـوتها، لأنـه لا يصح فيهـا معنى التلـوإذ لا تـابع لها مادامت كلمة واحدة[4] والتلاوة في الغـالـب تختص بأتباع كتب الله المنـزلة، تارة بالقـراءة لها، وتارة بالارتسام لما فيها من أمـر، ونهي، وترغيب، وترهيب ونحو ذلك.

---

(١) انظر: دور الكلمة في المعنى. استيفن أولمان، ترجمة وتعليق/ د. كمال بشر. حاشية ص ٩٨.

(٢) انظر: الكليات. لأبي البقاء الحسيني ص ٢٢٦.

(٣) انظر: مصطلحات العلوم والفنون. للتهانوي جـ ١ ص ١٧١.

(٤) انظر: ١ ـ الفروق في اللغة. لابي هلال العسكري ص ٥٤.
٢ ـ تاج العروس جـ ١٠ ص ٥٢.
٣ ـ مفردات الراغب الأصفهاني ص ١٠٠.

وبهذا تكون التلاوة أخص من القراءة، فكل تلاوة قراءة، وليس كل قراءة تلاوة، فالقراءة أعم. ـ فقوله تعالى ﴿**واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد أباؤكم**﴾[1] الآية.

هذا في القراءة، وقوله ﴿**الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته**﴾[2]. المراد بالتلاوة هنا الاتباع له بالعلم والعمل. ولهذا لا يفي بمعنى الآية تفسير التلاوة هنا بالقراءة. لان المعنى ليس يقرؤونه حق قراءته.

وهذا دليل على أن اللفظتين ليستا مترادفتين ترادفا تاما؛ لانهما لا تتبادلان في كل سياق.

وفي الغالب لا يقال. تلوت رسالتك ـ مثلا ـ وإنما يقال قرأتها. انما يقال التلاوة للقرآن الكريم. لانه يجب اتباعه.

كما تطلق على الشيئ اذا قرأته وجب عليك اتباعه من الأوامر والخطابات التي لها احترام وإجلال[3].

(١) سورة سبأ آية ٤٣.

(٢) سورة البقرة آية ١٢١.

(٣) انظر: ١ ـ مفردات الراغب الأصفهاني ص ١٠٠.

٢ ـ التحفة النظامية في الفروق الاصطلاحية. على اكبر النجفي ص ٥٠.

٣ ـ مصطلحات العلوم والفنون للتهانوي جـ ١ ص ١٧١.

٤ ـ لسان العرب جـ ١ ص ٣٢٩.

(١٢) هـرب، أبـق، فـرّ

ليس من الـدقة في شيء، أن نفسر هـرب بأبق، أو العكس، زاعمين أنهما بمعنى واحد سواء، وأن نفهـم انها ألفاظ مترادفة ترادفا تـاما، يفي كل منهما بمعنى الآخر كاملا. كما يتبادر ذلك لبعض الفئات.

ومـا تفسير أحدهما بـالآخر الا من بـاب التقريب للمعنى، لا على وجـه التحديد الدقيق فالنظرة المتـأنّية الى معاني هذه الألفاظ، في النصوص المعتبرة خصوصـا في البيان القـرآني، توحي بـاختصاص كـل كلمة منهـا، بمعان، وظلال، وصور، لا تدل عليها اللفظة الأخرى. وان دلت على بعضها.

فأبق: لفظة لصيقة بالعبودية، ومقترنة بالرق، فهي والعبد قرينان. وهذا ما يدركه صاحب الحس المرهف، والذوق السليم. وهو ما يتبادر إلى الذهن حين تطرق هذه اللفظة أذن السامع.

وتفسّر قواميس اللغـة الاباق بأنه: هروف العبيد وذهـابهم من غير خوف ولا كد عمل. وغالبا ما يكون الى حيث لا يهتدي اليهم لطلب.

وأن التأبق: يعني الاستخفاء، ومن ثم الهرب[1]. فهو إذاً تصرف معين، يختص بحالـة خاصة هي هـروب العبد المملوك من مالكـه وسيده. والتعبير بأبق في قوله تعالى عـن يونس عليه السلام ﴿**وان يونس لمن المرسلين، اذ أبق الى الفلك المشحـون، فسـاهم فكـان من المدحضين، فالتقمـه الحوت وهـو مليم**[2]﴾. لعله لهروبه من قومه بغير إذن ربه فكان بذلك مليما.

(١) انظر: ١ ـ لسان العرب جـ١ ص ٧.
٢ ـ القاموس المحيط جـ٣ ص ٢٠٨.
٣ ـ المصباح المنير جـ١ ص ٦.
٤ ـ تفسير النسفي جـ٤ ص ٢٨.

(٢) سورة الصافات الآيات ١٣٩ ـ ١٤٢.

ثم ان في اختيار هذا اللفظ إشارة، وتنبيه الى عبوديته لله، وانه ما كان له أن يتصرف بغير اذن ربه، سيده وخالقه. فجاءت لفظة أبق هنا أصدق وأدق في تحقيق المراد. والاشارة الى العبودية لله سبحانه.

أما الهرب فهي لفظة توحي بأنها محاولة الاختفاء عن الأنظار والنجاة من المطاردة والتعقب «وأهرب: جد في الذهاب والفرار مذعورا أو غير مذعور»[1] قال تعالى ﴿**وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربا**﴾[2]. وكأن الهرب مسبوق بشيئ من الترتيب، والتفكير وذلك بخلاف الفرار. اذ الفرار ما هو الا الروغان والهرب من شيئ مخوف[3]. ويكون ذلك للإنسان أو غيره من الحيوانات فهو حركة غير شعورية، اذ هي ردة فعل لأمر مرعب، وشيئ مخيف، ولا تكون غالبا الا في مواجهة موقف عصيب. من موت، أو قتل أو منظر مرعب أو نحو ذلك.

وهذا ما نخرج به من تتبع استعمال هذه اللفظة في القرآن الكريم. قال تعالى ﴿**لو اطلعت عليهم لولّيت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا**﴾[4] وذلك في وصف حالة أهل الكهف، وليس هناك من لفظة يمكن أن يفسّر بها الفرار تقوم بتصوير مثل هذا الموقف. والتعبير عنه.

فالفارّ لا يلوي على شيئ، ولا يهدف لأكثر من النجاة بجلده. وهذا ما يوحي به القرآن الكريم في مختلف استعمالاته للفظة الفرار. وإننا لنسلبها

---

(١) انظر: ١ ـ تاج العروس جـ ١ ص ٥١٤.
٢ ـ مختار الصحاح ص ٦٩٣.
(٢) سورة الجن آية ١٢.
(٣) انظر: ١ ـ تاج العروس جـ ٣ ص ٤٦٧.
٢ ـ القاموس المحيط جـ ٢ ص ١٠٨.
(٤) سورة الكهف آية ١٨.

الكثير من معناها، حين نفسّرها بـأي لفظة أخرى من الهروب وغيره، إذا كنا نعتقد بأنها مرادفة لها. وأنها تفي بكامل معناها.

نعم ان كـان ذلك مـن بـاب التقـريب، والتقـريـب فقط، مع الاعتقـاد بقصورها عن نقل كامل المعنى، والظلال للفظة الفرار.

وقوله تعالى ﴿**كأنهم حمر مستنفرة، فرت من قسورة**﴾[1]. يحفر في الذهن صـورة بليغة رائعـة للحمر وهي تفـر من وجـوه الأسد لا تلـوي على شيء ولا تجمعها جهة.

وهذا معنى لا يمكن أن ترسمه أيّة لفظـة أخرى في ذهن من يقرأ هذه الآية كما تفعل لفظة ـ الفرار.

وفي قولـه تعالى ﴿**ففـررت منكم لما خفتكم**﴾[2] اشارة الى أن الفـرار قرين الـرعب والخوف. كما في قـوله تعـالى ﴿**قل ان الموت الـذي تفرون منـه فانـه ملاقيكم**﴾[3].

ويقول سبحانه ﴿**قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل وإذاً لا تمتعون الا قليلا**﴾[4].

وفي قوله تعالى ﴿**ففروا الى الله اني لكـم منه نـذير مبين**﴾[5] تنبيه الى أهمية المسارعـة في تصديـق الرسول والايمان بـه، والاستجابـة له، تصـل الى درجة الفرار، حيث لا مجال للتروي والتفكير، بـل لا داعي له، في قبول مثـل هذه الدعوة الـواضحة الصريحة التي تتوفر فيهـا مقومات قوتها وصـدقها وقبولها.

---

(١) سورة المدثر آية ٥٠ ـ ٥١.
(٢) سورة الشعراء آية ٢١.
(٣) سورة الجمعة آية ٨.
(٤) سورة الاحزاب آية ١٦.
(٥) سورة الذاريات آية ٥٠.

كيف لا، والداعي نذير لهم، والنذيـر لا يكون إلا في التحذير من أمر خطير وشيك الوقوع.

وهكذا يظهر أن الفرار غالبا مـا يكون ردة فعل عاجلة لموقف مخيف. فهو قرين الخوف، والرعب، والمواقف العصيبـة كما قال تعالى ﴿**يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه**﴾(١). وفي مثل هـذه المواقف لا مجال للتفكير والتروي. ومن هنا صدر من الإنسان والحيوان. ﴿**كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة**﴾(٢).

فالاباق: قرين الرق والعبودية. فهو حالة خاصة من فئة معينة.

والفـرار: حـركة غير شعـوريـة من إنسـان أو حيـوان في مواجهـة مـوقف عصيب أو منظر مرعب مخيف.

والهروب: غير ما تقدم، وغالبا ما يكون نتيجة ترو، وتفكير.

---

(١) سورة عبس آية ٣٤.

(٢) سورة المدثر آية ٥٠ ـ ٥١.

(١٣) القعود والجلوس

من أمثلـة القائلين بـالترادف؛ القعود والجلـوس، وأنهما لفظان مترادفـان بمعنى واحد من غير فرق.

غير أن القائلين بـالفروق يقـولون: نحن نقـول: إن في قعد معنى ليس في جلس، ألا ترى أنا نقول: قام ثم قعد، وأخذه المقيم والمقعد، وقعدت المرأة عن الحيض، وتقـول لنـاس مـن الخوارج قعـد، ثم تقـول كـان مضطجعـا فجلس، فيكون القعـود عن قيام، والجلـوس عن حالـة هي دون الجلوس، لان الجلس المرتفع. والجلوس ارتفاع عما هو دونه[(١)].

فأصل الجلس: الارتفاع في الشيئ[(٢)]، وجلس في أصلها أن يقصد بمقعده جلسـا من الأرض. ومن هنـا سمي النجـد جلسـا، فتقـول: جلس القـوم بمعنى أنجدوا، ورأيتهم يعدون جالسين أي منجدين[(٣)].

فأصل اشتقـاق الكلمـة يـؤيـد القـائلين بـالفـروق بين اللفظتين، وأن الجلوس: هو الانتقال من السفل إلى العلو، والقعود بعكس ذلك، الانتقال من علو الى سفل. جـاء في المصباح المنير. الجلوس غير القعود فـان الجلوس هو الانتقال من سفل الى علو، والقعود هو الانتقال من علو إلى سفل. فعلى

---

(١) الصاحبي لابن فارس ص ٩٦. وانظر المزهر للسيوطي جـ ١ ص ٤٠٤.
(٢) معجم مقاييس اللغة. لابن فارس جـ ١ ص ٤٧٣.
(٣) انظر: ١ ـ الصحاح في اللغة والعلوم. للجوهري جـ ١ ص ١٩٩ ط ١.
٢ ـ اساس البلاغة للزمخشري ص ١٣٠.
٣ ـ مفردات الراغب الأصفهاني ص ١٣٤.

الاول يقـال لمن هو نـائم أو ساجـد اجلس. وعلى الثاني يقـال لمن هو قـائم أقعد[1].

يؤيد هذا المفهوم حديث شهادة الزور؛ فعن عبد الرحمن بن أبي بكرة رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: ألا انبئكم بأكبر الكبـائر (ثلاثا)؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: الاشراك بالله، وعقوق الوالدين، ـ وجلس وكان متكئا ـ فقال: ألا وقـول الزور. فما زال يكررها حتى قلنـا: ليته سكت[2] ففي قوله ـ وجلس وكان متكئا ـ تأييد للذين يلحظون الفرق بين اللفظتين.

وحكي عن النضر بن شميل أنه دخل على المأمون عند مقدمه مرو، فمثل بين يديـه وسلم، فقال له المأمون: اجلس. فقـال: لا أقول إن أمير المؤمنين لحن، ولكن الجلوس عن اضطجاع. قال: فكيـف تقول؟ قال: قل اقعد. فإن القعود عن القيام، فأمر له بجائزة[3].

وهذا الأمـر يعتبر عند المقـابلة بين الصفتين. وبها يـزداد الأمر وضـوحا، فيقـال: القيام والقعـود، كما يقال: الحركـة والسكـون، وكما يتقابل الحمـد والذم، والشكر والكفـر. ولهذا لا يقال: القيام والجلوس. وانما يقـال: قعد الرجل عن قيام. وجلس عن ضجعة واستلقاء.

يقول ابن فارس في معجـم مقاييس اللغة: «يقال جلس الـرجل جلوسا، وذلك يكون عن نـوم واضطجاع، وإذا كـان قائما كـانت الحال التي تخالفها القعود، يقال قام وقعد، وأخذه المقيم والمقعد[4].

---

(١) المصباح المنير في غـريب الشـرح الكبير جـ١ ص ١٢٨، وانظر: الكليـات لأبي البقـاء الحسيني ص ٥٢٦، وفرائد اللغة جـ١ ص ٥٧. للأب هنريكوس لامنس.

(٢) أخرجه البخاري، فتح الباري جـ٥ ص ٥٦١.

(٣) انظر: ١ ـ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ـ للرماني والخطابي والجرجاني ص ٣١.
٢ ـ وانظر: مقدمتان في علوم القرآن. نشر أرثر جيفر. ص ١٩٠.

(٤) معجم مقاييس اللغة. لابن فارس جـ١ ص ٤٧٣.

ويقول عن القعـود: وهو يضاهي الجلوس وان كـان يتكلم في مواضع لا يتكلم فيها بالجلوس[1].

ومما تقدم تتضح دقة الراغب الأصفهاني في تعريفه للقعود. بالمقابلة حيث يقول: «القعود يقابل به القيام»[2].

وقد جـاء تقابلهما في القرآن الكـريم في اكثر من آيـة من غير عكس. قال تعالى: ﴿. . **فاذكـروا الله قياما وقعـودا وعلى جنوبكم**﴾[3]. وقال سبحانه: ﴿**الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم، ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا مـا خلقت هذا بـاطلا سبحـانك فقنا عـذاب النار**﴾[4] ويقول سبحانه ﴿**واذا مس الانسان الضر دعـانا لجنبـه أو قاعـدا أو قائما**﴾[5]. وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال «كـان النبي ﷺ يخطب قائما ثم يقعد ثم يقوم. كما تفعلون الآن»[6].

ومثلـه حديث نـافع عن عبـد الله قال: «كـان النبي ﷺ يخطب خطبتين يقعد بينهما»[7] ويمكن أن نفهـم أن الخطبة في حـال القيام من قـوله ــ يقعد بينهما. اذ القعـود لا يكـون الا عن قيـام. وهذه إحـدى فـوائد الفـروق بين الألفاظ. وتحري الدقة في تحديد معانيها.

فليس الامر إذاً كما يـراه الفارابي وجماعة من أن الجلوس نقيض القيـام فهو أعم من القعود[8].

---

(١) معجم مقاييس اللغة. لابن فارس جـ ٥ ص ١٠٨.

(٢) مفردات الراغب الأصفهاني ص ٦١٧.

(٣) سورة النساء آية ١٠٣.

(٤) سورة آل عمران آية ١٩١.

(٥) سورة يونس آية ١٢.

(٦) أخرجه البخاري. فتح الباري جـ ٢ ص ٤٠١.

(٧) اخرجه البخاري. فتح الباري جـ ٢ ص ٤٠٦.

(٨) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير جـ ١ ص ١٢٨.

أما ثـاني الفروق بين القعود والجلـوس، فهو أن القعود لما فيـه لبث وطول مكث، بخلاف الجلـوس. ولهذا يقال قواعد البيت، ولا يقـال جوالسه[1].

قال تعالى: ﴿**واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل**﴾[2].

وفي معنى اللبث والبقاء يقول تعالى ﴿**فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون**﴾[3].

ومن هـذا المفهوم جـاءت تسمية المرأة الكبيرة في السن، التي قعـدت عن الحيض، والتزوج؛ قاعد، وجمعها قواعـد؛ لانها غالبا تكون قعيدة البيت لا تبرحه، ولا تتحول عنه.

قال تعالى ﴿**والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا**﴾[4].

ومن هنا يقال: جليس الملك، ولا يقال قعيده[5]، إذ أن من حسن أدب الجليس عدم المكث الطويل مراعـاة وتقديرا لمختلف الاحوال. بينما الجلوس يـدل على سرعـة التحول، والتغير. قـال تعـالى ﴿**واذا قيل لكم تفسحـــوا في المجالس فـافسحوا يفسح الله لكم**﴾[6]. فلفظـة المجـالس أنسب وأدق من لفظة المقاعد.

أما في قوله تعالى عن مصير المتقين في الآخرة: ﴿**إن المتقين في جنات ونهر، في مقعد صـدق عند مليـك مقتدر**﴾[7] فهـو يـدل على إكـرام الله للمتقين،

---

(١) انظر: ١ ـ الكليات لأبي البقاء الحسيني ص ٥٢٦.
٢ ـ فرائد اللغة للاب هنريكوس لامنس جـ ١ ص ٥٧.

(٢) سورة البقرة آية ١٢٧.

(٣) سورة المائدة آية ٢٤.

(٤) سورة النور آية ٦٠.

(٥) الكليات لابي البقاء ص ٥٢٦.

(٦) سورة المجادلة آية ١١.

(٧) سورة القمر آية ٥٤ ـ ٥٥.

فطول الجلـوس والاقامة في هـذا المقام من أكبر النعم للمـؤمنين ولهذا كانت لفظة ـ مقعد ـ في الآية أصدق وأدق وأبلغ من ـ مجلس ـ .

وملحظ اختصاص ـ القعود ـ باللبث ، وطول المكث دون الجلوس ، ليس من باب المبـالغة ، أو المغالاة والشطط ، بل انـه ليجعلنا نتفهم بلاغـة القرآن الكريم في قوله تعالى **﴿اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد﴾**[1] .

كما تفهمناهـا في قولـه تعالى **﴿في مقعد صدق﴾**[2]؛ حيث تتجلى روعـة القرآن الكريم في تفضيل كلمة ـ قعيـد ـ على ـ جليس ـ لكونها أروع وأصدق وأدق في الدلالة من كلمة ـ جليس . فمنها نفهم أن الملكين ملازمان للانسان ملازمـة دائمة يراقبانـه ، ويكتبان عنه كل ما يتلفظ بـه . وأنهما ليسا جليسين يلمان بالإنسان على عجل ، ثم يدعانه وشأنه .

﴿إذ يتلقى المتلقيـان عن اليمين وعن الشمال قعيـد ، ما يلفظ من قـول الا لديه رقيب عتيد﴾[3] .

وبمثل هـذا ندرك فـوائد الاهتمام بمـراعـاة الفروق بين الألفـاظ ، وتتضح آثارها في تفسير القرآن الكريم ، مادام بـالإمكان فهم ملازمة الملكين ـ أو على الاقل تأييـد ذلك وتأكيده . من لفظـة ـ قعيـد ـ لـدلالتها على المكث وطـول اللبث بخلاف لفظـة ـ جليس ـــ إضافـة الى ما في اللفظة مـن معنى الترصد والترقيب .

وبهذه الملازمة ، والحرص يكـون احصاء ما على الإنسـان ، وما له في غـاية الكمال . والشمول وهـذا المعنى لم يكن بإمكاننـا التوصل اليه لـو قلنا بترادف اللفظتين ترادفا تاما إما تساهلا و إما غير ذلك .

---

(١) سورة ق آية ١٧ .

(٢) سورة القمر آية ٥٥ .

(٣) سورة ق آية ١٧ ، ١٨ .

فتبين ممـا تقدم أن بين الجلـوس والقعود فـروقا تتلخص في أن الجلـوس : انتقـال من سفل الى علـو. وأن القعـود بعكـس ذلك، انتقـال من علـو الى سفل . وان القعـود يدل على المكث واللبث . بخـلاف الجلوس حيث يـدل على سرعة التحول والتغير.

ترادف الحروف:

يرى بعض العلماء أن الحروف يقوم بعضها مقام بعض، وأنها تترادف في تأدية المعنى الواحد من غير فرق، وقد توسع فريق من العلماء في هذا وتساهل فيه حتى بعد عن الصحة فضلا عن الدقة. والأخذ بهذا القول والتوسع فيه من غير تقييد ولا تحديد بما تقتضيه الاحوال وتدعو اليه المسوغات، يوقع في اللبس والخطأ.

والتحقيق في هذا أن لكل حرف معناه الخاص به، وما جاء ظاهره قيام بعض الحروف مكان بعض انما هو من باب التضمين للفظ الذي قبل الحرف بإشرابه معنى لفظ آخر يتعدى بهذا الحرف ايذانا بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر، ولهذا جيَ معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه، وحتى تؤدي الكلمة مؤدي كلمتين[1].

وللتدليل على وجود الفروق بين الحروف نأخذ حرفي الجواب: بلى ونعم كمثال لذلك، هل يتبادلان في كل سياق أم لا؟

---

(١) انظر: ١ ـ الخصائص لابن جني جـ ٢ ص ٣٠٦ ـ ٣١١.

٢ ـ مقدمة في اصول التفسير لابن تيمية ص ٥٢.

٣ ـ تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة «باب دخول بعض حروف الصفات مكان بعض» ص ٥٦٧ وما بعدها.

٤ ـ كتاب معاني الحروف. للرماني.

(١٤) بلى ونعم

بلى : حرف جواب . أصلي الألف ، وقيل أصلها : بل ، والألف : زائدة ، وقيل : انها للتأنيث بدليل إمالتها[١] .

و ـ بلى ـ لها موقعان في سائر الكلام وفي القرآن :

أحدهما : أن تكون ردّا لنفي يقع قبلها[٢] .

كأن يأتي الجواب ــ بلى ــ لمن قال : ما أكلت شيئا . إذ المعنى : بلى قد أكلت . وتقول : لا تدخل الدار، فيقال جوابا عن ذلك : بلى . أي : بلى أدخلها . ومن هذا قوله تعالى : ﴿**الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم فألقوا السلم ماكنا نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون**﴾[٣] أي بلى عملتم السوء . وقوله تعالى : ﴿**وأقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾[٤] أي : بلى يبعثهم . ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿**زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا . قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير**﴾[٥] . فقد جاء الجواب في الآية مؤكدا بالقسم ، بلى وربي لتبعثن .

وكقوله تعالى : ﴿**ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل . . .**﴾[٦] ثم قال : بلى . بمعنى بلى عليهم سبيل . وقال سبحانه : ﴿**وقالوا لن يدخل**

(١) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب . لابن هشام ص ١٥٣ . والاتقان للسيوطي جـ ١ ص ١٦٠ .

(٢) انظر: شرح كلا وبلى ونعم . . لابي محمد مكي بن أبي طالب القيسي تحقيق د. أحمد حسن فرحات ص ٧١ ، والبرهان للزركشي جـ ٤ ص ٢٦١ ، والاتقان للسيوطي جـ ١ ص ١٦٠ .

(٣) سورة النحل آية ٢٨ .

(٤) سورة النحل آية ٣٨ .

(٥) سورة التغابن آية ٧ .

(٦) سورة آل عمران آية ٧٥ .

الجنة الا من كان هودا أو نصاري. . . ﴾[1] ثم قال: بلى: بمعنى: بلى يدخلها غيرهم. ويقول سبحانه: **﴿وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة**[2]. . ﴾ ثم قال: بلى: أي تمسهم ويخلدون فيها.

الموقع الثاني:

أن تقع جوابا لاستفهام دخل على نفي، فيصير معناها التصديق لما قبلها[3].

نحو: قولك: ألم أكن صديقك؟ ألم أحسن اليك؟ فالجواب: بـ ـ بلى ـ يعني أنك صدقته فيما قاله على معنى: بلى أنت صديقي، وبلى أحسنت إليّ. فهي في هذا الموقع تصديق لما قبلها. كما أنها في الموقع الأول رد لما قبلها، وتكذيب له.

فبلى: تختص بالنفي وتفيد ابطاله. سواء أكان النفي مجردا عن الاستفهام ـ كما تقدم في الموقع الأول ـ أم كانت مقترنة بالاستفهام كما هنا. وهذا الاستفهام قد يكون حقيقيا نحو: أليس زيد بقائم؟ فتقول: بلى.

أو توبيخيا نحو قوله تعالى: **﴿أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون﴾**[4].

ونحو قوله تعالى: **﴿أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوي بنانه﴾**[5].

---

(١) سورة البقرة آية ١١١.

(٢) سورة البقرة آية ٨٠.

(٣) شرح كلا وبلى ونعم: ص ٧٢. والبرهان للزركشي جـ ٤ ص ٢٦١.

(٤) سورة الزخرف آيـة ٨٠.

(٥) سورة القيامة آيـة ٣، ٤.

أو يكون الاستفهام تقريريا: نحو قوله تعالى: ﴿**ألم يأتكم نذير. قالوا بلى قد جاءنا نذير**﴾[1]. ومنه قوله تعالى: ﴿**ألست بربكم قالوا بلى**﴾[2] أي أنت ربنا [3] حيث أجرى - هنا - النفي مع التقرير مجرى النفي المجرد فجاء الجواب ببلى.

ولذلك قال ابن عباس - وغيره -: لو قالوا: نعم - هنا - لكفروا، لان المعنى يصير: نعم لست ربنا[4]. ووجه ذلك أن - نعم - تصديق لحديث متقدم. فان كان موجبا فقد صدقت ايجابه، وان كان نفيا فقد صدقت نفيه. وبالمثال يتضح المقال. فاذا قيل: الخمر حرام، فتقول: نعم. واذا قيل الخمر ليست حلال. فتقول: نعم.

أي أن الامر كما ذكر. فقد صدقت النفي كما صدقت الايجاب. أما - بلى - فهي كلمة فيها لفظ - بل - التي تعني الاضراب، ولفظ - لا - التي للنفي ومن أجل هذا لا تقع أبدا الا اضرابا عن نفي، ولهذا لا يجاب بها الايجاب اتفاقا. ومن أضرب عن النفي فقد أراد الايجاب. فيجاب من قال: ليس العسل حلالا. ببلى. اضرابا عن نفيه. وبهذا يثبت حلّ العسل، ومن قال: العسل حلو. لا يجاب ببلى، لانه ليس في الكلام نفي[5].

ولذلك قال جماعة من الفقهاء: لو قال القائل: أليس لي عليك ألف ريال. فقال المجيب: بلى. لزمه ذلك. لأنه أقر بهذا المبلغ على نفسه بينما لو قال: نعم. لم يلزمه شيء [6].

---

(١) سورة الملك آية ٨، ٩.

(٢) سورة الأعراف آية ١٧٢.

(٣) شرح كلا وبلى ونعم ص ٧٢، ومغنى اللبيب ص ١٥٤، والاتقان للسيوطي جـ ١ ص ١٦٠.

(٤) مغنى اللبيب لابن هشام ص ١٥٤. والاتقان للسيوطي جـ ١ ص ١٦٠، وكتاب معاني الحروف للرماني ص ١٠٥.

(٥) آمال السهيلي ص ٤٤ - ٤٥.

(٦) مغنى اللبيب ص ١٥٤.

ويحكى أن أبا بكر الانباري حضر مع جماعة من العدول ليشهدوا على اقرار رجل. فقال أحدهم للمشهود عليه. ألا لا نشهد عليك. فقال: نعم فشهد عليه الجماعة، وامتنع ابن الانباري. وقال: ان الرجل منع أن يشهد عليه بقوله نعم. لان جوابه يعني نعم لا تشهدوا عليّ [1].

وقد حكى ابن هشام أن السهيلي - وجماعة نازعوا في المحكي عن ابن عباس - وغيره - في قوله تعالى ﴿ألست بربكم قالوا بلى﴾.

مستدلين بأن الاستفهام التقريري خبر موجب، وإذا ثبت هذا، فإن نعم بعد الايجاب تصديق له. وأجاب ابن هشام على هذا بأن بلى لا يجاب بها الايجاب اتفاقا [2].

وتحرير مراد السهيلي - من أماليه -: أنه لا يمتنع أن يجاب بنعم بعد الاستفهام من النفي، لا بهدف تصديق النفي ولكن من باب تحقيق الايجاب الذي في نفس المتكلم؛ لان المتكلم اذا قال لمن رآه يشرب الخمر منكرا عليه: أليست الخمر حراما؟ فهو في الحقيقة لم يستفهمه، وانما يقرر تحريمها، ويوبخه على شربها. فاذا فهم مراده بقرينة، وانه يعتقد تحريمها جاز ان يجاب بنعم. تصديقا لمعتقده، دون التفات الى لفظ النفي، لانه غير ناف في الحقيقة.

ومع تجويزه للجواب. بنعم في مثل هذه الحالة؛ يرى أن أكثر العرب على خلاف هذا. لانهم يرون مراعاة اللفظ أولى لانه الظاهر المسموع [3]. أما اعتقاد المتكلم فهو خفي. وقد لا يفهم بعض السامعين القرينة.

---

(١) فرائد اللغة جـ ١ ص ٤١٨.

(٢) انظر: مغنى اللبيب لابن هشام ص ١٥٤.

(٣) أمالي السهيلي ص ٤٥.

وهـو يرى أن القـرآن نطق بهذا في قـوله تعـالى ﴿**ألست بربكم قـالوا بلى**﴾ يقول: «فلم يقـولوا: نعم. وان كان الكـلام ليس باستفهـام على الحقيقة بل هو تقـرير على إثبـات»[1] كأن المعنى في قـولـه: ألسـت بـربكم أنـا ربكم والجواب على هذه الاخيرة. بنعم. ليس كفرا.

ويقول في مـوطن آخر: «فـان دخلت ألف الاستفهام على حـرف النفي، قلت: أليس الخمر حـراما؟ فـلا تقل في الجواب: نعم لانك تكون مصـدقا للكـلام المنفي المستفهم عنه بـالألف، ولكن تقول: بلى. اضرابـا عن النفي واثباتا للتحريم، هذا هو الاصل، لانهم راعوا اللفظ، واجروا الكلام على ما كان عليه قبل الاستفهام»[2].

فالسهيلي: حين يرى جواز الجواب عن الاستفهام التقريري بنعم انما ذلك من خـلال النظـر الى المعنى فقط دون اللفظ ــ اذا قـامت القـرينـة ــ لأن الاستفهـام في مثل هـذه الحالة يعني الايجاب ونعـم حرف تصـديق لما قبلهـا إيجابا أو نفيا.

ومع هذا فهـو يرى أن أغلب العـرب يراعون اللفظ. وجعـل من ذلك آية ﴿**ألست بربكم قالوا بلى**﴾. فتلخص أن ما قـاله يختص بحـالة ادراك معنى الكـلام ومـراد المتكلم، اذا قـامت القـرينـة على ذلك وليس رأيـه على وجـه الاطلاق.

ومما تقدم تبين أن ــ نعم وبلى. حرفان مختلفان، بل هما ـ أحيـانا ضدان. فـان كانت ـ بلى ـ ردا لمـا قبلها ـ كانت ـ نعـم ـ اذا وقعت موقعها تصديقا لما قبلها تقول: ما أكلت شيئا. فان قال الراد: بلى. كان المعنى رداً للنفي أي: بلى أكلت. وان قـال: نعم ــ فقد صـدقـه في نفيـه، ويصير المعنى: نعم لم

(١) المصدر السابق ص ٤٥.

(٢) المصدر السابق ص ٤٥.

تأكل شيئا. وإن كانت بلى تصديقـا لما قبلهـا، كانت نعم إذا وقعت موقعها ردا لما قبلها يقول القائل: ألم اكـرمك. فتقول بلى. اذا صدّقته. والمعنى: بلى اكـرمتني. فان قلت: نعم ــ رددت قـوله ويصير المعنى: نعم لم تكـرمني. فهما ضدان ولا يتبادلان في كل سياق[1].

ومن هذا تظهر أهمية ادراك الفروق بين الألفاظ والحروف.

من كل ما تقدم يتضح وجود الفروق في كثير من الألفاظ ويتبين لنا مقدار أهميتهـا في تحديـد المعـاني وفهم النصـوص، وتظهـر آثـار اختيـار الألفـاظ وانتقائها بعناية ودقة ووضع كل لفظ موضعه الأخص الأشكل به. وبخاصة ألفـاظ القرآن الكـريم حيث لا تقوم فيـه لفظـة مقام أخـرى في تأدية كـامل المعنى، بل لكل لفظة فيه معناها الخاص ودلالتها المعينة والمتميزة، وكيف لا يكون الامر كذلك واستقراء القرآن الكريم يدل على تفريقه بين الريح والرياح في استعمالاته المختلفـة لهذه الكلمة مع أن الفرق الظـاهر إنما هـو في ـ الجمع والأفـراد ـ فـالـريح مفردة والـريـاح جمع، غير أن الاستعمال القرآني أطـرد في استعمال الرياح مجموعة مع الرحمة ومفردة مع العذاب كما في قوله تعالى ﴿**كمثل ريح فيهـا صر أصـابت حرث قـوم ظلمـوا أنفسهم..**﴾[2] وكقوله سبحانه ﴿**وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم**﴾[3].

---

(١) شرح كلا وبلى ونعم. ص ٧٤ ـ ٧٥.

(٢) سورة آل عمران آية ١١٧.

(٣) سورة الذاريات آية ٤١.

ويستثنى من ذلك قوله تعالى ﴿وجرين بهم بريح طيبة﴾[1] وقد كان من دعاء النبي ﷺ اذا هبت الريح : اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا . ويعلل ذلك ابن عطية بقوله (وذلك لان ريح العذاب شديدة ملتئمة الاجزاء كأنها جسم واحد، وريح الرحمة لينة متقطعة فلذلك هي رياح)[2].

وأما آية سورة يونس ﴿وجرين بهم بريح طيبة﴾ فهي وإن جاءت الريح فيها مفردة الا أنها جاءت موصوفة بأنها طيبة مما يخرجها عن اطلاقها مجردة من أي وصف ثم ان الرحمة في ريح الفلك أن تكون ريحا واحدة في اتجاه واحد تسوقها الى جهتها لان الرياح قد تعصف بها وتسوقها الى حيث لا تريد . فالامر مع الفلك مختلف إضافة إلى وصفها بأنها طيبة فزال بذلك الاشتراك بينها وبين ريح العذاب .

ومثل ذلك لفظة ـ المطر ـ فلم تستعمل في القرآن الا في العذاب يطرد ذلك فيما عدا قوله تعالى ﴿ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر﴾[3] ومع ذلك فهذا المطر يكتنفه بعض الاذى . والمفردة القرآنية في هذا المقام هي لفظة ـ الغيث ـ وغير ذلك كثير وهو ما يظهر معه اختصاص كثير من الالفاظ بمعان خاصة، ودلالات معينة، ينبغي الانتباه لها، والاهتمام بها، واستعمال كل لفظة بمكانها اللائق بها المناسب لها . كما يتعين تحديد معاني الألفاظ بدقة عند تفسير القرآن الكريم خاصة، وكذا الامر عند تفهم نصوص الأحاديث الشريفة .

ففي نحو قوله تعالى ﴿والقى في الارض رواسي أن تميد بكم﴾[4].

---

(١) سورة يونس آية ٨٢٢

(٢) تفسير ابن عطية جـ١ ص ٤٧٠ .

(٣) سورة النساء آية ١٠٢ .

(٤) سورة النحل آية ١٥ . وانظر سورة الانبياء آية ٣١، ولقمان آية ١٠ .

حين نفسر (تميد) بتتحـرك ينبغي الا يغيب عن البال أن للحركات أنـواعاً وصفـاتٍ فقـد تكـون مضطـربـة، وقـد تكـون منتظمـة، والفـرق كبير بين الحركتين. فاذا نفى عن الشيء الاضطـراب لا يلزم منه نفي الانتظـام. وهذا يعني أن المراد انما هو الـوصف. فقَصْر تفسير لفظة (تميـد) على (تتحرك) لا يخلو من تساهـل وقصور في تحديد المعنى بدقة لما فيـه من تعميم. اذ لا يبعد أن يكون المراد نوع الحركة ووصفها لا مبـدؤها وحينئذ يكون الاختلاف كبيرا. ويبقى الاقتصـــار على مثل ذلـك التفسير انما هــو من بـــاب التقــريب لا التحديد.

وبمثل هـذا المثال يظهـر بوضح أثـر ادراك الفروق اللغـوية بين الألفـاظ عمومـا، وفي تفسير القرآن خصوصا، ويتضـح أهمية الدقة في تحديـد معاني الألفاظ.

الخاتمـــــــة

الى هنا نكون قد اتينا الى خاتمة هذا البحث والذي نأمل أن يكون قد انتهى الى بعض الآراء والنتـائج التي تتقـدم بهذه المسـألـة خطـوة الى الامـام وذلك بتأكيده على أهميـة الفروق ، وتحذيره من الغفلة عنها ، وتحديـده الدقيق لآراء العلماء ومذاهبهم في هذه المسألة مع تحريـر موطن النزاع ومحل الخلاف الذي كان الاختلاف حوله من أهم أسباب الأخذ والرد في هذه المسألة .

كما أوضح هذا البحث أهمية هذه القضيـة بالنسبة لتفسير القرآن الكريـم ، والتأكيد على ضرورة أن يكون للقرآن الكريم القول الفصل في هذه القضية بل في مختلف المسائل اللغوية ، التي لم تقم أصلا الا لخدمته . فكان من الواجب الاحتكام الى بيانه واسلوبه في ذلك .

ويحسن التأكيد هنـا على أن الخلاف في هذه القضية يعود الى عـدة أسباب ودوافع مختلفة : منها مـا يعود الى اختلاف المنهج الذي تنـاول به العلماء هذه المسألة ، ومنها ما يعود إلى الاختلاف في بعض المسائل والقضايا الأخرى التي لها نوع ارتباط بقضية الترادف والتي ألقت بظـلالها وآثارها على هذه القضية ، وانسحب الخلاف فيها على هذه المسألة .

وأهم هذه الأسباب ما يلي :

أولا: اختلاف النظـرة الى الترادف ، هل هو ميـزة للغة أم عيب مـن عيوبها ، فالـذين ينظرون الى الترادف على أنه أهـم أسبـاب كثرة مفردات اللغـة ، وأحد عوامل ثـرائها ، وأن هذه الكثرة وذلك الثـراء يعد مفخرة من مفاخـر اللغات وميزة من ميـزاتها ؛ يقولـون بوجـود الترادف في العربيـة ، ويدافعـون عن هذا الـوجود بحماسـه ، بل ويسعـون جهـدهم إلى جمع اكثر عـدد من المفـردات المترادفة مكاثرة بالألفاظ ، ومفاخرة بهذا الثراء .

أما الـذين يرون الترادف عيبا من عيـوب اللغة، ومظهرا من مظاهـر عدم دقتها في التعبير، وأن هذا الترادف لا يتفق وحكمة الـوضع؛ لا يقولون به بل يرون وجود الفروق في اللغة، وأن هذه الفروق هي الميزة المهمة للغة وبها يكون الافتخار والمباهاة. لما تدل عليه من الدقة في التعبير.

فالكل إذاً ينطلق من منطلق الـدفاع عن اللغة، وإبراز مـزاياها، والتغني بمفاخرها كل على شاكلته.

ثانيا: عدم اتحاد محل النظر في هذه المسألة بين الأعراف المختلفة، فعدم اتحاد محل النظر ادى الى الاختـلاف عند تنـاول القضية، إثبـاتا أو نفيًـا فالقـائلون بـالترادف ينظرون الى اللغـة العـربية بقبـائلهـا المتعـددة، ولهجاتها المختلفـة ومواطنها المتباعدة نظرة مجملة، ويعتبرونها بيئة واحدة ولغة واحدة ولهذا قالوا بوجود الترادف، وأنه لا يمكن أن ينكره عاقل، لرجوع ذلك الى تعدد الواضع واختـلافه، حيث تضع هـذه القبيلـة لفظـا معينا لمعنى محدد، وتضع قبيلـة أخـرى لفظة ثـانيـة لـذات المعنى من غير أن تعلم بالـوضع الأول. فيظهـر الوضعـان ويختفي الـواضعان، وبخـاصة أن علماء اللغـة وجامعيهـا لم يعنوا بنسبة الألفـاظ الى قبائلها العنـاية الكافيـة، ولما في هذا الأمر من صعـوبة في تتبع أصل الكلمات ورجعها الى قبائلهـا، فاذا عرفت القبيلة صـاحبة اللفظة نسبت اليهـا، ولا يعتـبر هنـاك تـرادف مادام بـالإمكـان نسبة كل لفظـة الى قبيلتها [١].

كما أن اللغـة ليست نتاج مجمع علمي منظم، تشـذب فيه اللغـة وتهذب قبل أن تطرح للتداول والاستعمال، فتستبعـد منها المترادفات كما يقتضي ذلك التنظير. وحين ننظر الى رأي القائلين بالفـروق بتمعن ورويّة نرى أنهم ينظرون إلى اللغة العـربية على أنها مجمـوعة لهجـات ـ أو لغـات بتعبير متقدمي علماء

---

(١) انظر: نهاية السول جـ ٢ ص ١١١.

العربيـة ـ لقبـائل مختلفة، لهذا يمنعون الترادف التـام بين ألفاظ لغـة القبيلة الواحدة. ويرون أن القبائل أعقل من أن تضع كل قبيلة لفظين لمسمى واحد فمحل نظرهم لهجـة القبيلة الواحـدة. فنحن نرى أنـه حين يصعب ايضاح الفرق بين بعـض الألفاظ التي يمنعـون ترادفهـا يجعلون اختـلاف اللغات، وتعدد اللهجـات مخرجا لمثل هذه الحالات. ويأتي على رأس هؤلاء أبـو هلال العسكـري أشهر من ألّـف في الفروق فهـو يقـول: (. . . فاذا اعتبرت هـذه المعاني ومـا شاكلها في الكلمتين ولم يتبين لك الفـرق بين معنييهما فاعلم انهما من لغتين مثل القدر بالبصرية، والبرمة بالمكية. ومثل قولنا الله بالعربية وآزر بالفارسية)[1].

مما تقدم يتضح أن كلا الفريقين ينظر الى المسألة من وجهة ليست هي محل نظر الطرف الآخر، مما يجعل من المألـوف أن ينتهي كل منهم الى ما لم ينته اليه الآخر من نتائج. وهذا يعني انه لو انحصر محل النظـر وتحدد بالدقة المطلوبة لتقـاربت آراء العلماء ومذاهبهم في هـذه المسألة تقـاربا كبيرا، ولـوجدنـا أن الخلاف يكاد يكون خلاف اصطلاح وتسمية.

ثالثا: اختلاف المفاهيم

فـالاختـلاف في فهم الترادف ومـا يعنيه، والاختـلاف في تعـريفـه، أدى ويؤدي إلى الاختلاف في وجوده، وفي قلته وكثرته.

ذلك أن القائلين بـالترادف يفهمون أن القـول بالفـروق يلزم منـه أن يكون لكل لفظة معنى غير معنى الأخـرى، وأن التعبير عن الشيء باللفظـة الأخرى

---

(١) الفروق اللغوية. لأبي هلال العسكري ص ١٩. وقد تقدم له ـ ولغيره ـ أكثر من قول في هذا المعنى في الباب الأول.

يعتبر خطأ، فالتعبير عن (لا ريب فيه) بلا شك فيه، يرونه خطأ، إذا قيل بالفروق وانكر الترادف[1].

بينما القائلون بالفروق من العلماء لا يفهموم هذا المفهوم ويقولون: لسنا نقول إن اللفظتين مختلفتان فيلزمنا ما قالوه، وإنما نقول إن في كل واحد منهما معنى ليس في الأخرى[2].

وحين نتبين هذا الامر نستطيع أن نجمع بين وجهتي النظر هذه بالقول: أن هناك اشتراكا في المعنى في الكلمات التي يظن بأنها مترادفة، وهناك فروقا دقيقة - أيضا - فالقائلون بالترادف يلتفتون الى المعنى المشترك ويركزون عليه، والقائلون بالفروق يهتمون بالتركيز على ابراز هذه الفروق الدقيقة ويعتبرون الترادف في المعنى المشترك من قبيل التقريب لا التحقيق الدقيق للمعنى، ووجود هذا القدر المشترك هو الذي يسمح بتبادل الألفاظ، والتعبير عن اللفظة بالأخرى.

وعلى هذا؛ يحمل القول بالترادف على المعنى المشترك، ويحمل القول بالفروق على الاختلافات الدقيقة فيما وراء هذا المعنى المشترك.

فكأن القائلين بالفروق يقولون بالترادف وزيادة، وهذه الزيادة هي تلك الاختلافات الدقيقة فيما وراء القدر المشترك فهم إنما يمنعون الترادف التام. ومثل ذلك يقال عند تعريف الترادف حيث يقع الاختلاف فيه عند القائلين بذلك.

---

(١) انظر: المزهر للسيوطي جـ ١ ص ٤٠٤.

(٢) الصاحبي لابن فارس ص ٩٦، ٩٧، والمزهر جـ ١ ص ٤٠٥.

فالذين يلحظون وحدة الاعتبار ـ من القائلين بالترادف ـ يخرجون ألفاظ السيف الكثيرة نحو: الحسام، والصارم، والمهند ـ وما شابهها ـ من المترادفات لعدم وحدة الاعتبار بينها. بينما هذه الألفاظ في نظر فريق آخر من القائلين بالترادف تعتبر من أكبر الادلة الدالة على وجود الترادف في العربية ووقوعه فيها، ولهذا فهي الفاظ مترادفة عندهم.

رابعا: الاختلاف في أصل وضع اللغة ونشأتها، هل هو توقيفي أم وضعي[1]. فالاختلاف في هذا الاصل يلقي بآثاره وظلاله على قضية الترادف وينسحب الخلاف فيه على هذه القضية لعلاقتها القوية بهذه المسألة.

فالذين يقولون بأن أصل اللغات توقيفي؛ يقولون إن الترادف لا يتفق وحكمة الواضع.

---

(١) ظفرت نشأة اللغة بحظ وافر وقدر كبير من الدراسة. بيد أنه برغم كل الجهود التي بذلت لم تنته هذه الدراسات والبحوث الى رأي يجمع عليه ويطمئن اليه، أو الى حكم فاصل يعتد به، اذ الدراسة في هذا الحقل لا تخرج عن كونها تخمين وحدس.

لذلك كثرت الآراء والنظريات وأهمها:

١ ـ أنها توقيفية وان الواضع هو الله سبحانه وتعالى، ووضعه متلقى لنا من جهة التوقيف الالهي إما بالوحي، وإما بأن يخلق الله الاصوات والحروف ويسمعها لواحد او جماعة.

٢ ـ ويرى بعضهم أن أصل اللغات اصطلاح تواضع عليه الناس تدريجيا، اما بواسطة ما يسمعون من الاصوات الطبيعية المختلفة، كدوي الريح، وقصف الرعد، وخرير الماء، وحفيف الشجر.. ونحو ذلك. واما بواسطة التناسب بين اللفظ والمعنى.

ويرى فريق أن ابتداء اللغة وقع بالتعليم من الله والباقي بالاصطلاح. وعند آخرين أن عكس ذلك هو الصحيح، وإن ابتداء اللغة وقع بالاصطلاح والباقي توقيفي.

وللمزيد في ذلك. انظر:

١ ـ نشأة اللغة عند الإنسان والطفل. د/ علي عبد الواحد وافي.

٢ ـ الصاحبي لابن فارس ص ٥ ـ ٧.

٣ ـ الأحكام للآمدي جـ ١ ص ٧٣.

٤ ـ حاشية الجرجاني ص ١٩٧ وما بعدها.

ويخالفهم الرأي الذين لا يسلّمون بـأن أصل اللغات توقيفي ، أو يفهمون أن من حكمة الوضع التوسعة في اللغة وهو ما يحققه وجود الترادف .

اضافـة الى أن مراعاة أصول اشتقـاق الكلمات يؤدي الى القول بـالفروق في الغالب ، كما أن اهمال هذه الأصول . والنظر الى مـا انتهى اليه ، واستقر عليه تطور دلالات الألفاظ ، يؤدي الى القول بالترادف في بعض الألفاظ .

اذا عرفنا مـا تقدم ، وأدركنا أن هذه الاسبـاب والدوافع وراء الاختلاف في قضية الترادف والفـروق ، امكننا أن نتفهم الخلاف في هذه المسألـة وأن نقدره لانه اذا ظهر السبب بطل العجب . وادركنـا صعوبة الجمع بين مختلف الأراء في ظل تلك الدوافع والاسباب المختلفة ، والمختلف فيها .

واعتقادي أن استمرار الخلاف حول تلك المسـائل هو الذي يؤدي الى بقاء قضية الترادف والفروق معلقة دون حل ، وانه للوصول الى رأي أدق وأصوب ، وابعـد عن الاختلاف ينبغي تحديـد المواقف من تلك المسائل ، والقطع بـرأي واضح وصريح فيها . مع تقـرير ان تحرير الرأي في مسـائل الاختلاف تلك ؛ يحتاج الى جهد كبير، وبحث دؤوب .

كما ينبغي تقريـر وتأييد ضرورة أن يكون للقـرآن الكريم القول الفصل في الدراسات اللغوية ، وبخاصة هذه القضية ، وان يكون الاحتكام الى اسلوب القرآن الكريم وبيانه دائما . وأن يكون له فصل الخطاب . سواء أكان ذلك في تقعيد القـواعد اللغـوية ، أو دراسة الظـواهر البيـانية ـ أو غيرهـا ـ فهـو تاج العربية ، وقمة بيانها ، وذروة سنامها .

كما يحسن التنـويه الى أن دراسـة الفـروق بين الألفاظ تفتقـر الى الكثير من العمق ، ودقـة النظـر والفهم ، وسـلامة الـذوق العـربي والحس الأدبي . مع الاستقراء للنصـوص ، والمقارنـة بينها لاستنباط كـل ما يعين على ادراك تلك الفروق ، وأسرار استعمال الألفاظ في قوالبها الخاصة بها .

كما يتأكد التحذير من إهمال الفروق بين الألفاظ، أو الغفلة عنها لما يعنيه ذلك من فقدان الدقة في التعبير، والفهم. ولما يؤدي إليه من الوقوع في الكثير من الأخطاء والأغلاط بسبب استعمال الكلمات في غير محلها الخاص بها، فينبغي منع الترادف ما أمكن؛ لأن المبالغة في ادعاء الترادف أضر بالعربية، وأضاع الدقة في التحديد والفهم.

والترادف كما يقول ابن تيمية إما قليل وإما نادر. ويعود في أهم أسبابه الى تعدد اللهجات، وفي الأغلب أنه يكون باعتبار الذات، فأغلب الأسماء مترادفة باعتبار الذات متباينة باعتبار الصفات كأسماء الله تعالى نحو: السلام المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر. . . ويلحق بها اسماء الرسول ﷺ. كالبشير والنذير، والحاشر، والعاقب، والماحي ومثلها أسماء يوم القيامة كيوم البعث، ويوم الجمع، ويوم التغابن. ونحو أسماء القرآن الكريم كالفرقان، والكتاب، والهدى ونحوها. ومن ذلك أسماء السيف نحو المهند والحسام والصارم. وأمثال ذلك.

إذ أن حقيقة الاختلاف في هذه الأسماء يعود إلى اختلاف وجهات النظر فالذي ينظر الى دلالتها على ذات واحدة يقول بترادفها. والذي ينظر إلى اختصاص بعضها بمزيد وصف، ومعنى يجعلها غير مترادفة.

والجمع بين ذلك أنها مترادفة باعتبار الذات متباينة باعتبار الصفات كما أن ما بين أغلب الألفاظ ليس ترادفا تاما، وانما هو في حقيقته ترادف ناقص وهذا يعني وجود قدر مشترك في المعنى العام يجمع بين الألفاظ، مع بقاء اختصاص الكلمات بميزاتها وانفرادها بخصائصها.

والمغالاة في دعوى الترادف أو في إثبات الفروق أيضا؛ مضرة وخاطئة. فالمغالاة في دعوى الترادف؛ تضيع الدقة، وتطمس خصائص الكلمات وميزاتها. والمغالاة في إثبات الفروق؛ يحمّل الألفاظ أكثر مما تتحمل، ويضيع الجهد والوقت في التعسف في التماس الفروق وإثباتها. وفي النهاية

لا تحظى هذه النتـائج بالقبـول والرضا لبعـدها عن الحق، أو لقصـورها عن درجة الإقنـاع وما ينبغي عملـه هو الاهتمام بـالفروق، والقـول بها متى كان ذلك ممكنـا، ومتى كانت هـذه الفـروق معقولـة ومقبولـة يسنـدها الـدليل، ويـؤيدهـا الاستقراء. مـع تقديـر أن هذه الفـروق تختلف درجـة وضوحهـا وجلائها، كما تختلف أهميتها وآثارها. فأحيانا تكون الفروق واضحة وكثيرة، والآثار مهمة وكبيرة، وأحيانا تكون الفروق طفيفة وآثارها ضعيفة.

وهـذا الحرص على الفـروق نابـع من تقديـر أهميتهـا في فهم النصـوص، وخصـوصـا الشرعيـة منهـا، من كتـاب وسنـة، وحتى لا تضيع الـدقـة في التحديد والفهم.

وفي الختام.. نسأل الله التوفيق والتسديـد. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهارس

فهرس الآيات

(*) رقم السورة في المصحف .

العدد	الآيـــــــة	رقم الآية
١٦	ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات .	١٥٤
١٧	فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة .	١٩٦
١٨	والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين .	٢٣٣
١٩	إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون .	٢٣٤
٢٠	تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض .	٢٥٣
٢١	ـ وأدنى ألا ترتابوا .	٢٨٢
	٢ ـ سورة آل عمران (٣)	
٢٢	ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل .	٧٥
٢٣	كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم .	١١٧
٢٤	فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا .	١٤٦
٢٥	ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين .	١٥١
٢٦	إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم .	١٦٤
٢٧	ولا تحسبنَّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون .	١٦٩
٢٨	الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم .	١٩١
٢٩	خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا .	١٩٩

العدد	الآيـــــــة	رقم الآية
	٣ ـ سورة النساء (٤)	
٣٠	وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم	٩
٣١	حتى إذا حضر أحدهم الموت .	١٨
٣٢	الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله .	٣٧
٣٣	ولا جنبا إلا عابري سبيل .	٤٣
٣٤	وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا .	٦٢
٣٥	ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر.	١٠٢
٣٦	فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم .	١٠٣
٣٧	والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح .	١٢٨
٣٨	إن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه .	١٥٧
٣٩	إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا إلا طريق جهنم .	١٦٨، ١٦٩
	٤ ـ سورة المائدة (٥)	
٤٠	اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم وأخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا .	٣
٤١	فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون .	٢٤

العدد	الآيـــــــة	رقم الآية
٤٢	فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم .	٣٨
٤٣	فلا تخشوا الناس واخشون .	٤٤
٤٤	لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم .	٤٨
٤٥	وأقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم .	٥٣
٤٦	فلا تأس على القوم الكافرين .	٦٨
٤٧	ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم .	٨٩
٤٨	فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى .	١٠٦
	٥ ـ سورة الأنعام (٦)	
٤٩	وهم ينهون عنه وينأون .	٢٦
٥٠	ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين .	٣٥
٥١	ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء .	٤٢
٥٢	حتى إذا جاء أحدكم الموت .	٦١
٥٣	وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمننّ بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون .	١٠٩
٥٤	وتمت كلمة ربك .	١١٥

رقم الآية	الآيـــــــة	العدد
	٦ ـ سورة الأعراف (٧)	
١٧	ولا تجد أكثرهم شاكرين .	٥٥
٨٦	ولا تقعدوا بكـل صراط توعدون وتصـدون عن سبيل الله .	٥٦
٩٤	وما أرسلنـا في قرية من نبي إلا أخـذنا أهلها بـالبأساء والضراء .	٥٧
١٤٢	وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة .	٥٨
١٤٦	وإن يـروا سبيل الـرشـد لا يتخـذوه سبيـلا وإن يـروا سبيل الغي يتخـذوه سبيلا ذلك بأنهم كـذبوا بـآياتنـا وكانوا عنها غافلين .	٥٩
١٦٣	إذ يعـدون في السبت إذ تأتيهـم حيتـانهم يـوم سبتهم شرعـا ويـوم لا يسبتـون لا تأتيهم كـذلك نبلـوهم بما كانوا يفسقون .	٦٠
١٧٢	ألست بربكم قالوا بلى .	٦١
١٨٢	سنستدرجهم من حيث لا يعلمون .	٦٢
	٧ ـ سورة الأنفال (٨)	
٦٠	لا تعلمونهم الله يعلمهم .	٦٣
	٨ ـ سورة التوبة (٩)	
٤٢	وسيحلفـون بالله لـو استطعنـا لخرجنا معكم يهلكـون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون .	٦٤
٤٥	وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون .	٦٥
٦٠	وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله .	٦٦

العدد	الآيـــــــة	رقم الآية
٦٧	يحلفون بـالله ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يـرضوه إن كانوا مؤمنين .	٦٢
٦٨	يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم .	٧٤
٦٩	ألم يعلمـوا أن الله يعلم سرهـم ونجواهم وأن الله عـلام الغيوب .	٧٨
٧٠	ما على المحسنين من سبيل .	٩١
٧١	إنما السبيل على الذين يستأذ نونك وهم أغنياء .	٩٣
٧٢	يحلفون لكم لترضوا عنهم فـإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين .	٩٦
٧٣	وليحلفنّ إن أردنــــا إلا الحسنى والله يشهـــــد إنهم لكاذبون .	١٠٧
٧٤	لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم .	١١٠
	٩ ـ سورة يونس (١٠)	
٧٥	وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين .	١٠
٧٦	وإذا مسّ الإنسـان الضر دعـانـا لجنبـه أو قـاعـدا أو قائما .	١٢
٧٧	وجرين بهم بريح طيبة .	٢٢
٧٨	إن الله لـــذو فضـل على النـــاس ولكن أكثـــرهم لا يشكرون .	٦٠
٧٩	فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه .	٨٣

العدد	الآيــــــة	رقم الآية
٨٠	فإن كنت في شك مما أنـزلنا إليك فسئل الـذين يقرئون الكتاب من قبلك .	٩٤
٨١	ولو شـاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين .	٩٩
	١٠ ـ سورة هود (١١)	
٨٢	ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعنـاها منه إنه ليئوس كفور.	٩
٨٣	وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب .	٦٢
٨٤	ولقد آتينـا موسـى الكتاب فاختلـف فيه ولـولا كلمة سبقت من ربـك لقضي بينهم وإنهم لفي شك منـــه مريب .	١١٠
	١١ ـ سورة يوسف (١٢)	
٨٥	وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين .	١٧
٨٦	فلما سمعت بمكــرهن أرسلت إليهن واعتـــدت لهن متكأ وآتت كل واحـدة منهـن سكينـا وقـالت اخـرج عليهن .	٣١
٨٧	قالـوا يا أيها العزيـز إنّ له أبـا شيخا كبيرا فخذ أحـدنا مكـــانـه إنــا نــراك من المحسنين . . . . وهـــو خير الحاكمين .	٧٨ ـ ٨٠
٨٨	إنما أشكو بثى وحزني إلى الله .	٨٦
٨٩	يا بني إذهبـوا فتحسسوا من يوسف وأخيـه ولا تيأسوا	

العدد	الآيـــــة	رقم الآية
	من روح الله إنــه لا ييأس من روح الله إلا القــوم الكافرون .	٨٧
٩٠	تالله لقد آثرك الله علينا .	٩١
٩١	قل هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة .	١٠٨
٩٢	حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنــا فنجى من نشــاء ولا يرد بأسنــا عن القــوم المجرمين .	١١٠
	١٢ ـ سورة الرعد (١٣)	
٩٣	قل الله خالق كل شيء .	١٦
٩٤	والذين يصلـون ما أمر الله به أن يـوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء العذاب .	٢١
٩٥	أفلم ييأس الـذين آمنوا أن لـو يشاء الله لهدى النـاس جميعا .	٣١
	١٣ ـ سورة ابراهيم (١٤)	
٩٦	وإذ تأذّن ربكم لئن شكرتم لأزيـدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد .	٧
٩٧	. . . وقالـوا إنا كفرنـا بما أرسلتم به وإنـا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب .	٩
٩٨	الحمـــد لله الـــذي وهـب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق .	٣٩
	١٤ ـ سورة الحجر (١٥)	
٩٩	إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون .	٩

العدد	الآيـــــــة	رقم الآية
١٠٠	قالـوا بشرناك بـالحق فلا تكن من القـانطين قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون .	٥٥، ٥٦
١٠١	ولا تحزن عليهم .	٨٨
	١٥ ـ سورة النحل (١٦)	
١٠٢	وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهاراً وسبلا .	١٥
١٠٣	ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة .	٢٥
١٠٤	الذيـن تتوفاهم الملائكـة ظالمي أنفسهم فألقـوا السلم مــا كنـــا نعمل من ســـوء بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون .	٢٨
١٠٥	وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون .	٣٨
١٠٦	يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون .	٥٠
١٠٧	شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم .	١٢١
	١٦ ـ سورة الإسراء (١٧)	
١٠٨	ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا .	٣
١٠٩	وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا .	١٥
١١٠	و إذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه .	٨٣
١١١	. . إذا يتلى عليهم يخرون لـلأذقـان سجدا ويقـولـون سبحان ربنا إن كان وعد ربنـا لمفعولا ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا .	١٠٧ ـ ١٠٩
١١٢	قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّـا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى .	١١٠

العدد	الآيـــــــة	رقم الآية
	١٧ ـ سورة الكهف (١٨)	
١١٣	لـو اطلعـت عليهم لـوليت منهم فـرارا ولملئت منهم رعبا .	١٨
	١٨ ـ سورة طه (٢٠)	
١١٤	ويذهبا بطريقتكم المثلى .	٦٣
١١٥	ولقـد أوحينا إلى مـوسى أن أسر بعبادي فـاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى .	٧٧
١١٦	لا ترى فيها عوجا ولا أمتا .	١٠٧
١١٧	وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا .	١٠٨
	١٩ ـ سورة الأنبياء (٢١)	
١١٨	الـــذين يخشـــون ربهم بـــالغيب وهم من الســـاعـــة مشفقون .	٤٩
١١٩	وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين .	١٠٧
	٢٠ ـ سورة الحج (٢٢)	
١٢٠	يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث .	٥
	٢١ ـ سورة المؤمنون (٢٣)	
١٢١	قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون .	١ ـ ٢
١٢٢	فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله .	٣٢
١٢٣	وهو الـذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئـدة قليلا ما تشكرون .	٧٨
	٢٢ ـ سورة النور (٢٤)	
١٢٤	. . أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا .	٤٥

العدد	الآيـــــة	رقم الآية
١٢٥	ومن يطع الله ورسـولـه ويخش الله ويتقـه فأولئك هم الفائزون .	٥٢
١٢٦	واقسموا بالله جهـد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة إن الله خبير بما تعملون .	٥٣
١٢٧	وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا .	٥٥
١٢٨	والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا .	٦٠
	٢٣ ـ سورة الشعراء (٢٦)	
١٢٩	إن نشأ ننـزل عليهم من السماء آية فظلت أعنـاقهم لها خاضعين .	٤
١٣٠	ففررت منكم لما خفتكم .	٢١
١٣١	آمنتم له قبل أن آذن لكم .	٤٩
١٣٢	ونخل طلعها هضيم .	١٤٨
	٢٤ ـ سورة النمل (٢٧)	
١٣٣	يا موسى لا تخف إني لا يخاف لديّ المرسلون .	١٠
١٣٤	وقـالا الحمـد لله الـذي فضلنـا على كثير من عبـاده المؤمنين .	١٥
١٣٥	وقـال ربي أوزعني أن أشكـر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والـدي وأن أعمل صـالحا تـرضـاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين .	١٩
١٣٦	قـال هذا من فضل ربي ليبلـوني أأشكر أم أكفـر ومن شكـر فإنما يشكــر لنفسـه ، ومن كفــر فإن ربي غني كريم .	٤٠

العدد	الآيـــــــة	رقم الآية
	٢٥ ـ سورة القصص (٢٨)	
١٣٧	فإذا خفت عليـه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنّـا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين .	٧
	٢٦ ـ سورة العنكبوت (٢٩)	
١٣٨	فآمن له لوط .	٢٦
١٣٩	وقالوا لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك	٣٣
١٤٠	إذًا لارتاب المبطلون .	٤٨
	٢٧ ـ سورة لقمان (٣١)	
١٤١	ولقد آتينا لقمان الحكمـة أن اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد .	١٢
	٢٨ ـ سورة الأحزاب (٣٣)	
١٤٢	قل لن ينفعكم الفـرار إن فـررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلا .	١٦
١٤٣	فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض .	٣٢
١٤٤	وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه .	٣٧
	٢٩ ـ سورة سبأ (٣٤)	
١٤٥	والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم .	٥
١٤٦	. . وقـدور راسيات أعملـوا آل داود شكـرًا وقليل من عبادي الشكور.	١٣
١٤٧	وهم في الغرفات آمنون .	٣٧
١٤٨	وإذا تتلى عليهم آيـاتنا بينـات قالـوا ما هـذا إلا رجل	

العدد	الآيـــــــة	رقم الآية
	يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم .	٤٣
١٤٩	وحيل بينهم وبين مـا يشتهون كما فعل بأشيـاعهم من قبل إنهم كانوا في شك مريب .	٥٤
	٣٠ ـ سورة فاطر (٣٥)	
١٥٠	فاطر السموات والأرض .	١
١٥١	إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب .	١٨
١٥٢	إنما يخشى الله من عباده العلماء .	٢٨
١٥٣	وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن .	٣٤
١٥٤	وأقسموا بـالله جهد أيمانهم لئن جـاءهم نذيـر ليكونن أهـدى من إحـدى الأمم فلما جــاءهم مـا زادهم إلا نفورا .	٤٢
	٣١ ـ سورة يس (٣٦)	
١٥٥	إنما تنذر من اتبع الذكـر وخشى الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم .	١١
	٣٢ ـ سورة الصافات (٣٧)	
١٥٦	وإن يــونس لمن المرسلين إذ أبق إلى الفلك المشحــون فسـاهم فكـان من المدحضين فـالتقمـه الحوت وهـو مليم .	١٣٩ ، ١٤٢
	٣٣ ـ سورة (ص) (٣٨)	
١٥٧	وظن داود أنما فتنـاه فاستغفـر ربه وخـر راكعا وأنـاب فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب .	٢٤ ، ٢٥
١٥٨	قـال رب اغفر لي وهب لي ملكـا لا ينبغي لأحـد من	

العدد	الآيــــــة	رقم الآية
	بعدي إنك أنت الوهاب .	٣٥
	٣٤ ـ سورة الزمر (٣٩)	
١٥٩	لهم غرف من فوقها غرف مبنيّة .	٢٠
١٦٠	قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم .	٥٣
	٣٥ ـ سورة غافر «المؤمن» (٤٠)	
١٦١	كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب .	٣٤
	٣٦ ـ سورة فصلت (٤١)	
١٦٢	تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا .	٣٠
١٦٣	ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت .	٣٩
١٦٤	ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وإنهم لفي شك منه مريب .	٤٥
١٦٥	لا يسئم الإنسان من دعاء الخير وإن مسه الشر فيؤس قنوط .	٤٩
	٣٧ ـ سورة الشورى (٤٢)	
١٦٦	شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه .	١٣
١٦٧	. . وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك	

العدد	الآيـــــــة	رقم الآية
	منه مريب .	١٤
١٦٨	وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته .	٢٨
١٦٩	وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل .	٤٥
	٣٨ ـ سورة الزخـرف (٤٣)	
١٧٠	أم يحسبـون أنـا لا نسمع سرهم ونجـواهـم بلى ورسلنا لديهم يكتبون .	٨٠
	٣٩ ـ سورة الأحقاف (٤٦)	
١٧١	قـال ربي أوزعني أن أشكـر نعمتـك التي أنعمت علي وعلى والـدي وأن أعمـل صـالحا تـرضـاه واصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين .	١٥
١٧٢	يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم .	٣٠
	٤٠ ـ سورة محمد «القتال» (٤٧)	
١٧٣	فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسـه والله الغني وأنتم الفقراء .	٣٨
	٤١ ـ سورة الحجرات (٤٩)	
١٧٤	قالت الأعـراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قـولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم .	١٤
١٧٥	إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا .	١٥
	٤٢ ـ سورة (ق) (٥٠)	
١٧٦	إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد .	١٧
١٧٧	من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب .	٣٣

العدد	الآيـــــــة	رقم الآية
	٤٣ ـ سورة الذاريات (٥١)	
١٧٨	وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم .	٤١
١٧٩	ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين .	٥٠
	٤٤ ـ سورة الطور (٥٢)	
١٨٠	يوم تمور السماء مورا .	٩
١٨١	أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون .	٢٠
	٤٥ ـ سورة القمر (٥٤)	
١٨٢	خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر.	٧
١٨٣	إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر.	٥٤، ٥٥
	٤٦ ـ سورة الواقعة (٥٦)	
١٨٤	وإنه لقسم لو تعلمون عظيم .	٧٦
	٤٧ ـ سورة الحديد (٥٧)	
١٨٥	ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله .	١٦
١٨٦	الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتولّ فإن الله هو الغني الحميد .	٢٤
	٤٨ ـ سورة المجادلة (٥٨)	
١٨٧	وإذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فأفسحوا يفسح الله لكم .	١١
١٨٨	ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون .	١٤

العدد	الآيـــــــة	رقم الآية
	٤٩ ـ سورة الحشر (٥٩)	
١٨٩	ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون .	٩
	٥٠ ـ سورة الممتحنة (٦٠)	
١٩٠	يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور.	١٣
	٥١ ـ سورة الصف (٦١)	
١٩١	والله متم نوره ولو كره الكافرون .	٨
	٥٢ ـ سورة الجمعة (٦٢)	
١٩٢	قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم .	٨
	٥٣ ـ سورة التغابن (٦٤)	
١٩٣	زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤنّ بما عملتم وذلك على الله يسير.	٧
١٩٤	و إن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم .	١٤
١٩٥	ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون .	١٦
	٥٤ ـ سورة الملك (٦٧)	
١٩٦	ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا .	٨ـ٩
١٩٧	إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير.	١٢
	٥٥ ـ سورة القلم (٦٨)	
١٩٨	ولا تطع كل حلاف مهين .	١٠
١٩٩	إذ أقسموا ليصرمنّها مصبحين ولا يستثنون .	١٧ـ١٨
٢٠٠	خاشعة أبصارهم ترهقهم ذله وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون .	٤٣

العدد	الآيـــــــة	رقم الآية
	٥٦ ـ سورة المعارج (٧٠)	
٢٠١	خاشعة أبصـارهـم ترهقهم ذلّة ذلك اليوم الـذي كانوا يوعدون .	٤٤
	٥٧ ـ سورة الجن (٧٢)	
٢٠٢	وأنّا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربا .	١٢
٢٠٣	وألّوا استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا .	١٦
	٥٨ ـ سورة المدثر (٧٤)	
٢٠٤	وما أدراك ما سقر لا تبقى ولا تذر.	٢٧ـ٢٨
٢٠٥	ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون .	٣١
٢٠٦	كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة .	٥٠ـ٥١
	٥٩ ـ سورة القيامة (٧٥)	
٢٠٧	أيحسب الإنسان ألّن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوي بنانه .	٣ـ٤
	٦٠ ـ سورة النازعات (٧٩)	
٢٠٨	قلوب يومئذ واجفة أبصارها خاشعة .	٩
٢٠٩	فإن الجحيم هي المأوى .	٣٩
	٦١ ـ سورة عبس (٨٠)	
٢١٠	فأنبتنا فيها حبـا وعنبا وقضبا وزيتونـا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبّا .	٢٧ـ٣١
٢١١	يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه .	٣٤
	٦٢ ـ سورة الأعلى (٨٧)	
٢١٢	سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسـوى والذي قدر	

العدد	الآيـــــة	رقم الآية
	فهدى والذي أخرج المرعى .	١ ـ ٤
	٦٣ ـ سورة الغاشية (٨٨)	
٢١٣	هل أتاك حديث الغـاشية وجوه يومئذ خاشعـة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية .	١ ـ ٤
	٦٤ ـ سورة البلد (٩٠)	
٢١٤	فك رقبة أو اطعام في يوم ذي مسغبة .	١٣ ـ ١٤
	٦٥ ـ سورة البيّنة (٩٨)	
٢١٥	رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه .	٨

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الأبيات[1]

العدد	البيت	الشاعر	رقم الصفحة
	(ب)		
١	ديمة سمحة القياد سكوب مستغيث بها الثرى المكروب	أبو تمام	٦٩
٢	ليس في الحق يا أمامة ريب إنما الريب ما يقول الكذوب	ابن الزبعري	٢٢٧
٣	بثينة قالت يا جميل أربتني فقلت كلانا يا بثين مريب وأريبنا من لا يؤدي أمانة ولا يحفظ الأسرار حين يغيب	جميل بثينة	٢٣١
٤	حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب	النابغة الذبياني	٢٣٨
	(ج)		
٥	من يك ذا شك فهذا فلج ماء رواء وطريق نهج	راجز من بني العنبر ابن عمرو بن تميم	٢٤٨
٦	لقد نطق المأمون بالصدق والهدى وبيّن للإسلام دينا ومنهجا	أبو سفيان الحارث بن عبد المطلب	٢٤٥
	(د)		
٧	الا حبذا هند وأرض بها هند وهند أتى من دونها النأي والبعد	الحطيئة	٤٣، ٨٦، ١٨٣
٨	وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند	طرفة بن العبد	٦١

(١) الترتيب على القافية.

العدد	البيـــت	الشاعر	رقم الصفحة
٩	فما لي أراني وابن عمي مــــالكــــا متى أدن منــــه ينأ عنـي ويبعـــد	طرفة بن العبد	٨٦
	(ر)		
١٠	فشك أوداجـه والصـدر في مضض عليـه منطـويـا كـاللـذع بـالنـار	الأعشى	٢٣٤
	(س)		
١١	ومــوضع زبن لا أريــد مبيتــه كأني بـــه مـن شــدة الــروع آنس		٩٢
	(ف)		
١٢	قضينــــا مـن تهامــــة كل ريـب وخيبر ثم أجممنــــا السيــــوفــــا	كعب بن مالك الانصاري	٢٣١
	(ل)		
١٣	أيقتلنـي والمشرفي مضــــــاجعـي ومسنـــونـــة زرق كأنيــاب أغـــوال	امرؤ القيس	٦١
١٤	حلفت لها بـــالله حلفـــة فــاجــر لنـامـوا فما أن من حـديث ولا صـال	امرؤ القيس	٢٣٨
١٥	ولقـــد ذكـرتـك والمطي خـــواضع وكـأنهن قطـــــا فــــلاة مجهـل	جرير	٢٤٩
	(م)		
١٦	إني أتمم أيســــــاري وأمنحهـم مثنى الأيـادي وأكسـو الجفنـة الأدمـا	النابغة الذبياني	٦٨
١٧	وشككت بـــالـرمح الأصم ثيـابـه ليس الكــريم على القنـا بمحــرم	عنترة	٢٣٤
١٨	حلفت بــرب الــراقصـات إلى منى إذا مخرم جـــاوزنـــه بعـــد مخرم	الاعشى	٢٣٨
١٩	أقـــول لهم بـــالشعـب إذا ييسرونني ألم تيأســـوا أني ابن فــارس زهـــدم	سحيم	٢٧٤

العدد	البيـــــت	الشاعر	رقم الصفحة
	(ن)		
٢٠	وقـــدّمـت الأديم لـــــراهشيـــه وألفى قـــولها كـــذبـــا ومينـــا	عدى بن زيد	٨٧
	(ي)		
٢١	فشـك غير قليل ثـم قـــال لــــه إذ بح هـــديّك إني مـــانع جـــاري	الاعشى	٢٣٤
٢٢	لقـــد يئس الأقـــوام أني أنـــا ابنـــه وإن كنت عن أرض العشيرة نـــائيـــا	مالك بن عوف	٢٧٥

فهرس الأعلام

م	العلـــــم	الصفحات
٧٩	عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء)	٨، ١٠١، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٥٤، ٢٧٥.
٨٠	العباس بن الفرج (أبو الفضل)	٧٩.
٨١	عبد الرحمن بن علي (ابن الجوزى)	٢٤٤.
٨٢	عبد الرحمن بن محمد (ابن أبي حاتم)	٢٣٨.
٨٣	عبد الرحمن جلال الدين (السيوطي)	٧، ٢٩، ٧٣، ٧٥، ٩١، ١٠١، ١٩٤، ٢٠٥، ٢٠٧.
٨٤	عبد الرحمن بن عيسى الهمذاني	٤٦، ٥٤، ٧٧.
٨٥	عبد الرحمن ـ ابن أخ الأصمعي ـ	٧٣.
٨٦	عبد الرحمن بن أبي بكرة	٢٨٦.
٨٧	عبد الرحمن البنّاني	٤٠، ١٤٤.
٨٨	عبد الرحمن بن صخر (أبو هريرة)	٣٥، ٤٢، ٦٣.
٨٩	عبد الرحيم بن الحسين (العراقي)	١٥٤.
٩٠	عبد الرحيم الأسنوي	١٥٠.
٩١	عبد الله بن أبي قحافة (أبو بكر الصديق)	١٦، ١٧، ٤٤.
٩٢	عبد الله بن مسعود	٢٥٥، ٢٥٩.
٩٣	عبد الله بن مسلم بن قتيبة	١٠١، ١١٧.
٩٤	عبد الله بن أحمد النسفي	١٨٦.
٩٥	عبد الله بن جعفر بن درستويه	٨٨، ٩٣، ٩٥.
٩٦	عبد الله بن عباس	١٨، ١٠١، ٢٢٧، ٢٤٤، ٢٧٤.

م	العلـــم	الصفحات
١٣٤	مالك بن عوف	٢٧٥.
١٣٥	محمد بن أحمد (الجلال المحلي)	١٣٧.
١٣٦	محمد بن أحمد خلف الله	١٩٤.
١٣٧	محمد بن أحمد القرطبي	٢٠١، ٢١٥.
١٣٨	محمد بن أبي بكر (ابن القيم)	١٤٤، ١٤٥.
١٣٩	محمد بن إسماعيل البخاري	٢١، ٤١، ٨٧، ١٧٨.
١٤٠	محمد بن إسحاق (ابن النديم)	٥٧، ٩٧.
١٤١	محمد بن إدريس (الشافعي)	١٣، ١٥٢، ١٥٥.
١٤٢	محمد التهانوي	٢٧٩.
١٤٣	محمد بن الحسن (ابن دريد)	١٢٦.
١٤٤	محمد بن جرير الطبري	١٨٦، ١٩٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢٤٨.
١٤٥	محمد بن زياد (ابن الأعرابي)	٨٨، ٩١، ٩٢، ١٢٦.
١٤٦	محمد الشيباني (صاحب أبي حنيفة)	١٥٢.
١٤٨	محمد بن عبد الله ﷺ	٥، ٢١، ٢٢، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٥، ٨٧.
١٤٩	محمد بن عبد الله (بدر الدين الزركشي)	١٥، ١٧، ١٠١، ١٩٤، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٧، ٢٣٨.
١٥٠	محمد بن عبد الله (أبو بكر بن العربي)	١٦٦.
١٥١	مسلم بن الحجاج	٢٢١، ٢٨٧، ٢٥٧.

فهرس المصادر والمراجع

١ ـ مصادر ومراجع اللغة العربية:

م	اسم الكتاب	المؤلف	ملاحظات
١	أساس البلاغة .	الزمخشري .	ـ كتاب الشعب ـ دار ومطابع الشعب ١٩٦٠م .
٢	أساليب القسم في اللغة العربية .	كاظم فتحي الراوي .	الطبعة الأولى سنة ١٣٩٧هـ مطبعة جامعة بغداد .
٣	آمالي السهيلي .	أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الأندلسي .	تحقيق محمد ابراهيم البنا مطبعة السعادة .
٤	الألفاظ الكتابية .	عبد الرحمن بن عيسى الهمذاني .	اعتنى بضبطه وتصحيحه الأب لويس شيخو اليسوعي، الطبعة الثامنة بمطبعة الآباء اليسوعيين . بيروت سنة ١٩١١ م .
٥	الألفاظ المترادفة .	علي بن عيسى الرماني .	الطبعة الثانية . المطبعة المحمودية

م	اسم الكتاب	المؤلف	ملاحظات
			التجارية بمصر. عنى بشرحها محمد محمود الرافعي بعد أن صححها وضبط ألفاظها على الأستاذ محمد محمود الشنقيطي.
٦	الألفاظ اللغوية خصائصها وأنواعها.	عبد الحميد حسن.	مطبعة الجبلاوي. القاهرة سنة ١٩٧١م.
٧	الألفاظ الفارسية المعرّبة.	أدى شير.	طبع بالمطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين. بيروت سنة ١٩٠٨م.
٨	البلغة في أصول اللغة.	محمد صدّيق حسن.	طبع بمطبعة الجوائب في القسطنطينية.
٩	تاج العروس من جواهر القاموس.	محمد مرتضى الزبيدي.	منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت. لبنان.
١٠	التحفة النظامية في الفروق الاصطلاحية.	علي أكبر محمود النجفي.	الطبعة الثانية. بمطبعة دائرة المعارف

م	اسم الكتاب	المؤلف	ملاحظات
			النظامية الكائنة بمدينة حيدر أباد الدكن سنة ١٣٤٠هـ.
١١	التعريفات.	أبو الحسن علي بن محمد الجرجاني.	المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية. نشر الدار التونسية للنشر وكذا طبعة سنة ١٣٥٧هـ.
١٢	تهذيب الصحاح.	محمود بن أحمد الزنجاني.	تحقيق/ عبد السلام هارون، أحمد عبد الغفور عطار، نشر: محمد سرور الصبان. دار المعارف بمصر.
١٣	دراسات في فقه اللغة.	صبحي الصالح.	الطبعة السادسة. دار العلم للملايين بيروت سنة ١٩٧٦م.
١٤	دلالة الألفاظ.	إبراهيم أنيس.	الطبعة الأولى عام ١٩٥٨م.

م	اسم الكتاب	المؤلف	ملاحظات
١٥	دور الكلمة في اللغة .	ستيفن أولمان ترجمة : كمال بشر.	الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٢م . المطبعة العثمانية نشر مكتبة الشباب .
١٦	الخصائص .	أبو الفتح عثمان بن جنى .	تحقيق محمد علي النجار الطبعة الثانية . مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٧١هـ . القاهرة .
١٧	شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك .	بهاء الدين بن عبد الله بن عقيل تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .	الطبعة الرابعة عشرة . سنة ١٣٨٥هـ . مطبعة السعادة بمصر.
١٨	الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها .	أحمد بن فارس .	تحقيق مصطفى الشويمي . طبعة سنة ١٩٦٤م . مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر.
١٩	الصحاح في اللغة والعلوم .	الجواهري .	تقديم الشيخ عبد الله العلايلي ، اعداد وتصنيف أسامة مرعشلي ونديم

م	اسم الكتاب	المؤلف	ملاحظات
			مرعشلي. دار الحضارة العربية. بيروت.
٢٠	ضياء السالك إلى أوضح المسالك لابن هشام.	محمد عبد العزيز النجار.	الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ. مطبعة الفجالة الجديدة.
٢١	العجالة في فقه اللغة.	عبد الخالق عضيمة.	محاضرات للعام الدراسي ٩٤ ـ ١٣٩٥هـ في كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية ـ الرياض.
٢٢	غرائب اللغة العربية.	الأب رفائيل نخلة اليسوعي.	الطبعة الثانية. المطبعة الكاثوليكية. بيروت.
٢٣	فرائد اللغة. الجزء الأول في الفروق.	الأب هنريكوس لامنس اليسوعي.	المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين سنة ١٨٨٩هـ.
٢٤	الفروق في اللغة.	أبو هلال العسكري.	الطبعة الثانية عام ١٩٧٧م. نشر دار

م	اسم الكتاب	المؤلف	ملاحظات
			الآفاق الجديدة. بيروت.
٢٥	فروق اللغات.	نور الدين الجزائري.	تحقيق. أسد الله الاسماعيليان طبع بمطبعة النجف سنة ١٣٨٠هـ نشرته دار الكتب العلمية بالنجف.
٢٦	فصول في فقه العربية.	رمضان عبد التواب.	الطبعة الأولى. القاهرة سنة ١٩٧٧م ـ مكتبة دار التراث.
٢٧	فقه اللغة وخصائص العربية.	محمد المبارك.	الطبعة السادسة سنة ١٣٩٥هـ بيروت. دار الفكر.
٢٨	فقه اللغة وسر العربية.	أبو منصور الثعالبي.	الطبعة الأخيرة سنة ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م
٢٩	فقه اللغة.	علي عبد الواحد وافي.	الطبعة السادسة سنة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م
٣٠	في اللهجات العربية.	إبراهيم أنيس.	الطبعة الرابعة.

م	اسم الكتاب	المؤلف	ملاحظات
٣١	قاموس المترادفات والمتجانسات .	الأب رفائيل نخلة اليسوعي .	المطبعة الكاثوليكية . بيروت سنة ١٩٥٧م .
٣٢	القاموس المحيط .	الفيروز أبادي .	دار الفكر بيروت . لبنان .
٣٣	كتاب الأضداد .	محمد بن القاسم الأنباري .	تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبع بمطبعة حكومة الكويت . سنة ١٩٦٠م ضمن سلسلة التراث العربي .
٣٤	كتاب نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد .	إبراهيم اليازجي اللبناني .	طبع بمطبعة المعارف سنة ١٩٠٤م .
٣٥	كتاب معاني الحروف .	أبو الحسن علي بن عيسى الرماني .	تحقيق . . . عبد الفتاح إسماعيل شلبي . طبع ونشر دار نهضة مصر للطبع والنشر ـ القاهرة .
٣٦	الكتاب .	سيبويه .	تحقيق : عبد السلام

م	اسم الكتاب	المؤلف	ملاحظات
			هارون الطبعة الثانية سنة ١٩٧٧م. المطبعة المصرية العامة للكتاب.
٣٧	الكليات.	أبو البقاء الحسيني.	طبع في مطبعة العامرة. ربيع الأول ٢٣ سنة ١٢٨٧هـ.
٣٨	لسان العرب.	ابن منظور.	قدم له العلامة الشيخ عبد الله العلايلي اعداد وتصنيف يوسف خياط. دار لسان العرب ـ بيروت.
٣٩	اللغة العربية بين حماتها وخصومها.	أنور الجندي.	مطبعة الرسالة.
٤٠	اللهجات العربية.	إبراهيم محمد نجا.	مطبعة السعادة سنة ١٣٩٦هـ.
٤١	مجمع البحرين.	فخر الدين الطريحي.	تحقيق أحمد الحسيني. إصدار دار الكتب العلمية. النجف ومكتبة الوراق ـ النجف.

م	اسم الكتاب	المؤلف	ملاحظات
٤٢	المخصص.	أبو الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده.	الطبعة الأولى بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق سنة ١٣٢٠هـ. مصر.
٤٣	المزهر في علوم اللغة وأنواعها.	جلال الدين السيوطي.	شرح وضبط.. محمد أحمد جاد المولى، وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم. دار احياء الكتب العربية. عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الرابعة.
٤٤	المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي.	أحمد بن محمد الفيومي.	المطبعة الأميرية الكبرى. دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٣٩٨هـ.
٤٥	معجم مقاييس اللغة.	أحمد بن فارس.	تحقيق عبد السلام محمد هارون الطبعة الأولى بالقاهرة سنة ١٣٦٦هـ. دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي

م	اسم الكتاب	المؤلف	ملاحظات
			وشركاه.
٤٦	معجم المعاني للمترادف والمتوارد والنقيض من أسماء وأفعال وأدوات وتعابير.	نجيب اسكندر.	الطبعة الأولى. مطبعة الزمان بغداد سنة ١٩٧١م.
٤٧	مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب.	جمال الدين ابن هشام الأنصاري.	الطبعة الثالثة. دار الفكر - بيروت.
٤٨	نشأة اللغة عند الإنسان والطفل.	علي عبد الواحد وافي.	الطبعة الثانية سنة ١٣٨٢هـ. الناشر مكتبة دار العروبة.

٢ ـ مصادر ومراجع الأصول:

م	الكتـــــاب	ملاحظات
٤٩	الإحكـام في أصـول الأحكـام . تـأليف العـلامـة : سيف الـدين أبى الحسن علي بن أبى علي بن محمد الآمدي . قام بالتعليق عليه فضيلـة الشيخ : عبـد الـرزاق عفيفي . وقـام بتصحيحـه الشيخ عبد الله بـن غديـان وعلى الحمد الصالحي .	الطبعـة الأولى بتـاريخ ١٣٨٧/٨/٧ هـ طبع في مـؤسسـة النـور للطبـاعـة والتجليد . الرياض .
٥٠	أصول الفقه تأليف محمد الخضري بك .	الطبعـة السـادسـة سنـة ١٣٨٩هـ .
٥١	تسهيل الـوصـول إلى علـم الأصـول . تأليف محمد عبد الرحمن عيد المحلاوي الحنفي .	طبع بمطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. ربيع أول ١٣٤١هـ
٥٢	الترياق النـافع بإيضـاح وتكميل مسائل جمع الجوامع . للإمام أبي بكـر بن عبد الرحمن ابن شهاب الدين العلوي الحسيني الشافعي .	الطبعـة الأولى ١٣١٧هـ بمطبعـة مجلس دائرة المعـارف النظاميـة . حيـدر أباد .
٥٣	التمهيد . عبد الرحيم الأسنوي .	
٥٤	تيسير التحرير شرح محمد أمين المعروف بأمير بـادشاه على كتـاب التحريـر في أصول الفقـه الجامع بين اصطـلاحي الحنفيـة والشـافعيـة لكمال الديـن محمد بن عبـد الواحد بـن عبد الحميد الشهير بابن الهمام .	طبع بمطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر سنـة ١٣٥٠هـ .

م	الكتاب	ملاحظات
٥٥	حاشية العلامة البنّاني على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع للإمام السبكي .	طبع سنة ١٢٨٥ بدار الطباعة .
٥٦	حاشية سعد الدين التفتازاني وحاشية السيد الشريف الجرجاني على شرح القاضي عضد الملة لمختصر المنتهى مع حاشية المحقق حسن الهروي على حاشية السيد الجرجاني .	الطبعة الأولى بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق سنة ١٣١٦هـ.
٥٧	حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع لابن السبكي . وبهامشه تقرير للعلامة المحقق عبد الرحمن الشربيني على جمع الجوامع لابن السبكي . وبأسفل الصلب والهامش تقريرات محمد بن علي بن حسين .	مطبعة مصطفى محمد صاحب المكتبة التجارية الكبرى ـ بمصر.
٥٨	الرسالة للإمام محمد بن إدريس الشافعي . تحقيق محمد سيد كيلاني .	الطبعة الأولى سنة ١٣٨٨هـ.
٥٩	سلم الوصول لشرح نهاية السول في شرح منهاج الأصول للقاضي البيضاوي . تأليف الشيخ محمد بن بخيت المطيعي ـ نهاية السول من تأليف العلامة جمال الدين الأسنوي .	المطبعة السلفية ومكتبتها نشرته جمعية نشر الكتب العربية بالقاهرة .
٦٠	شرح البدخشي ـ مناهج العقول شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول ـ للإمام محمد بن	مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بالأزهر بمصر.

م	الكتـــاب	ملاحظات
	الحسن البدخشي. وشرح الأسنوي ــ نهاية السول ــ للإمام جمال الدين عبد الرحيم الأسنوي. كلاهما شرح لمنهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي البيضاوي.	
٦١	شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول للإمام شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد.	الطبعة الأولى ذو الحجة سنة ١٣٩٣هـ.
٦٢	شرح الكوكب المنير. المسمى بمختصر التحرير للإمام تقي الدين أبي البقاء محمد ابن شهاب الدين الفتوحي. تحقيق/ محمد حامد فقي.	الطبعة الأولى سنة ١٣٧٣ هجرية مطبعة السنة المحمدية.
٦٣	فصول البدايع في أصول الشرايع. للعلامة محمد بن حمزة بن محمد الفناري.	طبع بمطبعة شيخ يحيى أفندي ١٢٨٩هـ.
٦٤	فواتح الرحموت شرح مسلّم الثبوت للعلامة عبد العلي محمد بن نظام الدين الأنصاري.ـ مسلم الثبوت للإمام ابن عبد الشكور.	طبع بحاشية المستصفى للغزالي. الطبعة الأولى بالمطبعة الأميرية ببولاق مصر سنة ١٣٢٤هـ.
٦٥	كتاب إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول تأليف محمد بن علي الشوكاني.	الطبعة الأولى ١٣٢٧هـــ مطبعة السعادة. مصر.

م	الكتاب	ملاحظات
٦٦	المحصول من علم الأصول. للإمام فخر الدين الرازي.	مخطوط بجامعة الرياض غير مرقم الصفحات، وصفحة العنوان ناقصة.
٦٧	مختصر صفوة البيان في شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي البيضاوي. تأليف يس سويلم طه.	طبع سنة ١٣٩٥هـ.
٦٨	المستصفى من علم الأصول للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ـ ومعه فواتح الرحموت.	الطبعة الأولى بالمطبعة الأميرية ببولاق مصر سنة ١٣٢٤هـ.
٦٩	المنخول من تعليقات الأصول. للإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي. حققه وخرج نصه وعلق عليه محمد حسن هيتو.	نشر لأول مرة عن ثلاث نسخ مخطوطة.
٧٠	منتهى الوصول والأمل في علمي الأصول والجدل. للإمام جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب.	الطبعة الأولى سنة ١٣٢٦هـ مطبعة السعادة بمصر.
٧١	منهاج الوصول في معرفة علم الأصول للقاضي البيضاوي.	مطبعة محمد علي صبيح وأولاده سنة ١٣٨٩هـ.

٣ ـ مصادر ومراجع التفسير والدراسات القرآنية:

م	الكتـــاب	المؤلف	ملاحظات
٧٢	القرآن الكريم .		
٧٣	إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق .	د. حفنى محمد شرف	مطابع الأهرام التجارية سنة ١٣٩٠هـ .
٧٤	الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق .	د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ .	دار المعارف بمصر.
٧٥	الإتقان في علوم القرآن .	جلال الدين السيوطي .	الطبعة الثالثة سنة ١٣٧٠هـ .
٧٦	البرهان في علوم القرآن .	بدر الدين محمد عبد الله الزركشي تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم .	الطبعة الثانية .
٧٧	البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن .	كمال الدين عبد الكريم الزملكاني . تحقيق د. خديجة الحديثي، د. أحمد مطلوب .	الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ مطبعة العاني بغداد .

م	الكتـــاب	المؤلف	ملاحظات
٧٨	بصـائر ذوي التمييـز في لطائف الكتاب العزيز.	مجد الـــدين الفيروزابادي تحقيق: محمد علي النجـار. وحقق الجزء الخامس والســادس/ عبد العليم الطحاوي.	
٧٩	تأويل مشكل القرآن.	ابن قتيبة، شرحه ونشره السيـد أحمد صقر.	الطبعة الثانية سنة ١٣٩٣هـ ـ دار التراث القاهرة.
٨٠	تفسير غريب القرآن.	ابن قتيبة. تحقيق السيد أحمد صقر.	دار الكتب العلمية. بيروت لبنان. سنة ١٣٩٨هـ.
٨١	تفسير القرآن العظيم.	الإمـام أبـو الفـداء إسماعيل بن كثير.	طبع بـدار إحيـاء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه.
٨٢	تفسير النسفي.	عبـد الله بن أحمد النسفي.	دار إحيـاء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه.
٨٣	تفسير مكـي بـن أبي طالب.	مكي بن أبي طالب. تحقيق/ أحمد حسن فرحات.	ـ لا يزال مخطوطا ـ

م	الكتـــاب	المؤلف	ملاحظات
٨٤	تفسير غرائب القرآن .	نظام الـدين الحسن بـن محمـــــــد النيسابوري .	طبع بهامـش تفسير الطبري طبعـــة دار الفكـر. بيروت سنة ١٣٩٨هـ .
٨٥	التفسير البيـاني للقـرآن الكريم .	عائشة عبد الـرحمن ـ بنت الشاطئ .	دار المعـارف بمصر. الطبعة الرابعـة للجزء الأول ١٣٩٤هـ والطبعة الثانية للجزء الثاني .
٨٦	التعبير الفني في القرآن .	د. بكـــري شيـخ أمين .	الطبعـة الثـانيـة . دار الشروق .
٨٧	الجامع لأحكام القرآن .	أبو عبـد الله محمد بن أحمد القرطبي .	الطبعـة الثالثـة . عن طبعـــة دار الكتب المصريـة، دار القلم سنة ١٣٨٦ هـ .
٨٨	جـامع البيـان عن تأويل القرآن .	أبـو جعفـر محمـد بن جريـر الطبري حققه وعلق حواشيـه محمود محمـد شاكـر راجعـه وخـرج أحاديثـه أحمد محمد شاكر.	طبـاعـة دار المعـارف بمصر. وكـــذلـك طبعـــة دار الفكـــر بيروت ســنـــة ١٣٩٨هـ .

م	الكتـــاب	المؤلف	ملاحظات
٨٩	ثلاث رسائل في إعجاز القرآن .	للرماني والخطابي والجرجاني حققها وعلق عليها محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام .	دار المعارف بمصر.
٩٠	روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني .	محمود شكري الألوسي .	ادارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث، بيروت . لبنان .
٩١	زاد المسير في علم التفسير.	ابن الجوزى .	الطبعة الأولى ١٣٨٤ هجرية . المكتب الإسلامي للطباعة والنشر.
٩٢	شرح كلا وبلى ونعم والوقف على كل واحدة منهن في كتاب الله عز وجل .	الإمام أبو محمد مكي بن أبى طالب القيسي . تحقيق/ د. أحمد حسن فرحات .	دار المأمون للتراث الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨هـ .
٩٣	فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير.	محمد بن علي الشوكاني .	دار الفكر. بيروت . الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٣هـ .

م	الكتـــاب	المؤلف	ملاحظات
٩٤	فكـرة النظـم بين وجـوه الإعجـاز في القـرآن الكريم.	د. فتحـي أحمد عامر.	القاهرة ١٣٩٥هـ.
٩٥	كتـاب مـا اتفق لفظـه واختلف معناه مـن القرآن المجيد.	أبو العباس محمد ابن زيد المبرد.	المطبعـة السلفيـة ومكتبتها، القـاهرة، اعتنـاء عبـد العـزيـز الميمني الراجكوتي.
٩٦	الكشـاف عن حقـائق التنزيل وعيون الأقاويل.	جار الله الزمخشري.	دار المعـرفة للطبـاعـة والنشر بيروت. لبنان.
٩٧	مباحث في علوم القرآن.	مناع القطان.	الطبعة الرابعة.
٩٨	المحـرر الـوجيـز في تفسير الكتاب العزيز.	أبـو محمـد عبـد الحق ابن عطية الغـرناطي. تحقيـق وتعليـق أحمد صادق الملاّح.	القاهـرة. صدر الجزء الأول سنـة ١٣٩٤هـ.
٩٩	مفاتيح الغيب.	الفخر الرازي.	الطبعة الأولى.
١٠٠	المفـردات في غـريب القرآن.	الحسين بن محمـد الراغب الأصفهاني.	نشر مكتبـة الأنجلـو المصريـة. أشرف على الطبع د. محمـد أحمد خلف الله. المطبعـة

م	الكتاب	المؤلف	ملاحظات
			الفنية الحديثة.
١٠١	مقدمة في أصول التفسير.	ابن تيمية. تحقيق د. عدنان زرزور.	الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ دار القرآن الكريم. الكويت. مؤسسة الرسالة بيروت.
١٠٢	مقدمتان في علوم القرآن.	ابن عطية ـ وآخر ـ	المقدمتان هما مقدمة كتاب المباني لمؤلف مجهول. ومقدمة ابن عطية. نشرهما المستشرق آرثر جفري. الطبعة الثانية. قام بتصحيحها عبد الله إسماعيل الصاوي نشر مكتبة الخانجي. القاهرة.
١٠٣	مقدمة الراغب الأصفهاني.	الراغب الأصفهاني.	طبعت مع كتاب تنزيه القرآن عن المطاعن. للقاضي عبد الجبار. في المطبعة الجمالية.

م	الكتـــاب	المؤلف	ملاحظات
١٠٤	مقدمة الراغب مع جزء من تفسيره.	الراغب الأصفهاني. تحقيق د. أحمد حسن فرحات.	لا تزال مخطوطة.
١٠٥	معجم ألفاظ القرآن الكريم.	ـ وضع مجمع اللغة العربية ـ	طبع بمطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.
١٠٦	معجم الألفاظ والأعلام القرآنية.	محمد إسماعيل إبراهيم.	الطبعة الثانية. دار الفكر العربي.
١٠٧	المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.	محمد فؤاد عبد الباقي.	ـ كتاب الشعب ـ دار ومطابع الشعب.
١٠٨	المعاني الثانية في الأسلوب القرآني.	د. فتحي أحمد عامر.	نشر منشأة المعارف بالاسكندرية.
١٠٩	معترك الأقران في إعجاز القرآن.	جلال الدين السيوطي تحقيق علي محمد البجاوي.	طبع ونشر دار الفكر العربي.

٤ ـ مصادر ومراجع الحديث:

م	الكتاب	المؤلف	ملاحظات
١١٠	جامع الأصول في أحاديث الرسول .	مجد الدين أبو السعادات المبارك ابن محمد بن الأثير الجزري . حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه . عبد القادر الأرناؤوط .	مطبعة الملاح سنة ١٣٨٩هـ .
١١١	سنن أبي داود .	الإمام الحافظ أبو داود سليمان ابن الأشعث السجستاني اعداد وتعليق/ عزت عبيد الدعاس .	الطبعة الأولى سنة ١٣٨٨هـ ومعه كتاب معالم السنن للخطابي .
١١٢	سنن النسائي .	للإمام النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي ، وحاشية الإمام السندي .	طبعة دار إحياء التراث العربي . بيروت طبعت بمطابع الشركة العامة .

م	الكتـــاب	المؤلف	ملاحظات
١١٣	السنن الكبرى .	أبو بكر البيهقي . وفي ذيله الجوهر النقي لابن التركمان .	الطبعة الأولى . مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية . بحيدر أباد الدكن الهند ١٣٥٥ هـ ـ دار صادر ـ بيروت .
١١٤	صحيح مسلم بشرح النووي .	للإمام مسلم القشيري .	الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ دار الفكر . بيروت/ لبنان .
١١٥	فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري .	للإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني .	المطبعة السلفية ومكتبتها ـ القاهرة سنة ١٣٨٠هـ .
١١٦	كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال .	للعلامة علاء الدين على المتقي الهندي .	الطبعة الأولى سنة ١٣٩١هـ .
١١٧	مسند أبي داود الطيالسي .	أبو داود الطيالسي .	الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الهند سنة ١٣٢١هـ .

م	الكتـــاب	المؤلف	ملاحظات
١١٨	مسنـــد الإمـــام أحمد بن حنبل .	أحمد بن حنبل .	طبعـة دار صـادر. بهامشه منتخب كنـز العمال .
١١٩	المستـــــــــدرك على الصحيحين .	للحافظ أبـى عبد الله الحاكم النيسـابـوري وبـذيلـه التلخيص للحافظ الذهبي .	نشر مكتـــــــب المطبوعات الإسـلامية حلـــب . بيروت . لبنان .
١٢٠	مـوارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان .	للحـافظ نـور الـدين علي بـن أبي بكـــر الهيثمـي . حققـــه ونشره/ محمـد عبـد الرازق حمزة .	المطبعـــة السلفيــة ومكتبتها .
١٢١	الموطأ .	الإمـام مـالك . صححـــه ورقمـــه وخرج أحـاديثه وعلق عليه محمـد فؤاد عبـد الباقي .	دار احيـــاء الكتب العـربية طبعـة عيسى البـابي الحلبي وأولاده سنة ١٣٧٠هـ .
١٢٢	النهايـة في غريب الحديث والأثر.	للإمـام مجد الدين أبي السعادات المبـارك بن الأثير.	نشر المكتبة الإسلامية ــ دار احيـاء التراث العـــــربي - بيروت/ لبنان .

٥ ـ مراجع التراجم:

م	الكتــاب	المؤلف	ملاحظات
١٢٣	الإعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين.	خير الدين الزركلي.	الطبعة الثالثة.
١٢٤	الأصمعي، حياته وآثاره.	عبد الجبار الجومرد.	طبع بمطابع دار الكشاف بيروت سنة ١٣٧٥هـ.
١٢٥	ابن تيمية بطل الإصلاح الديني.	محمود مهدي الإستانبولي.	منشورات دار الحياة للطباعة والنشر. دمشق.
١٢٦	إنباه الرواة على أنباه النحاة.	جمال الدين أبى الحسن علي بن يوسف القفطي.	تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم مطبعة دار الكتب المصرية عام ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م
١٢٧	بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة.	جلال الدين السيوطي.	تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم. الطبعة الأولى سنة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م

م	الكتـــاب	المؤلف	ملاحظات
١٢٨	حياة شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية .	أبــو الحسن علي الحسني الندوي .	الطبعة الأولى سنة ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م دار القلم . الكويت وهو الجزء الثاني من سلسلة : رجال الفكر والدعوة في الإسلام . تعريب/ سعيد الأعظمي الندوي .
١٢٩	حياة شيخ الإسلام ابن تيمية . محاضرات، ومقالات ودراسات .	محمد بهجة البيطار .	الطبعة الثانية . المكتب الإسلامي .
١٣٠	شخصيات إسلامية معاصرة .	ابراهيم البعثي .	مطبوعات الشعب .
١٣١	طبقات الحافظ .	جلال الدين السيوطي .	تحقيق : علي محمد عمر . الطبعة الأولى سنة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م مطبعة الاستقلال الكبرى القاهرة .

م	الكتـــاب	المؤلف	ملاحظات
١٣٢	طبقات المفسرين.	جـلال الـــدين السيوطي.	تحقيق: علي محمـد عمـر. الطبعـة الأولى سنـة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م مطبعـة الحضـارة العـربيـة الفجـالـة. النـاشر: مكتبة وهبة.
١٣٣	طبقات المفسرين.	شمس الـدين محمـد ابـن علي بـن أحمد الداودي.	تحقيق: علي محمـد عمـر. الطبعـة الأولى سنـة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م مطبعـة الاستقـلال الكبرى القـاهـرة. النـاشر: مكتبة وهبة.
١٣٤	الفتح المبين في طبقـات الأصوليين.	عبـد الله مصطفى المراغي.	الطبعـة الثـانيـة سنـة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م النـاشر: محمـد أمين دمج وشركاه بيروت. لبنان.
١٣٥	كتاب الشفا.	للقـاضي عيـاض بن مـوسى اليحصبي الأندلسي.	تحقيق: محمـد أمين قـرة علي، جمال السيروان، أسـامـة الرفاعي، نـور الدين

م	الكتـــاب	المؤلف	ملاحظات
			قـرة علي. دار الوفـاء للطبـــاعـــة والنشر دمشق.
١٣٦	معجم المؤلفين تـــراجم مصنفي الكتب العربية.	عمر رضا كحالة.	مطبعـــــة الترقـي بـــــــــدمشـق ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م
١٣٧	معجم الأدباء.	ياقوت الحموي.	الطبعـــة الأخيرة. مكتبـة عيسـى البـابي الحلبـي وشركـــاه بمصر.

٦ ـ الدواويـن الشعريـة:

م	الـديـــوان	معلـومـــــات
١٣٨	ديوان امرئ القيس .	تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم . الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٤م . وكذلك شرح ديوان امرئ القيس ومعه اخبار المراقشة واشعارهم في الجاهلية وصدر الإسلام ، ويليه أخبار النوابغ وآثارهم في الجاهلية وصدر الإسلام تأليف حسن السندوبي ، (ط٤) سنة ١٣٧٨هـ .
١٣٩	ديوان الأعشى الكبير.	شرح وتعليق د . محمد محمد حسين . المطبعة النموذجية بمصر.
١٤٠	ديوان أبي تمام .	شرح وتعليق د . شاهين عطية . مراجعة الأب بولس الموصلي . الطبعة الأولى سنة ١٣٨٧هـ . المطبعة التعاونية اللبنانية في درعون .
١٤١	ديوان جرير.	شرح محمد بن حبيب ، تحقيق د . نعمان محمد أمين طه ، دار المعارف بمصر.
١٤٢	ديوان جميل بثينة .	دار صادر بيروت سنة ١٣٨٦هـ .
١٤٣	ديوان طرفة بن العبد .	مع شرح الأديب يوسف الأعلم الشنتمري . طبع في مدينة شالون على نهر سون بمطبعة بطرند سنة ١٩٠٠م .

م	الديـــوان	معلـــومـــــات
١٤٤	ديوان عنترة .	دار صادر. بيروت .
١٤٥	ديـوان عـــدى بن زيـــد العبادي .	حققه وجمعه محمد جبار المعيبد . شركة دار الجمهورية للنشر والطبع ببغداد سنة ١٩٦٥م .
١٤٦	ديوان كعب بن مالك .	دراسة وتحقيق سامي مكي العاني . الطبعة الأولى سنة ١٣٨٦هـ. طبع في مطبعة المعـارف ببغداد سـاعدت جـامعة بغـداد على نشره .
١٤٧	ديوان النابغة الذبياني .	جـمـع وتحقيق وشرح الشيـخ محمـد الطاهر ابن عاشـور. نشر الشركة التونسيـة للتوزيع . والشركـة الـوطنية للنشر والتـوزيع ـ الجزائر. طبع بمصنع الكتـاب للشركـة التـونسيـة للتوزيع . تونس .

٧ ـ مصادر ومراجع مختلفة:

م	اسم الكتاب	معلومـــــات
١٤٨	أدب الكتاب	لأبي محمد عبـد الله بن مسلم بن قتيبة . تحقيق محمد محي الـدين عبد الحميد . الطبعة الثـالثة سنة ١٣٧٧هـ مطبعة السعادة . مصر.
١٤٩	الإيمان	لشيخ الإسلام ابن تيميـة . الطبعة الثانيـة سنة ١٣٩٢هـ، المكتب الإسلامي .
١٥٠	البيان والتبيين	لأبي عثمان عمـــرو بن بحـــر الجاحظ . تحقيق وشرح/ عبد السـلام هارون . الطبعـة الرابعـة سنـــة ١٣٩٥هـــــ . الناشر مكتبــة الخانجي بمصر.
١٥١	تاريخ الأدب العربي	كـارل بـروكلمان . نقلـه إلى العـربيـة د . عبـد الحليم النجار الطبعة الثانية . دار المعارف .
١٥٢	تاريخ آداب العرب	مصطفى صادق الـرافعي الطبعة الرابعـة سنة ١٣٩٤هـ . نشر دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان .
١٥٣	جامع الرسائل	لابن تيميـة ـ المجموعـة الأولى ـ تحقيـق محمد رشاد سالم .

م	اسم الكتاب	معلومات
١٥٤	الخشوع في الصلاة	للإمام أبى الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي مطبعة العباسية الحديثة بمصر.
١٥٥	روضة المحبين ونزهة المشتاقين	لابن القيم، صححها وعلق عليها أحمد عبيد. طباعة مطبعة السعادة بمصر عام ١٣٧٥هـ.
١٥٦	شروح التلخيص شرح عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح.	بهاء الدين السبكي. الطبعة الأولى.
١٥٧	الفتاوى.	لشيخ الإسلام ابن تيمية. الطبعة الأولى سنة ١٣٨١هـ ـ مطابع الرياض.
١٥٨	الفهرست	لابن النديم تحقيق رضا تجدد. طهران مكتبة الأسدي سنة ١٣٩١هـ.
١٥٩	كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون.	تأليف حاجي خليفة. الطبعة الأولى. دار سعادت.
١٦٠	كتاب الشكر.	لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي ابن أبي الدنيا الطبعة الأولى سنة ١٣٤٩هـ. القاهرة. مطبعة المنار بمصر.
١٦١	كتاب الصناعتين ـ الكتابة والشعر ـ	لأبي هلال العسكري. تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم. نشر

م	اسم الكتاب	معلومـــــات
		عيسى البابي الحلبي وشركاه.
١٦٢	كتاب مكاتيب الرسول	تـأليف علي بـن حسينعلي الأحمدي. نشر دار المهاجر بيروت.
١٦٣	المثل السـائر في أدب الكاتب والشاعر	لأبي الفتح ضياء الـدين نصر الله بن محمد ابن محمـد بن عبـد الكريم المعـروف بـابن الأثير. تحقيق محمـد محي الدين عبـد الحميـد طباعـة شركـة ومطبعة مصطفى البـابي الحلبي وأولاده بمصر سنة ١٣٥٨هـ.
١٦٤	موسـوعة اصطـلاح العلوم الإسـلاميـة ــ المعـروف بكشـاف اصطـلاحـات الفنون.	تأليف محمـد التهـانـوي. منشـورات شركـة خياط للكتب والنشر «بيروت» لبنان.

٨ ـ المجـــــلات:

م	المجلـــة	معلـــومــــــات
١٦٥	مجلة الدارة.	مجلـة ربع سنويـة تصدر عن دارة الملك عبـد العزيـز. العدد الرابـع السنة الرابعـة محرم سنة ١٣٩٩هـــ. مقـال ــ السـلاح في العـربيـة ـ ابراهيم السامرائي.
١٦٦	مجلـة كليـة الـدراســات الاسلامية.	تصدرهـا كلية الدراسـات الاسلامية ــ بغداد العدد السادس سنة ١٣٩٥هـ.
١٦٧	مجلـة مجمع اللغـة العربيـة الملكي.	العدد الأول. سنـة ١٣٥٣هـ بحث لـلأستاذ علي الجارم.
١٦٨	مجلة مجمع اللغة العربية.	الجزء الثـامن. بحـث لـــلأستـــاذ خليل السكاكيني. عضو المجمع اللغوي في ٢ يناير سنة ١٩٥٠م. بعنوان ـ الترادف ـ.
١٦٩	مجلة مجمع فـؤاد الأول للغة العربية.	الجزء الــرابـع شعبــان سنـــة ١٣٥٦هـــــ ـ ١٩٣٧م. بحث لـلأستاذ الشيخ الطاهـر بن عاشور، بعنوان المترادف في اللغة العربية.

فهرس الموضوعات

طبع بشركة العبيكان للطباعة والنشر ـ الهاتف : ٤٩٨٣٣٩٢ ـ الرياض

العبيكان
Obeikan
Printing & Publishing

ردمك ١ - ٠٢٢ - ٢٠ - ٩٩٦٠